المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة بالرياض
قسم الثقافة الإسلامية

قيمة الزهد في الإسلام

دراسة تأصيلية

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية

إعداد الطالب

سلمان بن حسين الجدوع

إشرف

الدكتور/ عبدالله بن محمد العمرو

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض

العام الجامعي

١٤٣٢ – ١٤٣٣ هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

فمنذ خلق الله آدم، والأنبياء والمرسلون رسالتهم وبعثتهم كانت لإكمال ما نقص من هذه القِيَم والمبادئ، أو ما اندثر منها، فالرسالات السَّماوية،والكتب الإلهيَّة، جاءت لتحقيق القِيَم الصالحة، ونبذ قِيَم فاسدة.

فنَبِي الله نوح – عليه السَّلام – جاء ليحقِّق قيم الوحدانيَّة، وعدم اتِّخاذ البشرِ أولياء ينفعون ويضرُّون.

ونبِي الله إبراهيم جاء ليحقق قيم الصَّبر على الغربة، وعدم الذُّرية، والتوكُّل على الله، وأن النفع والضرَّ بيد الله، وأن الملك له، وقِيَمَ الحياة الزوجية.

ونبِيّ الله شعيب جاء ليحقِّق قيم الوفاء في الكيل والميزان.

ونبِي الله موسى جاء ليحقِّق عدم الاعتماد على السِّحر والسَّحرة، وقيم نهي الظالم عن ظلمه، واستعباده للآخرين.

ونبِيُ الله عيسى جاء ليحقِّق قيم الاعتماد على الله في أمور الطبِّ والعلاج والمرض.

ونبينا محمد – عليه الصَّلاة والسَّلام – جاء ليحقق جملةً من المبادئ، ذكَرَها في قوله:

(إنَّما بُعِثت لأتمِّم صالح الأخلاق)[1] التي تمثِّل المبادئ والقيم السامية للفرد أيًّا كان، فهو ﷺ الذي أرسى هذه المبادئ والقيم؛ لتكون منهاجَ حياةٍ، يَسير عليها الصغيرُ والكبير، فديننا الإسلامي الحنيف دينٌ شامل لكل مناحي الحياة، فهو دين المبادئ والقِيَم، ودين الأخلاق والمعاملة، فلم يدَع مَجالاً من مجالات الحياة إلا بيَّن فيها الحسَن؛ لِيُمتثَل، والقبيحَ؛ ليجتنَب، ومن بين القيم والمبادئ التي حرص عليها النبي ﷺ حرصاً شديداً قيمة الزهد، فقد كان له في توجيه الأمة وإرشادها إلى هذه القيمة جهد بالغ، شفقة عليهم ورحمة بهم، فربّاهم تربية صالحة على الزهد فيما سوى الله، وحذرهم من مفاتن الدنيا ومغرياتها، وبيّن لهم أبعاد مخاطر الاغترار بها.

والمتأمل في حال النبي ﷺ وتطبيقه لقيمة الزهد يجد أنه ﷺ قد بلغ أعلاها وذروة سنامها، قولا وعملا، فالمعصوم ﷺ بيّن في حياته العملية سواء الفردية والاجتماعية طرق ومسالك الزهد في الحياة، فأغنى المسلمين بما سنه لهم في ذلك عن اتباع غيره، وجعل حياته مقياساً صحيحاً تقاس به أنواع السلوك والأعمال والقيم.

فقد وضّح الزهد للمجاهدين والأمراء والعلماء والفقهاء، كما بيّنه لأهل العلم والعبادة والدعوة، وأصحاب الصدع بالحق،وقدمه للفقير الصابر والغني الشاكر، كما قدمه لمن له عناية بإصلاح دينه وقيمه، ومن راعى إصلاح بدنه ومعيشته، ودنياه وآخرته، فإنه ﷺ بعث لإصلاح الدنيا والدين.

(١) مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم ٨٩٥٢ صححه الألباني.

فإذا أردنا تطبيق هذا المنهج القويم في دراستنا للزهد وجدنا أن حياته ﷺ تصور الزهد في شتى مجالاته، فصار الزهد بذلك مؤسساً على الأصول القرآنية وهدي المصطفى ﷺ، وهذا ما هدفتْ إليه الدراسة وهو تأصيل قيمة الزهد تأصيلاً إسلامياً ، مما أعطى البحث قيمة وأهمية، إضافة إلى استناده إلى الأدلة التفصيلية ، التي تبين أهمية الموازنة بين حب الدنيا وحب الآخرة ، وكيفية تحقيق مفهوم الزهد الصحيح في الحياة .

وقد أبرز موقف القرون المفضلة من الزهد والاطلاع على أساليب التزكية والتربية التي مارسوها ، وإبراز هذه القيمة في حياتهم يبين مدى اهتمامهم وعنايتهم بها، واستفادتهم منها في حياتهم الفردية والاجتماعية .

وتزداد الحاجة إلى هذه القيمة في هذا العصر الذي طغت فيه المادة على معظم القيم الخلقية ، واتجه تفكير الناس إلى مطالب الجسد ولذاته وإهمال مطالب الروح ،وبيان قيمة الزهد، يفيد المجتمع الإسلامي في كبح جماح المادة وطغيانها ، وحث أفراده على المكارم والفضائل .

وأما أسباب اختيار هذا الموضوع فهي:

١-إبراز قيمة الزهد وبيان شرفها وعلو منزلتها.

٢-بيان المفهوم الصحيح لقيمة الزهد.

٣-ارتباط هذه القيمة بكثير من الممارسات السلوكية الخاطئة ونسبتها إلى هذه القيمة.

٤-تجلية معايير قيمة الزهد، وتطبيقاتها الصحيحة، في الحياة الفردية والاجتماعية.

أهداف الموضوع:

١- معرفة حقيقة الزهد وتحديد دلالاته وأنواعه.

٢- تحديد المعيار أو المقياس الذي تقاس به قيمة الزهد،ويُعتمد عليه في التمييز بين ما يدخل فيها وما لا يدخل، وتمييز الصور الحسنة والقبيحة من الأقوال والأفعال المتعلقة بها.

٣- تحديد مصدر الإلزام بقيمة الزهد.

٤- التعرف على تطبيقات قيمة الزهد الفردية والاجتماعية في سائر شؤون الحياة، والإسهام في غرس قيمة الزهد في النفوس وترسيخها.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى:

اسم الكتاب: الزهد والتصوف بين المؤيدين والمعارضين دراسة مقارنة.

اسم الكاتب: زينب محمد رجاء الله الحربي.

التخصص: قسم الدراسات الإسلامية. «عقيدة».

الجامعة: كلية التربية للبنات بمكة المكرمة.

نوع الدراسة:

الدكتوراه الفلسفية في الآداب، مكونة من ٤٦٣ صفحة. ١٤٠٩عام هـ.

تقوم الدراسة على المقارنة بين الزهد والتصوف، وكمدخل للدراسة ذكرة الباحثة

تعريف الزهد ونشأته وبداية ظهوره، وأنه كان معروفا لدى العرب قبل الإسلام، وأن إطلاق هذه الكلمة لم يكن زمن النبي ﷺ، ولم يظهر كعلم على طائفة أو كمصطلح إلا بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

و أن الزهد درجات وأنواع وربما اقتصر البعض على الزهد في المرحلة الأولى وربما اقتصر بعضهم على المرحلة الثانية، دون أن يمر على المرحلة الأولى، أما التصوف فلابد للمريد التدرج في مراتب التصوف، فلا يصل إلى المرتبة الثانية إلا بعد تجاوزه للمرتبة الأولى وهكذا.

اتفق مع هذه الدراسة في تناولها لموضوع الزهد، وتأسيسه على الأصول الإسلامية، وأن الزهد أبعد ما يكون عن التصوف المعتمد على الإلهام القلبي والكشف والأوهام، وأن المفهوم الصحيح للزهد هو ترك مالا ينفع في الآخرة، وأنه زهد القلب لا زهد الجوارح ، وهذا هو فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وتختلف دراستي عن هذه الدراسة، في كونها تهدف إلى دراسة قيمة الزهد وفق المنهج التكاملي– وليس المقارنة – الذي يعنى بتأصيل قيمة الزهد تأصيلا شموليا ، بإقامة مسائله على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، حيث أتطرق لمباحث ليست داخلة في هذه الدراسة.

الدراسة الثانية:

اسم الكتاب: مكانة الزهد في التربية الإسلامية

اسم الكاتب: صالح بن محمود عبدا لرحمن بابور

التخصص: قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الجامعة: جامعة أم القرى.

نوع الدراسة: ماجستير، مكونة من ٢٦٠ صفحة. عام ١٤١٦ هـ.

ذكر الباحث أن الزهد مرتبط بالتربية الإسلامية ارتباطا وثيقا، وأن حياة الرسول ﷺ أكبر دليل على تربيته لأصحابه ولأمته على الزهد في الدنيا والعمل للآخرة، وأن الزهد مؤسس على الأصول القرآنية وهدي المصطفى ﷺ، وما نتج من تطبيقات تربوية للزهاد عبر العصور الإسلامية.

اتفق مع هذه الدراسة في تناولها لموضوع الزهد، وتأسيسه على الأصول الإسلامية، وأن المفهوم الصحيح للزهد هو ترك مالا ينفع في الآخرة، وأنه زهد القلب لا زهد الجوارح، وهذا هو فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

أما دراستي فهي تهدف إلى دراسة قيمة الزهد وفق المنهج التكاملي، الذي يعنى بتأصيل قيمة الزهد تأصيلا شموليا ، بإقامة مسائله على أصل أصيل من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح.

منهج البحث:

سوف أستخدم بإذن الله المنهج التكاملي الذي يساعد على توضيح عناصر البحث وإبراز أفكاره ونتائجه، و ذلك باستخدام ثلاثة مناهج هي:

١- المنهج التأصيلي: وذلك بإقامة دراسة مسائل البحث على أصل أصيل من نصوص الكتاب والسنة، وفهم علماء الإسلام الثقات.

٢- المنهج الاستنباطي: باستخراج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وغيرها من النصوص الشرعية التي تتصل بالموضوع اتصالا مباشرا من خلال كتب تفسير

القرآن المعتمدة عند أهل السنة وكتب شروح الأحاديث النبوية وكتب التراث الإسلامي وذلك للوصول إلى الغاية التي أسعى لها وهي التأصيل الشرعي لقيمة الزهد.

٣- المنهج التحليلي: بتحليل المفاهيم السلبية للزهد والرد عليها، وبيان الحق ورد الباطل فيما وقع من تصورات مغلوطة حول الزهد، معتمدا على المعيار الإسلامي السالم من التناقض.

أما المنهج الفني:

- الرجوع إلى المصادر الأصيلة.

-عزو الآيات القرآنية إلى سورها .

- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية وبيان درجتها، إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فإن كانت كذلك اكتفيت بتخريجهما.

- العناية بقواعد اللغة والإملاء وعلامات الترقيم.

- ذكر البيانات الكاملة لكل مصدر أو مرجع في الهامش عند أول وروده في البحث، عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، واسم محققه إن كان محققا، والطبعة، وتاريخها، واسم الناشر ومكان النشر.

- الترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث، عدا المشهورين منهم.

- أما بالنسبة للنقول والإحالات في الهوامش فهي على النحو التالي:

أ) إذا تصرفت في النص المنقول تصرفا يسيرا أوردته بين قوسي تنصيص وأشرت في الهامش إلى أن النقل كان يسيرا، وإذا تصرفت فيه تصرفا كثيرا ذكرت في الهامش

(انظر) أما إذا لم أتصرف فيه مطلقا بأن كان نقلا حرفيا أوردته بين قوسي تنصيص واكتفيت بالإشارة إلى المرجع دون كلمة (انظر).

ب) إذا اقتبست من المرجع فكرة ما، أو استفدت منه معلومة، أو أحلت إلى مرجع فأكثر، ذكرت في البحث (راجع).

ج) إذا كررت النقل من المرجع دون أن يكون بين النقلين مرجع آخر، ذكرت في الهامش عبارة (المرجع السابق)

د) إذا وضعت بين الكلمات هذه النقاط الثلاث (...) فإن هذا يعني أن هناك كلاما محذوفا تم الاستغناء عنه طلبا للاختصار، أو لعدم الحاجة إلى ذكره.

هـ - تذييل البحث بفهرس للموضوعات، والأعلام، وفهرس للمصادر والمراجع.

قيمة الزهد في الإسلام

دراسة تأصيلية

تقسيمات البحث

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس.

المقدمة وتشمل:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
- أهداف الموضوع .
- الدراسات السابقة .
- منهج الباحث .
- تقسيمات البحث .

التمهيد: تعريف القيم.

المبحث الأول: دلالات قيمة الزهد وأنواعها

المطلب الأول: دلالات قيمة الزهد

المطلب الثاني: أنواع قيمة الزهد

المبحث الثاني: معايير قيمة الزهد ومصادر الإلزام بها

المطلب الأول: معايير قيمة الزهد

المطلب الثاني: مصادر الإلزام بقيمة الزهد

المبحث الثالث: مجالات تطبيق قيمة الزهد الفردية والاجتماعية

المطلب الأول: تطبيق قيمة الزهد في الحياة الفردية

المطلب الثاني: تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية

الخاتمة:

وفيها أبرز النتائج والتوصيات .

الفهارس .

ـ فهرس الآيات.

ـ فهرس الأحاديث.

- فهرس الأعلام .

ـ فهرس المصادر والمراجع .

- فهرس الموضوعات.

شكر وتقدير

بمناسبة إتمام هذا البحث ،أتقدم بخالص الشكر والتقدير لشيخي الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور عبدالله بن محمد العمرو الذي استنرت بتوجيهاته وملاحظاته القيّمة ، التي كان لها أكبر الأثر وأبلغه في ظهور البحث بهذه الصورة، حيث كان يقرأ ما أكتب، ويضع تعليقاته وتوجيهاته على كل ما يحتاج إلى بيان أو شرح أو تعليق من فقرات البحث وفصوله ، وقد كان ـ جزاه الله خيراـ كثير التشجيع بعيدا كل البعد عن أسباب التثبيط والعتاب، يقدر ويحترم رأيي ولا يفرض علي مقترحاته فجزاه الله عني خير الجزاء ونفع بعلمه وجهده.

كما أشكر كل من ساعدني وقدم العون لي من أساتذتي الكرام وإخواني وزملائي، أخص منهم الدكتور ناصر بن إبراهيم التويم رئيس قسم الثقافة بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فجزاهم الله خير الجزاء على ماقدموا وجعل الله لهم ذلك ذخرا في الآخرة.

أرجو من الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، وأن يكتب له القبول، وأن يحقق به النفع، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

دلالات قيمة الزهد وأنواعها

يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دلالات قيمة الزهد.

المطلب الثاني: أنواع قيمة الزهد.

المطلب الأول

دلالات قيمة الزهد

أولاً: دلالات الزهد في اللغة:

يقول ابن فارس[1]: «الزاء والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء، الزّهِيد: الشيء القليل وهو مُزهِد: قليل المال .ويقال: رجل زهيد: قليل المطعم، وهو ضيق الخلق أيضا. وقال بعضهم: الزهيد: الوادي القليل الأخذ للماء، والزَهَاد: الأرض التي تسيل من أدنى مطر»[2].

ويقول الرازي[3]: الزهد: «ضد الرغبة، والتَّزهد: التعبد، والتزهِيد، ضد الترغيب، والمُزهد: القليل المال»[4].

ويقول ابن منظور[5] في لسان العرب: الزهد: «ضد الرغبة والحرص على الدنيا،

(١) العلامة اللغوي المحدث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، المعروف بالرازي، المالكي اللغوي، مات بالري سنة خمس وتسعين وثلاث مئة . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٩-٦١) مؤسسة الرسالة ط٣/ ١٤٠٥ هـ.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة زهد (ص٤٤١)، دار إحياء التراث ١٤٢٩هـ.

(٣) محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، زين الدين، صاحب مختار الصحاح في اللغة ، وهو من فقهاء الحنفية ، وله علم بالتفسيروالأدب ، أصله من الري ، وهو من الذين ولعوا بالأسفار، زار مصر والشام، وكان في قونية ، سنة ٦٦٦هـ، وهو آخر العهد به . انظر الأعلام للزركلي ، ٦/ ٥٥، دارالعلم للملايين بيروت ، ط١٥/ ٢٠٠٢م.

(٤) مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي مادة زهد (١٣٨) المكتبة العصرية – الدار النموذجية بيروت صيدا ط٥ / ١٤٢٠هـ.

(٥) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الانصاري الرويفعى الأفريقى، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوى الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب، =

والزَهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة، ويتَزهَّد: يتعبد، والزهيد: الحقير، وعطاء زهيد قليل، وازدهد العطاء استقله،ويقال خذ زهد ما يكفيك أي قدر ما يكفيك والزَهدَ: بفتح الزاي والهاء: الزكاة»[1].

ويقول الزمخشري[2] في أساس البلاغة: «فلان زاهد زهيد بيِّن الزهادة، والزهد القلة في المطعم، وقدم إليهم طعامًا فتزاهدوه أي رأوه زهيد قليلا وتحاقروه».

ومن المجاز: «واد زهيد: قليل الأخذ للماء، ورجل زهيد أي قليل الخير، وهو زهيد العين يقنعه القليل والزَهَد بفتحتين: الزكاة ؛لأن ربع العشر قليل»[3].

ويقول الفيومي[4]: «زهد في الشيء وزهد عنه أيضا، زهدا وزهادة بمعنى تركه وأعرض عنه فهو زاهد والجمع زُهَّاد، ويقال للمبالغة زِهِّيد بكسر الزاي وتثقيل الهاء، ويتعدى بالتضعيف فيقال زهدته فيه وهو يتزهد».

=

سنة٦٣٠هـ وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. وعاد إلى مصر فتوفى فيهاسنة٧١١هـ وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره.انظر الأعلام للزركلي ٧/ ١٠٨

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة زهد (٢/ ١٩٦-١٩٧)، دار صادر بيروت ط٣/ ١٤١٤هـ.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، معتزلي ظاهر الاعتزال، وداعية إليه من كتبه الكشاف ولد في زمخشر سنة ٤٦٧هـ . انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٧٨ ط ١٣٨٢هـ، الحلبية، وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٥/ ١٦٨-١٧٤).

(٣) أساس البلاغة محمود بن عمرو الزمخشري باب زور مادة زهد (١/ ٤٢٥) دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٩هـ.

(٤) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: لغوي، اشتهر بكتابه المصباح المنير،ولد ونشأ بالفيوم بمصر، توفي سنة ٧٧٠ وله أيضا (نثر الجمان في تراجم الاعيان). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٢٤) ط١٥ دار العلم للملايين.

وقال الخليل: «الزَهادة في الدنيا والزهد في الدين»[1].

وفي المعجم الوسيط: «زهَّده: قلله، وفيه وعنه: جعله يزهد وبخَّله، وتزاهدوه: احتقروه واستقلوه وتزهد: صار زاهداً، وتعبد. وازدَهَده: عده قليلا. والزَهْدٌ: القدر اليسير، يقال: خذ زُهْدَ مايكفيك: أي قدر مايكفيك.

والزَّهَدٌ: الزكاة ؛لأنها قدر قليل من المال المزكى. والزَّهَّاد: الكثير الزهد»[2].

نخلص مما سبق، أن مادة زَهِد تدل على القلة في كل شيء، واحتقاره، وتركه والإعراض عنه، كما تدل على الزكاة والتعبد، وقد تطرقت المعاجم إلى هذه المعاني .

وأما خلاصتها فيما يخص بحثنا، فالزهد في اللغة على معان ثلاثة:

المعنى الأول: أن الدنيا وحطامها ماهو إلا أمر زهيد قليل حقير، لا يستحق تعلق القلب به، وضياع الآخرة من أجله .وغالب مادة زهد تدور حول هذا المعنى.

المعنى الثاني: أن العابد لربه لا غنى له عن الزهد، وهو أن يأخذ ما يكفيه، وألا يغلب الحلال شكره، ولا الحرام صبره .

المعنى الثالث: أن الزهد زكاة للنفس وطهارة لها، لهذا فهو محمود، وأن الرغبة في الدنيا مالم تقيد بقناعة وزهد مهلكة مذمومة .

وهذه المعاني تعد مقدمة هامة للمعنى الشرعي، فالمعاني اللغوية تؤكد المدلولات الشرعية.

ثانياً: دلالات الزهد في الاصطلاح:

جاءت عن السلف عبارات عدة في وصف الزهد، الاختلاف بينها مجرد اختلاف

(١) المصباح المنير (٩٨/ ٩٩)، عام ١٩٨٧م مكتبة لبنان بيروت.

(٢) المعجم الوسيط د/ إبراهيم أنيس وآخرون ص٤٠٣ـ٤٠٤،ط٢/ ١٣٩٢هـ المكتب الإسلامي، استانبول تركيا

الألفاظ، وبعضها عبر عن الزهد بمظهر من مظاهره أو بنوع من أنواعه، وعبر الآخر بمظهر أو بنوع آخر، لذا فإن الاختلاف الحاصل بينها هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد؛ فغالبها يدور على أن حقيقة الزهد هو: خلو القلب من التعلق بالدنيا؛ اشتغالا بالآخرة، واستعدادا للقاء الله تعالى فيها.

ومن أشهر التعريفات ما يلي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [1]: «الزهد هو عما لاينفع، إما لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحا، لأنه مفوت لما هو أنفع منه، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه، وأما المنافع الخالصة أو الراجحة فالزهد فيها حمق»[2].

وقال أيضاً: الزهد: «ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة»[3].

وقال ابن القيم [4]الزهد: «سفر القلب من مواطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة»[5].

---

(١) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، شيخ الإسلام، وأحد أئمة المسلمين المجتهدين،له مصنفات نافعة مشهورة، له مواقف جهادية مشهورة في مواجهة التتار سنة ٧٠٢هـ بدمشق توفي سنة ٧٢٨هـ. وانظر البدر الطالع للشوكاني، ط دار المعرفة (١/ ٦٣-٧٢)، انظر الدرر الكامنة لابن حجر (١/ ١٨٢)، رقم٤٠٩ ط٢ ١٣٩٢ هـ دار حيدر أباد الهند.

(٢) مجموع فتاوى، شيخ الإسلام، (١٠/ ٦١٥)، دار عالم الكتب الرياض ١٤١٢هـ.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ١٠دار الكتب العالمية بيروت ط١ ١٤٠٣هـ.

(٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزَّراعي الدمشقي، الشيخ الإمام شمس الدين بن القيم الجوزية الحنبلي ولد سنة (٦٩١هـ)، وكان واسع العلم بمذاهب السلف، كثير التلاوة والصلاة، توفي بدمشق سنة (٧٥١هـ). انظر البدر الطالع للشوكاني (٢/ ١٤٢) ط دار المعرفة ، انظر الأعلام للزركلي، (٢/ ٢٤٦).

(٥) المرجع السابق، (٢/ ١٣) وذكر ابن القيم أن هذا أجمع عليه العارفون.

وقال ابن الجوزي[1]: «الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ماهو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوبا فيه ولا مطلوباً في نفسه، لم يسم زاهدا، كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً.

وقال أيضاً الزاهد: أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة»[2].

وقال ابن القيم ومن أحسن ماقيل في الزهد كلام الحسن أو غيره: «ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، لكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة – إذا أصبت بها – أرغب منك فيها لو لم تصبك «علق ابن القيم فقال: فهذا من أجمع كلام في الزهد وأحسنه. وقد روي مرفوعاً.

وقال الإمام أحمد بن حنبل[3]: الزهد في الدنيا قصر الأمل وروي عنه أنه قال الزهد في الدنيا: «عدم فرحه بإقبالها،ولا حزنه على إدبارها[4].

وعرفه سفيان الثوري[5]: «أنه عدم فرحه بإقبالها، ولا حزنه على إدبارها» وقال (ليس

(١) الشيخ الإمام الحافظ المفسر، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي، ولد سنة تسع أو عشر وخمسمائة ببغداد، وسمع من مشايخ كثيرين، وكان رأسا في الوعظ، وله مصنفات كثيرة، توفي ببغداد سنة ٥٩٧ هـ رحمه الله . انظر سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥-٣٨٤).

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، ٤٠٢(-٤٠٣) المكتب الإسلامي بيروت ط٩/ ١٤٢١هـ، وانظر إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٤/ ٢٣١) دار الكتب العلمية ط١/ ١٤١٦هـ.

(٣) الإمام وشيخ الإسلام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، الذهلي الشيباني المروزي البغدادي، أحد الأئمة الأعلام ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة٢٤١هـ. انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧-٣٥٨).

(٤) مدارج السالكين ابن القيم (٢/ ١٤).

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي المجتهد، مصنف كتاب الجامع ، ثقة حافظ فقيه عابد، إمام حجة، ولد سنة سبع وتسعين، مات سنة إحدى وستين ومئة، انظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩-٢٧٩)، انظر =

بأكل الغليظ ولا بلبس العباء»[1].

وقال : «الزهد في الدنيا: قصر الأمل، واليأس مما في أيدي الناس»[2].

وعرفه ابن رجب[3] بقوله: «الزهد في الدنيا يراد به: تفريغ القلب من الاشتغال بها، ليتفرغ لطلب الله، ومعرفته، والقرب منه، والأنس به، والشوق إلى لقائه»[4].

وعرفه أيضاً بأنه: «الإعراض عن الشيء لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه»[5].

وعرفه الفضيل بن عياض[6] بأنه: «الرضا عن الله»[7].

=

تقريب التهذيب لابن حجر(٢٤٤).

(١) حلية الأولياء،لأبي نعيم الأصبهاني (٦/ ٣٨٦)،دار البيان للتراث ودارالكتاب العربي ط٥/ ١٤٠٧هـ، وانظر مدارج السالكين (٢/ ١٢).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢/ ١٨٤)، مؤسسة الرسالة بيروت ط١٠/ ١٤٢٤هـ.

(٣) هو الإمام الجليل الحافظ زين الدين عبدالرحمن بن أحمد السُلامي البغدادي الحنبلي الملقب بابن رجب ، ولد ببغداد سنة ٧٣٦هـ ونشأ في أسرة علمية عريقة ، أولع بمقالات شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتتلمذ على يد ابن قيم الجوزية، له تصانيف عديدة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والرقائق ، من أشهرها فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، وجامع العلوم والحكم ، توفي في دمشق سنة ٧٩٥ هـ. انظر الأعلام للزركلي ٣/ ٢٩٥،والبدر الطالع للشوكاني ١/ ٣٢٨.

(٤) المرجع السابق (٢/ ١٩٨).

(٥) المرجع السابق (٢/ ١٧٩).

(٦) الفضيل بن عياض بن مسعود، الزاهد القدوة الثبت، أبو علي التميمي اليربوعي الخرساني، المجاور للحرم، ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم، توفي سنة ست وثمانين ومئة .انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١-٤٤٢)، انظر صفة الصفوة ابن الجوزي، (١/ ٤٢٨، ١٤٢١ هـ)، دار الحديث بالقاهرة مصر.

(٧) المرجع السابق (٢/ ١٨١).

وعرفه سفيان بن عيينه[1] بقوله: «الشكر على النعمة، والصبر على الابتلاء»[2].

وقال الجنيد[3]: «الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد».

وقال أيضاً الزهد: «استصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب».

وقال ابن خفيف[4]: «سلو القلب عن الأسباب، ونقص الأيدي من الأملاك»[5].

قال أبو سليمان الداراني[6] الزهد: «ترك مايشغل عن الله»[7].

وقيل «حبس النفس عن الملذات، وإمساكها عن فضول الشهوات، ومخالفة دواعي الهوى، وترك مالايعني من الأشياء»[8].

---

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه، إمام حجة تغير حفظه في آخر حياته، ولد بالكوفة سنة سبع ومئة، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة. وانظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤-٤٧٥)، انظر تقريب التهذيب (٢٤٥) لابن حجر ط١ / ١٤٠٦ هـ دار الرشيد.

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم (٧/ ٢٧٣)، جامع العلوم، لابن رجب (٢/ ١٨٤).

(٣) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي، شيخ الصوفية ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، قال غير مرة : علمنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدى به. سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦-٧٠)، وانظر حلية الأولياء (١٠) ترجمة (٥٧١) وتاريخ بغداد (١١/ ٢٤١) ط١/ ١٤٢٢هـ دار الغرب الإسلامي.

(٤) محمد بن خفيف هو أبو عبد الله محمد بن خفيف بن إسفكشاذ الضبي الفارسي الشيرازي شيخ إقليم فارس ورأس الصوفية في زمانه، له مصنفات كثيرة، توفي سنة ثلاثمائة وإحدى وسبعين للهجرة. وتوفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. والأصح أنه عاش خمسًا وتسعين سنة. انظر سير أعلام النبلاء(١٢/ ٣٤٦).

(٥) مدراج السالكين، ابن القيم (٢/ ١٢).

(٦) الإمام الكبير زاهد عصره، عبدالرحمن بن أحمد العنسي الداراني، ولد في حدود الأربعين ومئة ، وتوفي سنة خمس عشر ومئتين .انظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢-١٨٦).

(٧) حلية الأولياء، لأبي نعيم (٩/ ٢٥٨)، وانظر مدارج السالكين، لابن القيم، (٢/ ١٢)، جامع العلوم، (٢/ ١٨٦) وقال ابن رجب: وهذا الذي قاله أبو سليمان حسن، وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه.

(٨) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم (٢٥٠) دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١/ ١٤٠٢هـ.

وقال ابن الجلاء[1]: «الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، فتصغر في عينك، فيسهل عليك الإعراض عنها».

وقال يحي بن معاذ[2]: «لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة».

وقيل: «عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف».

وقال عبدالله بن المبارك[3]: «هو الثقة بالله مع حب الفقر».

وعرفه عبدالواحد بن زيد[4] بأنه: «الزهد في الدينار والدرهم»[5].

---

(١) ابن الجلاء القدوة العارف شيخ الشام، أبو عبدالله بن الجلاء أحمد بن يحي، وقيل محمد بن يحي، من كبار مشايخ الصوفية توفي سنة ست وثلاث مائة سير أعلام النبلاء (١١/ ١٥٥)، انظرتاريخ بغداد (٥/ ٢١٣). ط١/ ١٤٢٢ هـ دار الغرب الإسلامي.

(٢) يحي بن معاذ الرازي الواعظ، من كبارالمشايخ له كلام جيد، ومواعظ مشهورة، انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥-١٦)، انظر حلية الأولياء (١٠/ ٥١) لأبي نعيم.

(٣) عبدالله بن المبارك بن وضاح، الإمام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، وأبو عبدالرحمن الحنظلي مولاهم التركي، ثم المروزي ثم الحافظ الغازي أحد الأعلام، مولده في سنة ثمان عشرة ومئة، حديثه حجة بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول . انظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٧٨-٤٢١).

(٤) الزاهد ، القدوة ، شيخ العباد أبو عبيدة البصري . قال البخاري تركوه . وقال النسائي متروك الحديث . وقال ابن حبان كان ممن غلب عليه العبادة ، حتى غفل عن الإتقان ، فكثرت المناكير في حديثه . قال ابن أبي الحواري : قال لي أبو سليمان : أصاب عبد الواحد الفالج ، فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء ، فكان إذا أراد الوضوء انطلق ، وإذا رجع إلى سريره فلج . وعن محمد بن عبد الله الخزاعي قال : صلى عبد الواحد بن زيد الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة . مات بعد الخمسين ومائة . انظر سير أعلام النبلاء ٧/ ١٧٨-١٨٠.

(٥) مدارج السالكين ابن القيم (٢/ ١١-١٢).

وقال يونس بن ميسرة[1]: «ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء».

وعرفه أبو مسلم الخولاني[2]: «ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ، وإذا أصبت بمصيبة، كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها من إياها لو بقيت لك»[3].

ولعل من أضبط تعريفات الزهد، ما وصفه ابن القيم بأنه من أحسن ما قيل في تعريف الزهد وأجمعه، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه: «ترك الرغبة فيما يضر أو لا ينفع في الدار الآخرة»[4]. وفي موضع آخر أكثر تفصيلا يقول: «إن الزهد هو عما لاينفع، إما لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحاً ؛ لأنه مفوِّت لما هو أنفع منه، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه»[5].

ومن خلال الأقوال الواردة في بيان معنى الزهد، والتي ذكرت أهمها، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة، توضح معنى الزهد بمفهومه الواسع:

---

(١) يونس بن ميسرة بن حلبس أبو عبيد عالم دمشق، طال عمره بلغ مائة وعشرين سنة، وكان يقرئ القرآن في الجامع، وله كلام نافع في الزهد والمعرفة. وثقه العجلي، والدارقطني، مات مقتولا في سنة اثنتين وثلاثين ومائة. سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٢٧)، وانظر طبقات ابن سعد (٧/ ٤٦٦)،ط دار الفكر.

(٢) أبو مسلم الخولاني اليماني الزاهد الشامي، واسمه يعقوب بن عوف، لقي أبو بكر وروى عن عمر وغيره، تابعي من أهل الشام وهو ثقة توفي زمن يزيد بن معاوية .انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (١٢/ ٢٣٥)، ط١ / ١٣٢٦ هـ دائرة المعارف النظامية الهند، وانظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٧-١٤).

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٢/ ١٧٩).

(٤) مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ٦٥١، ١٠/ ٢١).

(٥) المرجع السابق (١٠/ ٦٥١).

أولاً: منها ما يدور على أن حقيقة الزهد هو: خلو القلب من التعلق بالدنيا، اشتغالا بالآخرة، واستعدادا للقاء الله فيها.

ثانياً: ما يجعل حقيقة الزهد تدور على عمل الجوارح وهي: خلو اليد والنفس من المتعلقات الدنيوية، وعدم الحرص عليها.

ثالثاً: ما يجعل حقيقة الزهد تتعلق بالاتصاف ببعض أعمال القلب، فعرفوا الزهد ببعض أعماله.

يظهر من هذا أن الزهد عمل قلبي،وهو إيثار الحياة الأخروية الأبدية الباقية، على الحياة الدنيوية الدنيئة الفانية، فليس المراد من الزهد في الدنيا تخليتها من اليد، ولا إخراجها وقعوده صفراً، وإنما المراد إخراجهاً من القلب بالكلية، فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكن قلبه، وإن كانت في يده.

فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك.

لذلك فإن الزهد لا يستقيم للعبد، ولا يحصل له إلا بأمور يأخذ نفسه بها، وهي:

أولاً: أن يعلم ضآلة الدنيا وحقارتها وقلة شأنها، فيخرجها من قلبه، فلا يفرح إذا أقبلت، ولا يحزن إذا أدبرت، لأن همه الآخرة.

ثانياً: فإذا علم ذلك، فرغ قلبه مما يشغل عن الله، كي يصل إلى مرضاة ربه، وهذه هي حقيقة الزهد.

ثالثاً: يسخر هذه الدنيا وما أوتي فيها من نعم في طاعة الله تعالى، ويجعل متاع الدنيا زادا ومطية تبلغه نعيم الآخرة.

رابعاً: أن يوقن أن ما عند الله تعالى أدوم، وأعظم، وأفضل، فلا يبالي أكان ممن يملك من متاع الدنيا الكثير أو القليل، فالدنيا دار لها بابان دخل من الأول وخرج من الآخر.

فإذا تحقق للعبد هذه الأمور، تحصل على حقيقة الزهد، في أقواله، وأفعاله، وسائر عباداته الظاهرة والباطنة، وسائر معاملاته، ومن ثم تحصل له ثماره اليانعة الطيبة.

المطلب الثاني

أنواع قيمة الزهد

كثرت أقوال السلف في تقسيم الزهد حيث قسموه باعتبارات عدة وجعلوه أنواعا ورتبا، وفرضا ونفلا، من أهم تقسيماته ما يلي:

أولاً: أقسام الزهد بالنظر إلى المزهود فيه:

قسمه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وجعله على ثلاثة أقسام:

الأول: «ترك الحرام، وهو زهد العوام.

الثاني: ترك الفضول في الحلال، وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين.

قال ابن القيم: وهذا الكلام من الإمام يأتي على جميع ماتقدم، من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله، وتبين درجاته، وهو من أجمع الكلام، وهو يدل على أنه ﷺ من هذا العلم بالمحل الأعلى»[1].

وقسمه ابن رجب الحنبلي رحمه الله فقال:

أولاً: «الزهد في الشرك، وفي عبادة ما عبد من دون الله.

ثانياً: ثم الزهد في الحرام كله و المعاصي.

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢)، وانظر الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح الحنبلي (٢/ ٣٥٨-٣٥٩)، مؤسسة الرسالة ط٤ / ١٤٢٦هـ.

ثالثاً: ثم الزهد في الحلال، وهو أقل أقسام الزهد.

ويقول: أما القسمان الأولان من هذا الزهد، فكلاهما واجب، والثالث ليس بواجب، فإن أعظم الواجبات الزهد في الشرك، ثم في المعاصي كلها»[1].

وقسمه إبراهيم بن أدهم رحمه الله[2]،و جعله ثلاثة أقسام:

أولاً: «لزهد الفرض: وهو الزهد في الحرام.

ثانياً: الزهد الفضل: وهو الزهد في الحلال.

ثالثاً: الزهد السلامة: وهو الزهد في الشبهات»[3].

وقسمه عمر بن عبدالعزيز رحمه الله[4]:

الأول: «لزهد في الحرام وهو فريضة.

الثاني: الزهد في المباح وهو فضيلة.

الثالث: الزهد في الحلال وهو قربة»[5].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٥).

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور، القدوة الإمام العارف، سيد الزّهاد، أبو إسحاق العجلي، وقيل التميمي، الخرساني البلخي، نزيل الشام مولده في حدود المئة، توفي سنة اثنتين وستين ومئة. سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٧-٣٩٦).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٢٦)، (١٠/ ١٣٧).

(٤) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الإمام الحافظ العلامة المجتهد، الزاهد العابد أمير المؤمنين أبو حفص، القرشي الأموي المدني، ثم المصري، من أئمة الاجتهاد، من تابعي أهل المدينة، ولد سنة ثلاث وستين له فقه وعلم وورع، روى حديثاً كثيراً، وكان إماما عادلا، مات سنة خمس ومئة .انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤-١٤٨)، وانظر حلية الأولياء (٥/ ٢٥٣).

(٥) الزهد الكبير لأحمد بن الحسين البيهقي (٦٩) مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط٣ / ١٩٩٦م.

ومن التقسيمات الجامعة بهذا الاعتبار تقسيم ابن القيم، حيث قسمه إلى أربعة أقسام:

أحدها: «فرض على كل مسلم، وهو الزهد في الحرام.

الثاني: زهد مستحب، وهو على درجات في الاستحباب، بحسب المزهود فيه، وهو الزهد في المكروه، وفضول المباحات، والتفنن في الشهوات المباحة.

الثالث: زهد الداخلين في هذا الشأن، وهم المشمرون في السير إلى الله، وهو نوعان:

أحدهما: الزهد في الدنيا جملة، وليس المراد تخليها من اليد، ولا إخراجها وقعوده صفراً منها، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية، فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكن قلبه، وإن كانت في يده، وهذا كحال الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبدالعزيز الذي يضرب بزهده المثل، مع أن خزائن الأموال تحت يده، بل كحال سيد ولد آدم، حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلا زهداً فيها.

النوع الثاني: الزهد في نفسك، وهو أصعب الأقسام وأشقها، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ولم يلِجوه، فإن الزاهد يسهل عليه الزهد في الحرام؛ لسوء مغبته، وقبح ثمرته، وحماية لدينه، وصيانة لإيمانه،وإيثاراً للذة والنعيم على العذاب، وأنفة من مشاركة الفساق والفجرة،وحمية من أن يستأثر لعدوه، ويسهِّل عليه الزهد في المكروهات وفضول المباحات، علمُه بما يفوته، بإيثارها من اللذة والسرور الدائم والنعيم المقيم، ويسهل عليه زهده في الدنيا معرفته بما وراءها، وما يطلبه من العوض التام والمطلب الأعلى.

وأما الزهد في النفس فهو ذبحها بغير سكين، وهو نوعان:

أحدهما: وسيلة وبداية، وهو أن تميِّتها فلا يبقى لها عندك من القدْر شيء، فلا تغضب لها، ولا ترضى لها، ولا تنتصر لها، ولا تنتقم لها، قد سبَّلت عِرضها ليوم فقرها وفاقتها، فهي

أهون عليك من أن تنتصر لها، أو تنتقم لها، أو تجيبها إذا دعتك، أو تكرمها إذا عصتك، أو تغضب لها إذا ذُمْت، بل هي عندك أخس مما قيل فيها، أو ترفهها عما فيه حظك وفلاحك، وإن كان صعباً عليها، وهذا وإن كان ذبحاً لها، وإماتة عن طباعها وأخلاقها، فهو عين حياتها وصحتها، ولا حياة لها بدون هذا البتة، وهذه العقبة، هي آخر عقبة يشرف منها على منازل المقربين، وينحدر منها إلى وادي البقاء، ويشرب من عين الحياة، ويخلص روحه من سجون المحن والبلاء، وأسر الشهوات، وتتعلق بربها، ومعبودها ومولاها الحق، وهذا الزهد هو أول نُقدة من مهر الحب.

والنوع الثاني: غاية وكمال، وهو أن يبذلها للمحبوب جملة، بحيث لا يستبقي منها شيئاً، بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله، قد تعلقت رغبة محبوبه به، فهل يجد من قلبه رغبة في إمساك ذلك القدر وحبسه عن محبوبه، فهكذا زهد المحب الصادق في نفسه، قد خرج عنها وسلمها لربه، فهو يبذلها له دائماً، بتعرض منه لقبولها.

وجميع مراتب الزهد المتقدمة مبادٍ ووسائل لهذه المرتبة، ولكن لا يصح إلا بتلك المراتب، فمن رام الوصول إلى هذه المرتبة بدون ما قبلها، فمُتَعَنٍّ مُتمن، كمن رام الصعود إلى أعلى المنارة بلا سلم، قال بعض السلف: إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول. فمن ضيع الأصول حرم الوصول»[1].

من هذا التقسيم الطويل يتبين لنا أن ابن القيم يصنف الزهد إلى درجات ومراتب، وأن من يريد الحصول على الدرجة العليا وهي الزهد في النفس، ينبغي له أن يجتاز المراتب السابقة.

(١) طريق الهجرتين ٢٥١-٢٥٤ بتصرف.

و قسمه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى قسمين:

الأول: «الزهد الواجب: وهو ترك ما يمنع عن الواجب من إرادة الله والدار الآخرة.

الثاني: الزهد المستحب: هو ما يشغل عن المستحب من أعمال المقربين والصديقين»[1].

وقسمه سفيان الثوري إلى قسمين:

الأول: «زهد فريضة: وهو واجب عليك، وهو أن تدع الفخر والكبر والعلو والرياء والسمعة والتزين للناس.

الثاني: زهد نافلة: وهو أن تدع ما أعطى الله من الحلال»[2].

وعند التدقيق في هذه التقسيمات نرى أن مرد الكلام فيها إلى قسمين:

الأول: الزهد الواجب: وهو الزهد في الحرام، وهو فريضة على كل عبد، بأن يدع ما حرم الله تعالى عليه من أعمال القلوب والجوارح، وبما أن المحرمات دركات، فإنه كلما عظمت شناعة الذنب، كلما عظمت رتبة الزهد فيه، ولذا قال بعض السلف: «أفضل الزهد: الزهد في الشرك، وفي عبادة ما عبد من دون الله»، وقال أيضا: «أعظم الواجبات الزهد في الشرك، ثم في المعاصي كلها»[3]. وهذا حق يشهد له قوله تعالى في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء،أحب إلي مما افترضت عليه)[4]. والأصل أن الزهد في الحرام باعثه خوف العقوبة، وفرقة من الخائفين زهدوا في الحرام خوفا من حلول النقمة،فزهد

(١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، ٢٠/ ١٤٧

(٢) انظرسير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٤٤)

(٣) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب، ١/ ٢٩٢.

(٤) رواه البخاري ،كتاب الرقاق باب التواضع ٨/ ١٠٥رقم (٦٥٠٢).

الخائفين ترك الحرام البيّن، وزهد الورعين ترك كل شبهة[1].

قال الشاطبي[2]: «والزهد حقيقة إنما هو في الحلال، أما الحرام فالزهد فيه لازم من أمر الإسلام، عام في أهل الإيمان، ليس مما يتجارى فيه خواص المؤمنين مقتصرين عليه فقط، وإنما تجاروا فيما صاروا به من الخواص وهو الزهد في المباح»[3]. والزهد في الشبهات - متى قويت الشبهة - يلتحق بهذا القسم، يقول ابن القيم في معرض حديثه عنه: «وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحباً»[4].

الثاني: الزهد المستحب: وهو الزهد في الشُبَه التي لا ترقى إلى اللحاق بالحرمة، وفي المكروه، وفي فضول المباح من أعمال القلوب والجوارح التي لا يستعان بها على طاعة الله تعالى، وهذا الزهد هو الذي يستحق العبد به - على التحقيق- اسم الزهد، والزهد في الحرام بمثابة الأساس لهذا النوع ولا يتصور وجوده في حكم الشرع بدونه، وهذا النوع من الزهد على رتب متفاوتة في الاستحباب بحسب اختلاف درجة المزهود فيه، والمحبة هي الباعثة عليه، ولذا فالناس متفاوتون فيه؛ إذ بمقدار عظم محبة العبد لمولاه بمقدار ما يكثر من التقرب إليه بنوافل الطاعات المحبوبة له سبحانه، حتى إذا استفرغ وسعه في التقرب

(١) انظر حلية الأولياء، للأصبهاني:(١٠/ ٨٤)

(٢) الشيخ العلم القدوة، سيِّد القراء، أبو محمد، القاسم بن وفيِرُّه بن خلف الرعيني، الأندلسي الشاطبي، ناظم الشاطبية والرائية، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة، له الباع الأطول في فنّ القراءات والنحو والفقه والحديث، توفي بمصر سنة تسعين وخمس مئة. انظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٦١-٢٤٦.

(٣) الموافقات، (١/ ١٩٢) دار ابن عفان ط١ / ١٤١٧هـ.

(٤) الفوائد ابن القيم (١١٨) دار الكتب العلمية بيروت ط٢ / ١٤٩٣هـ.

بمحبوبات الله عز وجل، فإنه يصير محبوباً له تعالى فلا يدرك ولا يأتي ولا يوالي ولا يعادي إلا وفق مراده سبحانه»[1]. فإذا بلغ الغاية في ذلك صار زاهداً في فضول الحياة وملذاتها، تاركاً لما لا يعنيه منها، فلا شغل له فيما سوى الله تعالى، بل مدار قوله وفعله، وإقدامه وتركه، وبذله ومنعه، وسائر شأنه على تحقيق محبوب الله واجتناب ما يخالف مراده سبحانه، فكأنه قد زهد في كل شيء إلا فيما أمر الله تعالى به، أو فيما ندب سبحانه إليه أو ما لا بد منه، وهذا إنما يحصل بكمال المتابعة لإمام الزاهدين رسولنا الحبيب ﷺ»[2].

وعامة فضول المباح التي لا تعين على طاعة الله تعالى والتي يكون فيها عامة الزهد المستحب تقع في الخواطر والنظر والسماع والكلام واللباس والخلطة واقتناء الأمتعة وسائر حركات الجوارح وأعمال البدن»[3]. وعدمها خير من وجودها متى كان العبد مع عدمها مشتغلاً بطاعة الله سبحانه، لكن من الفقه أن يعلم أنه لو قدر أنها تشغله عما دونها فهي خير له مما دونها، وإن شغلته عن معصية الله تعالى كانت رحمة في حقه وهبة.

ثانياً: أقسام الزهد باعتبار المرغوب فيه:

«**الدرجة السفلى**: أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار، ومن سائر الآلام كعذاب القبر، ومناقشة الحساب.. فهذا هو زهد الخائفين، كأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا، فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٨/ ٣٣٨، ١٧/ ١٣٤).

(٢) انظر: روضة المحبين، ابن القيم: (١ / ٢٩٥) وما بعدها دار الكتاب العربي ط٢/ ١٤٠٧هـ.

(٣) انظر: بدائع الفوائد ابن القيم: (٢/ ٤٩٥)، وانظر الجواب الكافي ابن القيم (١٠٥ – ١٠٦).

الدرجة الثانية: أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه، واللـذات الموعـودة في جنتـه... وهذا زهد الراجين ؛ فإن هؤلاء ماتركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم، بل طمعـوا في وجود دائم ونعيم سرمدي.

الدرجة الثالثة: وهي العليا، ألا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه، فلا يلتفـت قلبـه إلى الآلآم ليقصد الخلاص منها، ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها و بل هو مـستغرق الهم بالله، وهو الموحد الحقيقي... وهذا زهد المحبين العارفين»[1].

ثالثاً: أقسام الزهد باعتبار حال الزاهد:

وهو على ثلاث درجات تتفاوت بحسب قوة الزهد في نفس الزاهد وهي:

«**الدرجـة الأولى**: وهي السفلى منها: أن يزهد في الدنيا مشتهٍ لهـا وقلبـه مائـلٍ إليهـا، ونفسه ملتفتة إليها، ولكنه يجاهدها ويكفها.

وهو يسمى: المتزهد وهو مبدأ الزهد، في حق من يصل إلى درجـة الزهـد بالكـسب والاجتهاد.

الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعا، لاستحقاره إياها، بالإضافة إلى ما طمع فيـه كالذي يترك درهما لأجل درهمين... ولكن هذا الزاهد يرى زهده... ويكون معجبا بنفـسه وبزهده وهذا نقصان.

الدرجة الثالثة: وهي العليا: أن يزهد طوعا، ويزهـد في زهـده فـلا يـرى زهـده، إذ لايرى أنه ترك شيئاً، إذ عرف أن الدنيا لا شيء، فيكون كمن ترك خزفة وأخـذ جـوهرة ...

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٤٠-٢٤١) بتصرف، مختصر منهاج القاصدين (٤٠٤-٤٠٥) بتصرف.

وهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة»[1].

ويظهر من هذا التقسيم أن من بين الزهاد زاهد بلغ مرتبة الكمال في الزهد وصار آمنا من خطر اللفتات إلى زينة الدنيا، وأن ماعداه فهو متزهد.

رابعاً: أقسام الزهد بالنظر إلى علاقته بالنفس:

«**الدرجة الأولى**: أن يزهد في كل ما سوى الله حتى يزهد في نفسه وحاجاته ورغباته.

الدرجة الثانية: أن يزهد في كل صفة للنفس فيها منفعة، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها.

الدرجة الثالثة: أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما، لأنه ترجع إليها جميع حظوظ النفس.

الدرجة الرابعة: أن يزهد في العلم والقدرة الذي يقصد بهما ملك القلوب، والتعالي على الناس»[2].

في هذا التقسيم نرى أن صاحب الدرجة الأولى هو الذي بلغ مرتبة الكمال في الزهد، ويوصف بأنه زاهد في كل شيء يشغل عن عبادة الله تعالى، وأن أصحاب الدرجات الأخرى وإن زهدوا بترك الشهوات وحظوظ النفس إلا أنهم لم يصلوا إلى مرتبة الكمال في الزهد.

(١) منهاج القاصدين (٤٠٤) بتصرف، وانظر إحياء علوم الدين (٤/ ٢٣٩).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٢٤١).

المبحث الثاني

معايير قيمة الزهد ومصادر الإلزام بها

يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: معايير قيمة الزهد.

المطلب الثاني: مصادر الإلزام بقيمة الزهد.

المطلب الأول

معايير قيمة الزهد

تمهيد:

لفظ القِيم (لفظ يؤدي إلى مدلول مادي، يعبَر به عما ينشأ بين الناس من معاملات تتعلق بالأخذ والعطاء والشراء والعوض ونحوه، فكل ما يجري بين الناس في ذلك مقدر بقيمة، ثم انتقل هذا المصطلح من الدلالة اللغوية المحددة إلى دلالة أوسع وأشمل حيث أصبح يعبر به عن معان تتصل بالأخلاق والعادات والمعاملات في حياة الناس عامة، حتى قالت العرب: «قيمة كل امرئ ما يحسن»[1]. أي أن الإنسان مقدر بما يحسنه.

ولا يخفى ما يحمله هذا القول من دلالة بلاغية، حيث جعل الجسم العرض لا يساوي أكثر مما ينتج، وبقدر إحسانه إلى نفسه ومجتمعه تحسن صورته، وتقوَّم أعماله التي تجلو تلك الشخصية في عيون الآخرين[2].

فالقيم لها أهميتها في بناء الشخصية الفردية، والعمل على تنظيم المجتمع وضبطه، والحفاظ على هويته وثقافته، وتحصينه من الانحلال والتفكك والانحرافات، كل ذلك واجب ينبغي أن يستشعره كل ذي لب يحس بما عليه من واجبات تجاه بناء قيم الفضيلة في مجتمعه.

والقيم بمثابة معايير للسلوك الإنساني تحدد الصواب من الخطأ، وتحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه، كذلك فإن القيم معيار للضبط الاجتماعي، وموجهات للسلوك الفردي،

---

(١) أدب الدنيا والدين أبو الحسن الماوردي ص(٣٦) دار مكتبة الحياة ١٩٨٦م.

(٢) انظر موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية إشراف مرزوق بن تنباك (٤٦-٤٩) دار رواح للنشر والتوزيع ط١/ ١٤٢١هـ.

فهي ليست مجرد صفات مجردة، أو نظرية، وإنما يتم ترجمتها إلى سلوك، لها حظ من الثبات وتخضع للتغير.

لذلك لابد من التعريف بالقيم في اللغة والاصطلاح:

القيم في اللغة:

يقول الفيروز أبادي[1] في القاموس المحيط: «القيمة بالكسر:واحدة القيم، وقوَّمت السلعة واستقمتها: ثمنتها،واستقام: اعتدل»[2].

ويقول الفيومي في المصباح المنير: والقيمة: «الثمن الذي يقاوَم به المتاع أي: يقوم مقَامه، والجمع القِيم»[3].

وقال الراغب الأصفهاني[4] في المفردات: «القِيام والقِوَام اسم لما يقوم به الشيء ويثبته كالعماد والسِّناد: لما يعمد ويسند به»[5].

وجاء معجم لغة الفقهاء: والقيمة بكسر القاف: «الثمن الذي يقدره المقومِّون

(١) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، من أئمة اللغة والأدب، ولد بكارزين من أعمال شيراز سنة ٧٢٩هـ ، وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير. أشهر كتبه القاموس المحيط، وتوفي في زبيد سنة ٨١٧ هـ .

(٢) باب الميم فصل القاف، مؤسسة الرسالة ط ٨/ ١٤٢٦هـ بتصرف يسير.

(٣) مادة ق وم .

(٤) محمد بن بحر الأصفهاني ، أبو مسلم ، من أهل أصفهان ، معتزلي ، من كبار الكتاب ، كان عالما بالتفسير وغيره من صنوف العلم ، ولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر العباسي ، من كتبه جامع التأويل في التفسير، توفي سنة ٢٣٣. انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣- ٤٦٤،انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٥٠.

(٥) المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني، مادة قوم ص٦٩٠درا الشامية دمشق بيروت ط١/ ١٤١٢هـ.

للسلعة أو الشيء»[1].

وفي الاصطلاح:

القيم: «هي القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية، كما تختلف الحضارات بحسب تصورها لها»[2].

ويمكن تعريفها «هي مجموعة من المعايير المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأصبحت محل اعتقاد واتفاق واختيار، والتي من خلالها نحكم على السلوك الإنساني من حيث الرغبة فيه أو عنه»[3].

وتعرف كذلك بأنها «مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط لسلوك الأفراد والجماعات مصدرها الله عز وجل»[4].

وتعرف بأنها «مجموعة من الأوامر والنواهي التي تجعل سلوك الإنسان متطابقا مع قواعد الشرع الحنيف، والتي تشمل عقيدة الإنسان وعباداته ومعاملاته مع بني جنسه، وعلاقته مع الكون الذي يعيش فيه، وتكون نابعة من القرآن الكريم والحديث الشريف»[5].

---

(١) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي حرف القاف، (١/ ٣٧٤) ط٢/ ١٤٠٨هـ، دار النفائس محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي.

(٢) الثقافة الإسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا إعداد مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية، ص (١٤) كلية الشريعة بالرياض ط١/ ١٤١٧هـ.

(٣) تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب مرحلة التعليم الأساسي العليا، عطية محمد صالح: نقلا عن التحصيل الدراسي وعلاقته بالقيم الإسلامية على عبدالحميد أحمد ص (٦٥)، مكتبة حسن العصرية بيروت ط١/ ١٤٣٠هـ

(٤) الشباب والقيم في عالم متغير، د.ماجد زيود ص (٣٠)، عمان دار الشروق ط١/ ٢٠٠٥م.

(٥) القيم الحضارية في رسالة الإسلام، أحمد عثمان ص (٤٢)، الدار السعودية ط١/ ١٤٠٢هـ.

إن المتأمل في القيم الإسلامية، يجد أنها قيم ربانية المصدر جاءت من عند الله، فكل ما هو رباني الأصل يكون عظيما في نفسه، فهي قيم عظيمة، شمولية، تجمع بين القول والعمل، والنظرية والتطبيق.

والإسلام وضع معايير لقياس قيمة الزهد وغيرها من القيم ، لبيان الصور الصحيحة للزهد وغير الصحيحة، ومن أهمها، الوحي، والعقل، والعرف.

وحقيقة المعيار في اللغة:

جاء في لسان العرب:يقال «عيَّر الدينار: وزن به آخر، قال الليث: العِيار ماعايرتَ به المكاييل،تقول: عايرت به أي سويته، وهو العِيار والمِعيار، وعيَّرت الدنانير: أن تلقي دينارًا دينارًا فتوازن به دينارًا دينارًا، وكذلك عيَّرت تعييرًا إذا وزنت واحدًا واحدًا»(١).

وفي الاصطلاح:

عرفه مجمع اللغة العربية: بأنه «نموذج أو مقياس مادي أو معنوي لما ينبغي أن يكون عليه الشيء»(٢).

وفي المعجم الوسيط المعيار والعيار: «نموذج متحقق أو متصور لما ينبغي أن يكون عليه الشيء، ومنه: العلوم المعيارية ؛ وهي المنطق والأخلاق والجمال ونحوها»(٣).

وجاء في معجم لغة الفقهاء أنه «نموذج معين يجري تقدير الأشياء به، كمعيار

(١) لسان العرب، لابن منظور، فصل العين المهملة مادة عير (٤/ ٦٢٣).

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المعجم الفلسفي ص (١٨٨)، ط عام ١٣٩٩هـ، عالم الكتب بيروت.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مادة عار، ص (٦٣٩).

الوزن، ومعيار الكيل، ومعيار القيمة والصحة والخطأ، ومعيار الجمال وغيذلك»[1].

والمراد بها هنا في دراستنا : الميزان أو المقياس المثالي الذي تقاس به قيمة الزهد، ويعتمد عليه في التمييز بين الصور الصحيحة للزهد وغير الصحيحة، من الأقوال والأفعال والسلوك.

أولاً : المعيار الشرعي لقيمة الزهد :

بين الوحي ما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان في هذه الدنيا ، صلة بربه أو بنفسه أو بالآخرين ، وذلك من خلال طائفة من المبادئ والقواعد الأخلاقية العامة الواردة في الكتاب والسنة ، وسنتكلم عن أهم المعايير الشرعية التي تميز الصور الحسنة وغير الحسنة لقيمة الزهد:

الزهد المشروع قائم على الاتباع والتأسي :

مبنى العبادات في الإسلام على متابعة النبي ﷺ في أحوله وأقواله وأفعاله ، ولا عبادة إلا من خلال ما جاء به عن ربه وشرعه لأمته، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾[2] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[3] وقال ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[4] يقول ابن رجب: «كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على

(١) معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي حرف الميم ص (٤٤٣).

(٢) سورة النساء،الآية (٨٠).

(٣) سورة الحشر، الآية (٧).

(٤) صحيح البخاري،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم ، فأخطأ رقم (٢٦٩٧).

عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء»[1].

وهذا أمر جلي في كافة أبواب التعبد، وهو في باب الزهد آكد ؛ لكثيرة صور الجهل ومظاهره في أوساط الزهَّاد من مدعي الزهد من أهل البدع.

ولأهمية هذا الأمر ذكر بعض العلماء الربانيين أن: «الزهد: إنما هو اتِّباع العلم ولزوم السنة»[2]. و الإمام الثوري يقول: «لا تصلح عبادة إلا بزهد، ولا يصلح زهد إلا بفقه، ولا يصلح فقه إلا بصبر»[3].

والمتأمل في كثير من ضلالات الزهاد يجد مردها إلى الجهل، يقول ابن الجوزي مبيناً ذلك: «وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات .. وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري»[4]. ويقول الذهبي[5]: «العابد العَرِيّ من العلم متى زهد وتبتل وجاع وخلا بنفسه وترك اللحم والثمار واقتصر على الدقة والكسرة.. صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب -والله- في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل وخوطب

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١/ ١٧٦).

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي (٤/ ٢٢٨).

(٣) حلية الأولياء ، لأبي نعيم (٧/ ٣٠٢).

(٤) تلبيس إبليس، ابن الجوزي (١٤٧)، ط١/ ١٤٢١ هـ، دار الفكر بيروت لبنان.

(٥) الإمام الحافظ الكبير شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، محدث عصره، شيخ الجرح والتعديل، ولد سنة ٦٤٧ هـ، وطلب الحديث وارتحل وأخذ عن شيوخ كثيرين، وسمع منه الجم الغفير، وألف المصنفات الكثيرة النافعة، توفي سنة ٧٤٨ هـ. انظرطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي،(٩/ ١٠٠-١٢٣) ط٢/ ١٤١٣هـ هجر للطباعة.

وارتقى، فيتمكن منه الشيطان ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه وليٌّ صاحب كرامات وتمكُّن، وربما حصل له شك وتزلزل إيمانه»[1].

وقد أدرك هذا المهتدون من مشايخ العباد والزهاد، فأوصوا بلزوم هدي النبي ﷺ واتباع العلم، ومن ذلك قول الجنيد: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه»[2]. وقول أبي حفص النيسابوري[3]: «من لم يزن أفعاله وأقواله كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعده في ديوان الرجال»[4]. فلا بد أن يكون الزهد على ما تقتضيه نصوص الكتاب والسنة.

الزهد علم وعمل:

العلم مفتاح كل خير، وبوابة كل رحمة وسعادة، والجهل أصل كل غواية، ولب كل معصية وضلالة، ولذا جاء الحث الشديد على التعلم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[5]. فأبان تعالى أن خشيته إنما تكون بالعلم،

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٢/ ٩).

(٢) الحلية، لأبي نعيم: (١٠ / ٢٥٧).

(٣) الإمام القدوة الرباني شيخ خرسان أبو حفص عمرو بن سلْم وقيل عمرو بن سلمة النيسابوري الزاهد، كان حدادا، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور، توفي سنة أربع وستين ومائتين سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٤٤)، وانظر تاريخ بغداد ذكر من اسمه عمرو رقم (٦٦٢٤) ط١/ ١٤٢٢ هـ دار الغرب الإسلامي.

(٤) شعب الإيمان، الأبي بكر البيهقي: (٢/ ٣٠٦).

(٥) سورة فاطر، الآية (٢٨).

وقال ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[1] وقال الحكماء: «أصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة فإذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة وإن افترقا فيا ويح مفترقين ما أضر افتراقهما وأقبح انفرادهما»[2]. على أن غاية العلم العمل، ولذا قال الخليفة الراشد علي ﷺ: «من ازداد علماً ولم يزدد في الدنيا زهداً لم يزدد من الله عز وجل إلا بعداً»[3].

فحري بمن آتاه الله علماً أن يعمل بعلمه، ويجتهد في طاعة ربه، ويجعل النجاة في الآخرة غايته، وهدي النبي ﷺ هو خير الهدي وأجله، وقد حقق هذا الأمر بالتطبيق العملي الصحيح لمفهوم الزهد في الإسلام ، فغضب ﷺ حين بلغه أن بعض أصحابه يريد أن يزيد في الزهد أو على المشروع قائلين: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقام ﷺ خطيباً يقول: (والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[4].

فالزاهد يحتاج إلى معرفة متعمقة وعلم كثير بهدي النبي ﷺ وشرعه، وإلا فإنه قد يقع في بوابة الإثم والمنكر من حيث يريد أن يرضي الله تعالى ويطيعه، يقول أبو بكر الوراق[5]: «من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقه تزندق، ومن اكتفى بالزهد دون الفقه

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه رقم (٥٠٢٧).

(٢) فيض القدير، المناوي (٦/ ٦٧)، ط٣/ ١٤٢٧هـ ، دار الكتب العلمية.

(٣) المرجع السابق (٦/ ٦٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٥٠٦٣).

(٥) الإمام المحدث، محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي الوراق، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ومات في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة ٠انظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٥) دار الحديث بالقاهرة (١٤٢٧هـ)، انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢/ ٥٣)، ط١/ ١٤٢٢ هـ دار الغرب الإسلامي.

والكلام ابتدع، ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع يفسق، ومن تفنن في الأمور كلها تخلص»[1] ويقول ابن تيمية: «طريق الله لا تتم إلا بعلم وعمل يكون كلاهما موافقاً الشريعة، فالسالك طريق الفقر والتصوف والزهد والعبادة إن لم يسلك بعلم يوافق الشريعة وإلا كان ضالاً عن الطريق وكان ما يفسده أكثر مما يصلحه، والسالك من الفقه والعلم والنظر والكلام إن لم يتابع الشريعة ويعمل بعلمه وإلا كان فاجراً ضالاً عن الطريق، فهذا هو الأصل الذي يجب اعتماده على كل مسلم»[2].

فبالتأسي بالنبي ﷺ، والتعرف على سنته، وفق ما جاء به عن ربه ، يفهم الزهد الشرعي ويوفق له.

الزهد عمل القلب:

الزهد في أصله عمل قلبي؛ لأنه يعني قطع اضطراب القلب، المتعلق بأسباب الدنيا، رغبة ورهبة، وحباً وبغضاً، وسعياً. ولذا نص عدد من الأئمة على أن الزهد زهد القلب، لا زهد الترك، يقول ابن القيم: «فإن الزهد زهد القلب، لا زهد الترك من اليد وسائر الأعضاء، فهو تخلي القلب عنها، لا خلو اليد منها»[3].

ولأهمية عمل القلب ، تكاثرت عبارات السلف في جعل الزهد بعض أعمال القلب، وعرفوه ببعض أعماله.

فالزهد هو الثقة بالله تعالى والاطمئنان إليه قال عبد الله بن المبارك: الزهد (هو الثقة

(١) شعب الإيمان، للبيهقي (٣/ ٢٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١١/ ٢٧-٢٨).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ١٩).

بالله، مع حب الفقر). وقال حاتم الأصم[1]: «رأس الزهادة: الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص»[2].

والزهد هو الرضا عن الله قال الفضيل بن عياض: «الزهد: الرضا عن الله تعالى، فقيل له: كيف هذا يا أبا علي؟، قال: يكون العطاء في قلبك والمنع بمنزلة واحدة»[3].

والزهد هو اليقين فعن داود الطائي[4] قال: «كفى باليقين زهداً، وكفى بالعلم عبادة، وكفى بالعبادة شغلاً»[5].

والزهد متحقق في التوكل قال يحيى بن معاذ: «طلبوا الزهد في بطن الكتب، وإنما هو في بطن التوكل»[6]. وقال المناوي[7]: «حقيقة الزهد التوكل، حتى يكون ثقته بقسمة الله، فإن

(١) الزاهد الرباني، أبو عبدالرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي، الواعظ الأصم، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، كان يقال له لقمان هذه الأمة، توفي سنة سبع وثلاثين ومئتين . انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٤-٤٨٧).

(٢) حلية الأولياء الأبي نعيم (٧/ ٣٤٣).

(٣) الزهد ، أبو سعيد ابن الأعرابي: (٢١) دار الصحابة للتراث طنطا ط١، ١٤٠٨وانظر الزهد أبو بكر البيهقي: ٨٠، رقم: (٧٧).

(٤) الإمام الفقيه القدوة الزاهد، أبو سليمان، داود بن نصير الطائي الكوفي، ولد بعد المئة بسنوات، من كبار أئمة الفقه والرأي، مات سنة اثنتين وستين ومئة . انظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٢-٤٢٥).

(٥) الحلية، لأبي نعيم (٧/ ٣٤٣).

(٦) الحلية لأبي نعيم (١٠/ ٥٢).

(٧) عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي، الإمام الكبير، والحجة، صاحب التصانيف، كان إماماً فاضلاً زاهداً ولد سنة اثنتين وتسعمائة، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وألف، وصلى عليه بجامع الأزهر انظر سير الأعلام النبلاء ١٧/ ١٦٢- ١٧٧، الأعلام للزركلي ٦/ ٢٠٤.

ما في يده قد يكون رزقَ غيره، ولا يفرح به ولا يطمئن، ولا إلى ما يرجوه من يد غيره، فيستريح قلبه من همها وغم ما يفوت منها، وبدنه من كد الحرص وكثرة التعب في طلبها، فلم يغتم قلبه على ما فات، ولم ينصب بدنه فيما هو آت، وإن جهل ذلك يعذب قلبه بتوقع ما لم يقسم منها، ويحزن لذلك على كل فائت منها»[1]. والزهد هو عدم الفرح بإقبال الدنيا ولا الحزن على إدبارها سئل الإمام أحمد (عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهداً؟، فقال: نعم، على شريطة أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت[2].

والزهد شكر النعم والصبر عن المعاصي وفي البلاء، سئل الزهري[3] عن الزهد، فقال: «من لم يمنعه الحلالُ شكرَه، ولم يغلب الحرام صبره»[4].

فهذه أعمال قلبية جليلة، وعلاقة الزهد بها علاقة وثيقة، والمراد بيان أن الزهد عمل قلبي، متمثل بخروج قدر الدنيا من القلب، إذ القلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع.

الزهد إعراض عن الدنيا للاشتغال بالآخرة:

الإعراض عن الدنيا ليس مقصوداً لذاته، بل يراد به تفريغ القلب من الاشتغال بها ليتفرغ المرء لطلب الله ومعرفته والقرب منه والأنس به والشوق إلى لقائه.

---

(١) فيض القدير، محمد عبدالرؤوف المناوي (٤/ ٩٧).

(٢) انظر مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ١٢)، جامع العلوم لابن رجب (١٨٣).

(٣) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، الإمام العلَم الفقيه حافظ زمانه، أبو بكر القرشي الزهري المدني من كبار التابعين نزل الشام، توفي سنة أربع أو ثلاث عشرين ومئة .انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦-٣٥٠)، تهذيب التهذيب بن حجر (٩/ ٤٤٥-٤٥١)، ط١/ ١٤٢٦ هـ دار المعارف النظامية.

(٤) الحلية، لأبي نعيم (٧/ ٢٨٧)، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٨٣).

يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك بقوله «لا حمد على ترك الدنيا لغير عمل الآخرة، كما لا حمد لطلبها لغير عمل الآخرة، فثبت أن مجرد الزهد في الدنيا لا حمد فيه، كما لا حمد على الرغبة فيها، وإنما الحمد على إرادة الله والدار الآخرة، والذم على إرادة الدنيا المانعة من إرادة ذلك»[1].

وفي موضع آخر يقول: «فإن كثيراً من الزهاد في الحياة الدنيا أعرضوا عن فضولها ولم يقبلوا على ما يحبه الله ورسوله، وليس مثل هذا الزهد يأمر الله به ورسوله، ولهذا كان في المشركين زهاد وفي أهل الكتاب زهاد وفي أهل البدع زهاد.. وإنما يأمر الله ورسوله أن يزهد فيما لا يحبه الله ورسوله ويرغب فيما يحبه الله ورسوله، فيكون زهده هو الإعراض عما لا يأمر الله به ورسوله أمر إيجاب ولا أمر استحباب، سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً مستوي الطرفين في حق العبد، ويكون مع ذلك مقبلاً على ما أمر الله به ورسوله»[2].

ولو لم يكن الزهد إعراضاً وإقبالاً في الوقت ذاته لكان بطالة، وهي مذمومة في العقل والشرع ، ولذا كان أبو سليمان يقول: «ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح فيها، إنما تلك راحة، إنما الزاهد من ألقى غمها وتعِب فيها لآخرته»[3]. والمتأمل في سيرة إمام الزاهدين ﷺ يجد أنه قد بلغ الغاية في الإقبال على الله تعالى والاشتغال بالآخرة ، فعن المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه- (أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، فقال: أفلا أكون عبدًا شكوراً)[4] وعن عبد الله بن

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠/ ١٤٦).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٦٥١).

(٣) الزهد، لابن الأعرابي: (٣٤)، وانظر الحلية، لأبي نعيم (٩/ ٢٧٣)، وانظر جامع العلوم والحكم (٢٩٨).

(٤) صحيح البخاري كتاب الجمعة ، باب قيام النبي ﷺ الليل حتى ترم قدماه، رقم (١١٣٠).

الشخير ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء ﷺ)[1].

وقد أثرت هذه السيرة العطرة في حياة السالكين لدربه ﷺ، وبخاصة جيل الصحابة الكرام وبقية أهل القرون المفضلة، مما جعلهم يلازمون التعبد ويجتهدون في استغراق أوقاتهم في عمل ينفعهم حين يقفون بين مولاهم عز وجل ويقول ابن القيم: «ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف»[2]. فقد كان عمل الآخرة ديدن القوم وشغلهم.

لا يتنافى الزهد مع الغنى:

وذلك لأن الزهد قطع تعلق القلب بالدنيا، وترك الاشتغال بما يضر أو لا ينفع في الآخرة؛ لئلا يحول ذلك بينه وبين الإكثار من الطاعات ، ولئلا يكون هواه تبعاً للدنيا، فالزاهد حذر من الدنيا غير مقبل عليها، وصلته بها خاضعة للشرع، فمن لم يتعلق قلبه بالدنيا فهو زاهد، قل ما بيده منها أو كثر.

فالغنى لا يتنافى مع الزهد؛ لأن الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها، ويقابله الشح والحرص، فليس المراد من الزهد رفض الحياة الدنيا بما فيها، بل ترك ما يشغل عن الله تعالى من أمورها، أما ما كان عوناً على طاعة الله منها، وقام العبد بحق الله تعالى فيه فتركه حمق وقلة عقل.

وقد كان نبيا الله داود وسليمان – عليهما الصلاة والسلام – من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة، باب بكاء النبي ﷺ ، رقم (١،٩٠٤/ ٣٣٨) وصححه الألباني.

(٢) الجواب الكافي، ابن القيم ،ص٦١مكتبة المعارف ط١ / ١٤٠٧ هـ.

ابن العوام – رضي الله عنهم – من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وكان عبدالله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير، وحين قال له الفضيل بن عياض: «إنك تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام! كيف ذا وأنت تأمرنا بخلاف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم بها عرضي، وأستعين بها على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به، فقال له الفضيل: يا ابن المبارك، ما أحسن ذا إن تم ذا»[1].

وقد كان الثوري من أئمة الزهد والورع، وحين جاء إليه رجل فقال: يا أبا عبدالله تُمسك هذه الدنانير، فقال: (اسكت لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك)[2].

ليس الفقر لازماً من لوازم الزاهد:

ارتبط الزهد بالفقر في أذهان كثيرين، حتى كأنه لا يكون الزهد إلا به ، ومما زاد الأمر إشكالا تصريح البعض أن الفقر ممدوح بذاته في الإسلام، وأنه مبني على الفقر، وأن الفقر أساس الزهد وركن من أركانه وبه قَوامه، وبأن الزهد هو تخلي الأيدي عن الأملاك،وترك الاكتساب وتحريم الادخار، إلى غيرذلك من العبارات التي تحمل تصوراً خاطئاً لا يستند إلى نقل ولا عقل.

لذا لا بد من التفريق بين الفقر والزهد لما فيهما من التشابه في المظهر الخارجي فقط، ولكن الفرق بينهما كبير «فعندما تنزوي الدنيا عن العبد وتبتعد عنه، فذلك هو الفقر «وعندما

(١) شعب الإيمان ، البيهقي، باب التوكل بالله عز وجل والتسليم لأمره ، رقم ١٢٠٨ (٢/ ٤٥٣).

(٢) الحلية، لأبي نعيم (٦/ ٣٨١)، وانظر: مدارج السالكين، ابن القيم (٢/ ١٢-١٣).

ينزوي العبد عن الدنيا ويبتعد عنها ، فذلك الزهد»[1]. وقد كان النبي ﷺ زاهدا ولم يكن فقيرا بل كان يستعيذ من الفقر ويقرنه بالكفر، فقد كان من دعائه دبر كل صلاة: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر)[2]. و من دعائه ﷺ: (وأغننا من الفقر)[3]. ولو كان الفقر أمرًا مطلوباً ، أو حالاً مفضلاً، لما استعاذ منه النبي ﷺ، ولما حث على التكسب وطلب الرزق، ولما دعا بإكثار المال والبركة فيه ونحو ذلك مما يتنافى مع الفقر.

عن أبي هريرة ﷺ قال: (كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا)[4] ورود النصوص بتفضيل العبد المنفق، والتحذير من المسألة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[5]. وقوله ﷺ على المنبر كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة)[6].

ويخطئ كثير من الناس حين يظنون أن الفقر حالا ممدوحة ،أو أمراً مطلوبا في الزهد،

(١) إحياء علوم الدين ، الغزالي (٤/ ٢٠١).

(٢) سنن النسائي، كتاب السهو، باب التعوذ في دبر كل صلاة رقم (١٣٤٧)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧١٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة في دعاء النبي ﷺرقم (١٣٧٣).

(٥) سورة النحل، الآية (٧٥).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (١٤٢٧).

بل كثيراً ما نقرأ في بعض عناوين الكتب مثل فضل الفقر ويستدلون بأحاديث لا دليل فيها على فضيلة الفقر؛ لأنهم فهموا منها فضيلة الفقر، بينما الأحاديث هذه في بيان فضيلة الصبر على الفقر، لا فضل الفقر، والصبر فضيلة نوه عنها القرآن الكريم كثيراً[1].

البذل والعطاء وتنمية الثروات من دلائل الزهد:

في التزهيد في الحياة الدنيا ؛ تشجيع المسلم على بذل ما يملك منها في سبيل الله ، والتضحية بمتعها وزينتها ولذائذها ابتغاء مرضاة الله ، وقطع علائق قلبه عنها ، حتى لا تسوقه إلى الإثم والمعصية والتحاسد والتباغض، ولئلا يستبد به الحرص عليها،إلى الأنانية المفرطة ، فيعّميه عن كل فضيلة ، ويدفعه إلى كل رذيلة.

الزاهد في الدنيا يتمثل خلق البذل و العطاء، في المال، والعلم، والجاه، والنفس، وطاقات الجسد، ويرتقي به هذا السلوك حتى يصل إلى مستوى التضحية بالحياة كلها، يدفعه لذلك علو فطرته، وسمو طبعه، وارتقاء إنسانيته، ورجاحة عقله.

والبخيل الشحيح يكره البذل والتضحية والعطاء ، ولدية رغبة بالاستئثار بكل شيء، والتسلط على كل شيء، وقبض اليد عن البذل والإنفاق على الغير، من مال، أو جاه، أو علم، أو غير ذلك، وهو دليل على هبوط فطرته، ودناءة طبعه، ونقص إنسانيته، وحرمانه من رجاحة العقل .

وقد بلغ النبي ﷺ في زهده مرتبة الكمال الإنساني، فيعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ثقة بعظيم فضل الله، وإيمانا بأنه هو الرزاق ذو الفضل العظيم.

---

(١) انظر من معين الشمائل صالح بن أحمد الشامي (٣٦٠-٣٦٢)، ط١ / ١٤٢٨ هـ المكتب الإسلامي.

روى البخاري[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا يمر علي ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لِدَين»[2] فالرسول ﷺ وهو قدوة الزاهدين، يقدِّم هذا النموذج للاقتداء به، لاسيما وأنه في كل عطاءاته الفعلية مطبقا لهذه الصورة القولية التي قالها، فقد كانت سعادته ومسرته عظيمتين، حينما كان يبذل كل ما عنده من مال، إذ يريهم من نفسه الزاهدة، أجمل صورة للعطاء وأكملها[3].

وليس الغرض من التزهيد في الدنيا، صرف المسلمين عن تنمية ثرواتهم، التي تقوي شوكتهم، وتدفع عنهم البؤس والحاجة، وتمتعهم برفاهية العيش التي أذن الله بها، وتأخذ بأيديهم إلى تحسين وسائل العيش وترقيتها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، بل هذه مطلوبة في الإسلام مع زهد القلوب في الحياة الدنيا وزينتها.

لا رهبانية في الزهد:

الرهبانية في نظر الإسلام إحداث في الدين، وسلوك لغير سبيل المؤمنين، بينما الزهد تقلل من متع الحياة ولذاتها بدافع الاشتغال بعمل الآخرة بتوسط واتزان، لا يضيع به حق ولا تتضرر منه نفس، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالمسلم المتبع لشريعة الإسلام هو المحرم ما حرمه الله ورسوله، فلا يحرم الحلال ولا يسرف في تناوله، بل يتناول ما يحتاج إليه

(١) الإمام البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، أبو عبدالله البخاري، جبل حافظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث، روى عن كثير من التابعين، ولد سنة ١٩٤هـ مات سنة ٢٥٦هـ. انظر تقريب التهذيب لابن حجرص٤٦٥ ، ط١/ ١٤٠٦ هـ دار الرشيد، وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ١٨٨-١٩١) دار صادر.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاستقراض وأداء الديون والتفليس، باب أداء الدين ، رقم ٢٣٨٩.

(٣) انظرالأخلاق الإسلامية وأسسها عبدالرحمن حسن الميداني (٣٩٣، ٥٥٥)، دارالقلم دمشق ط٢/ ١٤٠٧هـ.

من طعام أو لباس أو نكاح، ويقتصد في ذلك، ويقتصد في العبادة فلا يحمل نفسه مالا تطيق، فهذا تجده يحصل له من مجاهدات النفس وقهر الهوى ما هو أنفع له من تلك الطريق المبتدعة الوعرة القليلة المنفعة»[1].

فلا تعلق للزهد المشروع بما انصرفت إليه همم بعض مدعي الزهد برهبانية النصارى المذمومة، والمتمثلة في الإعراض عن الدنيا بالكلية، والتبتل في العبادة، وتجويع النفس وحرمانها من حظوظها كلياً؛ بزعم تربيتها لكي تصل إلى رتبة ولاية الله، حتى وصل بهم إلى ترك الأكل والشرب واللباس والنكاح وما يحتاج إليه وما لا تتم مصلحة دينه ودنياه إلا به.

وذلك من التعدي المذموم التي جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة بالتحذير منه وبيان كونه مخالفة للشرع وخروجاً عليه.

ومن النصوص الناهية عن الغلو في العبادة، والتضييق عليها، وبيان أن ذلك ليس من الإسلام في شيء، ولو كان في العبادة وابتغاء الأجر.. ما جاء عن أنس ﷺ قال: (دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فتَرت تعلقت، فقال النبي ﷺ لا، حُلّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد)[2]. وحديث أبي جحيفة قال: (آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك، قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل، قال: فإني صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال:

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤ / ٤٦١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب مايكره من التشديد في العبادة، رقم (١١٥٠).

فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال: سلمان قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان)[1].

فالمشقة ليست بمقصودة للشارع، ولو كان قاصداً لها لما كان مريداً لليسر ولا للتخفيف، ولكان مريداً للحرج والعسر، وذلك باطل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

والمشروع للعبد تجاه ما يحتاج إليه من طيبات الحياة وملذاتها: أن ينوي بما يتناول منها – من غير إسراف ولا مخيلة – التقوّي على طاعة الله تعالى، وامتثال الأمر وأداء الحقوق تجاه النفس والغير، وأن يكثر من شكره سبحانه على نعمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[3].و: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[4]. وعن أبي مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة)[5]. فمن تناول نعمه تعالى بغير نية العون على القربة أو الرغبة في امتثال الأمر وأداء الحقوق، أولم يشكر الله تعالى عليها

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، رقم (١٩٦٨).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٥).

(٣) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٧٢).

(٥) صحيح البخاري ،كتاب الإيمان، باب ماجاء إن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ مانوى ، رقم (٥٥).

أو أسرف وطغى، فهو مذموم، ومن أعرض عما يحتاج إليه منها لم يتهيأ له التقوي ولا الشكر فهو مذموم أيضاً»[1].

من خلال تلك المعاني المتضافرة، التي يؤيد بعضها بعضا؛ لأنها تخرج من مشكاة واحدة ، تتجلى معايير الزهد في الشريعة الإسلامية.

ثانياً: معيار العقل:

العقل هبة الله العظمى ومنحته للإنسان، وبه أكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته، وجعله مناط التكليف عند الإنسان، وشرع له من الأحكام ما يكفل حمايته والمحافظة عليه، وللعقل أهمية كبرى في الإسلام، فهو أداة الإدراك التي يتم بها التمييز بين الخير والشر، والميزان الذي يميز به صحيح العلم من سقيمه، والمرآة التي يعرف بها الحسن والقبيح، وذلك في مجمل القيم لا في تفاصيلها، يقول الإمام الشافعي [2]عن العقل: «هو آله التمييز»[3] ويقول ابن القيم: «هو آلة العلم وميزانه الذي يعرف به صحيحه من سقيمه، وراجحه من مرجوحه، والمرآة التي يعرف بها الحسن من القبيح»[4].

ولما كان العقل بهذه الأهمية، جعله الإسلام مصدراً من مصادر المعرفة، ومعياراً يعتمد

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٦٠) وما بعدها.

(٢) محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع الشافعي، الإمام عالم العصر وناصر الحديث وناصر الملة أبو عبدالله القرشي الطَّلبي الشافعي المالكي، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه. انظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥-٩٩)، وانظر حلية الأولياء (٩/ ٦٣).

(٣) قواطع الأدلة في الأصول منصور السمعاني (١/ ٢٧)، دار الكتب العالمية ط١/ ١٤١٨هـ.

(٤) مفتاح دار السعادة ابن القيم (١/ ١١٧) دار الكتب العلمية بيروت.

عليه في التمييز بين الخير والشر، مع مرعاة قصوره ومحدودية إدراكه، وأنه ليس بمعصوم من الزلل، وعدم إعماله في غير مجاله الذي حدده الشارع الحكيم،كالاحتكام إليه في مسائل الشرع التي ورد بها الوحي،يقول الإمام الشاطبي «إن الله جعل للعقول في إدراكها حدا تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لا ستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما يكون، وما لا يكون إذ لو كان كيف يكون؟»[1].

«والعلاقة بين العقل والوحي من حيث المعرفة المكتسبة منهما علاقة تكامل،.. فالمعرفة التي يتوصل إليها الإنسان بعقله بصورة قطعية، لا يمكن أن تتعارض بأي حال من الأحوال مع المعرفة الخالدة التي نجدها في الكتاب والسنة، فصريح المعقول لا يتعارض مع صحيح المنقول، والمعرفة العقلية التي تتعارض مع المعرفة التي جاء بها الوحي لاشك معرفة خاطئة، يمكن للعقل إثبات عدم صحتها»[2].

«إن العقل الإنساني الصريح – أقصد الفطري _ يمتلك من الإيجابية في رفض غير المنطقي من العقائد، والقبول المذعن للحقائق الصحيحة ما يضاهي إيجابية الجانب العملي من حركة الإنسان»[3].

فالعقل الفطري له القدح المعلى في إصدار الأحكام، ولأحكامه المنطقية السليمة اعتبار في السلوك الإيماني، الذي يسيِّره المقبل على الحق.

وعلى هذا فالعقل يعد معياراً صحيحاً لقيمة الزهد ؛لما فيه من قدرة على تمييز الأفعال

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٣١) ط١ / ١٤١٢ هـ دار ابن عفان السعودية.

(٢) انظر شرح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي ١٤٦ ط١ / ١٤٠٨ هـ مؤسسة الرسالة بيروت.

(٣) العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر د.عبدالرحمن الزنيدي ٢٣٠دار اشبيليا ط١/ ١٤١٨هـ.

الحسنة والقبيحة، والنافعة والضارة، والطيبة والخبيثة، والمهتدية والمنحرفة عن حقيقة الزهد، فكل صورة تخالف العقول والفطر، بالزيادة والنقص، أو توهم مطابقة حقيقة الزهد، فهي صورة غير صحيحة ؛ لأنها أدخلت في الزهد ماليس منه، وأخرجت ماهو منه، والعقل الصحيح والفطرة السوية تقبحها، وتنفر منها.

وسنستعرض بعض صور الزهد الصحيحة التي تشهد العقول الصريحة والفطر السوية بحسنها، وكونها معروفا وطيبا، والتي زكاها الوحي بأمره بها، فازدادت حسنا إلى حسنها، وثنائه على فاعلها، وإخباره بمحبته لها، وكذا بعض الصور غير الصحيحة، التي تشهد العقول والصريحة والفطرة السوية بقبحها، وكونها منكرا وخبيثا،والشارع كساها بنهيه عنها قبحا إلى قبحها، فزدادت قبحا بنهي الرب تبارك وتعالى عنها، وذمّه لها، وإخباره ببغضها وبغض فاعلها .

فترك الدنيا، والإعراض عنها بالكلية، وتجويع النفس، والتواري عن الناس في المسجد والزوايا وغيرها ؛ بقصد تربية النفس وتزكيتها،وتوفير الوقت للصلاة والدعاء وإخلاء الأيدي من كل ما تملكه، حتى يصبح فقيرا، من الصور المنحرفة عن مفهوم الزهد ؛حيث توهم فاعلها تطابقها مع حقيقة الزهد، وليست كذلك.

فحقيقة الزهد الذي يوافق ما فطر الله عليه مدارك الفكر وموازين العقل، يكون بإيثار الحياة الأخروية، الباقية الأبدية، على الحياة الدنيئة الفانية.

وبهذا المفهوم الصحيح والمعيار الدقيق، يستطيع الإنسان أن يعيش في هذه الحياة الدنيا آخذاً نصيبه منها، مستمتعاً بما أباح الله من طيبات الحياة، غير مغتر بمفاتنها، متوكلاً على الله، يخافه ويرجوه لينال أجره عنده تعالى.

فالذي يستحق أن يوصف بأنه زاهد في الدنيا ؛هو الذي يعمل بمقتضى فطرته، وطاقته النفسية والقلبية، ومشاعره الوجدانية، ويجمع المال من حِله، وينفقه في وجوهه، فيتصدق على الفقراء والمساكين، ويساعد الأيتام والمعوزين، ويبني المساجد ودور العلم، ولا يمسكه عن الواجبات التي ينبغي أن يُصرف فيها.

فالعقل يميز بين الزاهد في الدنيا، والمتزهِّد فيها، والنفوس مجبولة على حب العمل، واستحسان البذل فيما ينفع، واستقباح القعود والكسل، والإمساك ؛ لأن القاعد عبء على أصحاء العقول والفكر، وعلى العاملين في الأمة الإسلامية.

والمتزهِّد حينما يحول الزهد إلى سلوك سلبي فهو زهد دعيّ لا صلة له بالإسلام، فليس من الزهد ترك الاكتساب والعمل بالأسباب، وعدم الأخذ بها، وعدم القيام بالمسؤولية الفردية والاجتماعية.

ونتيجة لهذا الفهم الخاطئ، تجد المتزهِّدين يهملون عائلاتهم، ويفرِّطون بحقوقهم وواجباتهم، فيتركونهم يعيشون حياة بائسة محزنة، تنقصهم مقومات العيش الكريم، من الغذاء والكساء والدواء؛ لأنهم لا يدرون ما الدنيا المذمومة، يقول ابن الجوزي رحمه الله: «فإن الدنيا لا تذم لذاتها، وكيف يذم مامنَّ به، وما هو ضرورة في بقاء الآدمي، وسبب في إعانته على تحصيل العلم والعبادة ؛ من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه، وإنما المذموم أخذ الشيء من غير حِله، أو تناوله على جهة السَّرف،لا على قدر الحاجة، وتصرّف النفس فيه بمقتضى رعونتها، لا بإذن الشرع»[1].

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، (١/ ١٣٥)، دار الفكر بيروت ط،١٤٢١هـ.

ومخالطة الناس بقصد التأثير فيهم وتصحيح مفاهيمهم وإعانتهم، خير من الانقطاع عنهم،الذي يترتب عليه مفاسد عظيمة، منها ترك الجمع والجماعات وهو خسران لا ربح فيه، والبعد عن العلم والعلماء وهو يقوِّي سلطان الجهل،وفراق الوالد والوالدة وهو عقوق، والعقوق من كبائر الذنوب، يقول ابن الجوزي: «والمتزهَد الجاعل زوجته كالأيِّم، وولده كاليتيم؛لانفراده عنهم، وقبح أخلاقه ؛لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة، ولا يدري لقلة علمه ؛ أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة»[1].

والمعيار العقلي لذم الدنيا ومدحها، ذكره سعيد بن جبير[2] فقال: «متاع الغرور ما يُلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يُلهك، فليس بمتاع الغرور، ولكنه متاع وبلاغ إلى ماهو خير منه،وذكره أيضاً أبو صفوان الرّعيني[3]، حين سئل، ما هي الدنيا التي ذمها الله تعالى في القرآن، والتي ينبغي للعاقل أن يتجنبها؟ قال: «كل ما أصبت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة، فليس منها»[4].

(١) المرجع السابق (١/ ١٤٠).

(٢) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام، قرأ القرآن على ابن عباس، انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١-٣٤٣).

(٣) يحي بن هانيء أبو صفوان الرعيني الدمشقي، أحد الزهاد ، حدث عن هشام بن عروة وابن علاثة ، روى عنه أبو عثمان سعيد الخولاني وعبدالرحمن بن يحي بن عبيدالله. انظر تاريخ مشق ابن عساكر (٦٥/ ٥٢) دار الفكر (١٤١٥)، وانظر الكنى والأسماء للدولابي (٢/ ١٢).

(٤) جامع العلوم والحكم ابن رجب (٢/ ١٩٣) .

وأكد ابن الصلاح[1] على هذا المعيار بقوله حين سئل ما سبيل العبد المقرب إلى الله تعالى-: (سبيله -والله الموفق الهادي- أن يزهد في الدنيا، ولكن زهد الراشدين العالمين لا زهد الجاهلين، فيطلب العلم مخلصاً لله تعالى متقرباً به إليه، ولا يترك التسبب الذي يغنيه عن الحاجة إلى الناس، ولا يعتزل الناس، بل يقيم بينهم صابراً عليهم مصححاً نيته في ذلك، فإن هذه طريقة الأنبياء عليهم السلام والخلفاء وأئمة المتقين، ويجاهد نفسه بالعلم وآدابه وتسديده وتقويمه، وليس الطريق إلى السلامة من الآفات الهرب من الناس، ولا متابعة القوم الذين تظاهروا بالفقر والزهد، غير ملتفتين إلى الشريعة وآدابها، معرضين عن ذلك ، معتمدين على خواطرهم، متمسكين برسوم لا أصل لها في الشريعة، معتضدين بأحوال لم يأت بها كتاب ولا سنة، زاعمين أنهم مع الحقيقة وليس عليهم الوقوف مع الشريعة، فإن هذا سبيل المغرورين المفتونين وطريق المضلين الدجالين»[2].

ومما تستقبح الفطر والعقول، عدم جمع المال،وتبديده،والتخلي عنه، لتعارضه مع دعوة الإسلام الصريحة إلى العمل، وضرورة حفظ المال، وادخار ما يكفي للمعاش، وإخراج الحق فيه، وذلك فعل من استحوذ الشيطان على عقولهم ونفوسهم، فدعاهم إلى ما يوافق أهواءهم وأغراضهم إلى هذا المنكر، فظنوا أن إمساكهم للمال يقدح في الإيمان،ويفسد الولاية،فتركوه زهداً ؛ وإنما هو زهد مبتدع، وبغي وظلم.

---

(١) الحافظ العلامة تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبدالرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري الشافعي، صاحب علوم الحديث، ولد سنة سبع وسبعين وخمس مئة، وتوفي سنة ثلاث وأربعين وست مئة .انظر سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٠-١٤٤).

(٢) فتاوى ابن الصلاح:(١٩٧ـ ١٩٨)،مسألة (٤٥)، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب بيروت ط/ ١ ١٤٠٧هـ.

إن الكد والكسب يوافق طبيعة النفس، وغرائزها وشهواتها، وميلها لتملك، فقد أخبر النبي ﷺ بأن خير الطعام، هو الطعام الذي يأكله الإنسان من عمل يده، فقال ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»[1].

وأن تكون الدنيا في اليد لا في القلب، ثم الإنفاق في وجوه البر والإحسان، وأول واجب عليه الإنفاق على نفسه وأهله ثم من يعول، وهو خير له من ترك نفسه ومن يعول فقراء عالة يتكففون الناس، هذا هو الميزان الذي تشهد العقول بحسنه وطِيبه، فما وافق الشرع فهو طيب، وما خالفه فهو خبيث، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «فأما كسب المال؛ فإنَّ من اقتصر على كسب البلغة من حِلها، فذلك أمر لا بد منه، وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال؛ نظرنا في مقصده، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة ؛فبئس المقصد، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته، وادخر لحوادث زمانه وزمانهم،وقصد التوسعة على الإخوان، وإغناء الفقراء،وفعْل المصالح أثيب على مقصده، وكان جمعه بهذه النية أفضل بكثير من الطاعات، وقد كان نيات كثير من الصحابة رضي الله عنهم في جمع المال سليمة ؛ لحسن مقاصدهم لجمعه، فحرصوا عليه، وسألوا زيادته»[2].

وفي الحفاظ على المال والإكثار منه حسن فهم للمراد من المال، يدل لذلك «أن أيوب عليه السلام لما عوفي ؛ خر عليه رِجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى، قال: بلى يارب، ولكن لا غنى لي عن بركتك»[3].

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده رقم (٢٠٧٢).

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١/ ١٦٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى «وأيوب إذ نادى ربه»، رقم (٣٣٩١).

ودعا النبي ﷺ لأنس رضي الله عنه: «اللهم ارزقه مالاً وولداً،وبارك له فيه»[1] فلو كان الإكثار منه مذموماً ما دعا الرسول ﷺ له أن يكثر ماله، وقال ﷺ لعمرو بن العاص: «ياعمرو! نعم المال الصالح للرجل الصالح»[2].

والزهد في المباحات وترك الاستمتاع بالطيبات، ومنع النفس من التمتع بزينة الحياة الدنيا وملذاتها، ليس من الزهد الصحيح في شيء، فمن الجهّال من زعم أن من الكمال الامتناع عن أكل اللحم،أو الحلواء، والفواكه،ولبس الثوب الجديد، ومن التزويج، وهذا زهد مزيف تأباه الفطرة المهتدية بنور الشرع؛ لأنها كاملة لا نقص فيها ولا عيب، فلا تأمر إلا بما فيه مصلحة، ولا تنهى إلا عما فيه مفسدة .

وقد ذكر الشيخ ابن سعدي[3] قاعدة جليلة ترجع إليها سائر القيم والأخلاق، لبيان ما تقرُّه الشريعة، وما تنكره، وما تقرُّه العقول، وما تنكره، قال رحمه الله: «فكل مسألة مشتملة على عدل وإحسان وإيتاء ذي القربى؛ فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي؛ فهي مما نهى الله عنه، وبها يعلم حسن ما أمر الله به، وقبح ما نهى

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم،باب من زار قوما فلم يفطر عندهم، رقم (١٩٨٢)، (٣/ ٤١).

(٢) مسند الإمام أحمد، باب حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ، رقم (١٧٧٦٣)، (٢٩/ ٢٩٩)، انظر صحيح ابن حبان، كتاب الزكاة، باب ذكر الإباحة للرجل الذي يجمع المال من حله ولا يضره رقم (٣٢١٠)، (٨/ ٦).

(٣) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، العلامة الفقيه المحدث المفسر العلامة المتبحر ألف في معظم أبواب العلم، من التفسير وعلومه والحديث وشروحه، والفقه وأصوله، والتوحيد ومقاصده، ولد في بلدة عنيزة في ١٢محرم عام ١٣٠٧هـ، وتوفي عام ١٣٧٦هـ انظر علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام (٣/ ٢١٨-٢٧٢) دار العاصمة ط٢/ ١٤١٩هـ، انظر مشاهير علماء نجد (٢٥٧) عبدالرحمن بن عبدالطيف ط١/ ١٣٩٢ هـ دار اليمامة للنشر.

عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال»[1].

وقد ركب تعالى في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه، فإذا مالت النفس إلى ما يصلحها، فمنعت؛ قوبلت حكمة الباري بما يردها، ثم يؤثر ذلك على البدن، فكان هذا الفعل مخالفا للشرع والعقل، ومعلوم أن البدن مطية الآدميِّ،ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ»[2].

وطريقة رسول الله ﷺ وأصحابه، في تناول المباحات هي الطريقة الموافقة للطبع والسجية،فإنهم لا يتكلفون في مطعمهم، فإذا لم يجدوا ما يأكلونه جاعوا، وهو غالب أحوالهم، وإذا وجدوا ما يأكلونه، أكلوا وشبعوا، لا أنهم يقصدون ترك الطعام بالكلية، وتهذيب النفس بالجوع ؛ فكانوا رضوان الله عليهم يتركون لأنفسهم فسحة في المباحات ، ويخلون بينها وبين مشتهياتها الطبيعية في توسط واعتدال،وهو مسطر في كتب التراث الإسلامي، في أبواب النزهة، والبستان، فقد كان ﷺ يأكل اللحم ويحبه، ويحب الدجاج، ويحب الحلوى، ويُستعذب له الماء البارد، ويُهدى إليه من أجمل الملابس، والفرش، والطعوم فيقبلها، وما نُقل عنه أنه أمتنع من مباح، فمن ادعى رتبة تزيد على رتبة السنة المطهرة، وأفعال الأكابر، لم يلتفت إليه.

وبهذا يتبين أن التوسع في المباحات لا ينافي الزهد، بل هو مستحسن عند العلماء والعقلاء ؛لأن هذه الساعة في المباح تعين على الطاعات ساعات، ولو علم الذين لا يتناولون المباحات ولا يمارسونها، الأحكام المتعلقة بالمباحات، لعلموا أن صاحبها لا يذم

(١) تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن بن سعدي (٢/ ٨٩) دار ابن الجوزي ط١/ ١٤٢٢هـ.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (١/ ١٩٠).

عقلا ولا شرعاً.

ومن صور زهد الراشدين العالمين،عمارة الوقت، والاشتغال بـه في جميـع آنائـه، بـما يقرب إلى الله تعالى أو يعين على ذلك، وعمارة الوقت تكون بالعمل الصالح والجهد المثمـر، شكراً لله تعالى، بالزراعة والصناعة،وتنمية الثروات، وكل ما فيه خير للأمة وإعداد لقوتها.

ومن صور الزهد لدى الراشدين العالمين بحقيقته، الجهاد بالكلمـة؛ نـصحا للأمـة، وتوجيها لها، ونشرا للعلم، وقـدة تمثـل ذلـك لـدى طائفـة مـن العلـماء الزهَّـاد مـن ذوي الاختصاص الشرعي، والخبرة العالية، حيث استـشعروا المـسؤولية الملقـاة عـلى عـواتقهم فشاركوا بالبلاغ عبر وسـائل الإعـلام المختلفـة، في نـشر الـدعوة، والتعريـف بالإسـلام، لتحقيق مقصد حفظ الدين،وتقوية العقيدة في النفوس،وتبيين خصائص الإسـلام، ومعـالم الثقافة الإسلامية، وإيجاد الحلول لحودث الناس ومستجدات العصر.والنفوس مجبولة عـلى حب الخير وقبوله، واحترام العلماء وتقديرهم،وتثمين توجيهاتهم .

بينما نجد طائفة من المنتسبين للعلم أعرضوا عن المشاركة في وسائل الإعلام بدعوى الزهَادة في الدنيا وعدم الرغبة في الظهور، والذي ينظر بعين البصيرة، ويتفهم الواقـع عقـلا وشرعا، يجد أن المشاركة في وسائل الإعلام، أمر ملـح للغايـة، وضرورة شرعيـة متأكـدة، وحتمية واقعية تدعو لها طبيعة العصر ومستجداته، يضاف إلى ذلك يسر التكـاليف الماليـة، وسرعة تأثير التوجيه،وقبول جماهير الناس ممن يرغبون في الخير من كافة أفراد المجتمع[1].

ومما لا ينافي الزهد، بل هو من لوازمه الـشجاعة في قـول الحـق والأمـر بـالمعروف

(١) انظر الانترنت ومقاصد الشريعة وأصولها وقواعدها، نورالدين مختـار خـادمي ص ٩٩ ومابعـدها، مكتبـة الرشـد ط١ ١٤٢٧.

والنهي عن المنكر، فالشجاعة تنبع من غرائز فطرية، وأوامر دينية، فقد جعل الله أمر الدين لا يقوم إلا بالشجاعة،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم ؛ بيَّن سبحانه أن من تولى عن الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك»[1].

إن شدة التعلق بالدنيا وزينتها توجب لصاحبها الخوف على مصالحه، والجبن عن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمؤمن الزاهد في الدنيا لدية جرأة أدبية في إظهار الحق، والنصح لإخوانه، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بخلاف من يتوارى عن الأنظار، قابعا في داره، متقوقعا على نفسه، فترت همته عن قضاء حوائج الخلق، والسعي في مصالح المسلمين بجلب النفع ودفع الضر، معطلا شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عادّا ذلك من الزهد والخفاء، وعدم التدخل فيما لا يعنيه، فهذا مسلك لا يرضاه عاقل متفهم أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول ابن القيم رحمه الله: «إن الشجاع منشرح الصدر، والجبان أضيق الناس صدرا، وأحصرهم قلبا، لا فرحة له ولا سرور ولا لذة ولا نعيم ؛ إلا من جنس ما للحيوان البهيمي»[2]. ويكفي أن صاحب هذه الشعيرة محفوظ من الله، مخصوص منه بحسن الخاتمة، والوقاية من سوء المصرع في الدنيا، فكيف يفلح جاهل متزهِّد يتقلب بين السلبية والأنانية، يزري على أصحاب الهمة العلية، الذين يجاهدون في الله بإقامة هذه الشعيرة وإفشائها بينهم[3].

(١) فتاوي ابن تيمية (٢٨/ ١٧٥).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم (٢/ ٢٥) مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢٧ / ١٤١٥هـ.

(٣) انظر هذه أخلاقنا محمود محمد خزندارص ٧٤/ ٧٥ دار طيبة ط٤/ ١٤٢٠هـ.

ومن الصور المشرقة للزهد لدي العارفين، والعلماء الربانيين، الاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى، فالزاهد قدوة أهل زمانه في نفع الناس وإيصال الخير لهم، يتعب وينصب في إنجاز ما كلفه الله به من واجبات، حتى إذا فرغ من واجب قام بواجب آخر.

فالعلماء الربانيون والدعاة إلى الله هم الزاهدون حقا، وغيرهم تقاعس وقعد عن القيام بهذا الواجب العظيم، حيث تجدهم يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز، ولئن فات العلماء والدعاة شيء من متع الدنيا وهم يقومون بهذه المهمة الجليلة فإنهم يتذكرون ما أعده الله لهم وللعاملين من الأجر والرضى والنعيم، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى «كلما سكنت نفسه من كلال السير ومواصلة الشدة والرحيل، وعدها قرب التلاقي، وبرد العيش عند الوصول، فيحدث ذلك لها نشاطا وفرحا وهمة، فهو يقول: يانفس! أبشري فقد قرب المنزل، ودنا التلاقي، فلا تنقطعي في الطريق دون الوصول، فيحال بينك وبين منزل الأحبة»[1].

وعلماء هذا العصر كأمثال الشيخ محمد بن إبراهيم[2]، وعبدالعزيز بن باز[3]، ومحمد

(١) طريق الهجرتين ،ابن القيم ١٨٣.

(٢) العلامة الجليل الشيخ محمد بن إبراهيم بن الشيخ عبداللطيف آل شيخ ،مفتي المملكة ، ورئيس القضاء والشؤون الإسلامية ، ولد في الرياض سنة ١١٣١ هـ، كان ذكياً قوي الحفظ ، وافر الشجاعة قوي الشكيمة لايخاف في الله لومة لائم ، أتاه الله هيبة في قلوب الناس ، لايفتر عن التدريس والإفتاء ، توفي سنة ١٣٩٨هـ . انظر مقدمة فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ط٢ ١/ ٩-٢٣.

(٣) هو سماحة الشيخ الإمام القدوة الزاهد العابد عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز ولد في الثاني عشر من ذي الحجة ثلاثين وثلاث مئة وألف للهجرة سنة مجدد هذا القرن عين في القضاء عام ١٣٥٠هـ =

ابن عثيمين[1]، وعبدالله بن جبرين[2]، وغيرهم ممن وافتهم المنية، فهموا الزهد فهما دقيقا وطبقوه واقعا ملموسا، كانت لهم في العلم ونشره همة عالية لا تقدر على المهلة،ولا يتمالك صبره ..ولا تلتفت عنها ..مع حرصهم على سرعة الوصول، والظفر بالمطلوب، فعندما يستقيم الميزان، وتصحح المفاهيم، ويتنزل الزهد منزلته الصحيحة، سينجد عودة حميدة من الناس إلى الزهد الفاعل، وستعود سير أهل الفضل واقعا في حياة الناس.

ومما يتوافق مع حقيقة الزهد،العيش على القناعة والكفاف، ومجاهدة النفس عن المسألة، والمقياس العقلي للزهد، يتوافق مع مايدعوا إليه الشرع، وتدعوا إليه الفطرة السوية، من تنزيه النفس، وعدم مهانتها، بمذلة السؤال، والتعفف طريق يسلكه الزاهدون إلى

=

ولازم البحث والتدريس ليل نهار ولم تشغله المناصب توفي سنة أربعمائة وعشرين وألف للهجرة .انظر علماء ومفكرون عرفتهم ١/ ٧٧ ط٤ ١٩٩٢م دار الشواف ، جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز رواية محمد الموسى وإعداد محمد الحمد.

(١) أبو عبد الله محمد بن صالح الوهيبي التميمي، مولده في عام ١٣٤٧هـ، في مدينة عنيزة – إحدى مدن القصيم– بالمملكة العربية السعودية. درس على فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله تميز بالحلم والصبر والجلد والجدية في طلب العلم وتعليمه وتنظيم وقته وكان قمة في التواضع والأخلاق الكريمة والخصال الحميدة وفاته شوال سنة ١٤٢١هـ .انظر ابن عثيمن الإمام الزاهد للدكتور ناصر الزهراني.

(٢) العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين، الزاهد العابد، عضو هيئة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، وأحد أبرز كبار العلماء في العالم الإسلامي، ولد في إحدى قرى القويعية ١٣٥٢هـ، له دروس كثيرة متنوعة في التوحيد والحديث والفقه وأصوله، والتفسير والنحو والسير وغيرها وله من الشروح منها شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب، وشرح الزركشي على مختصر الخرقي وشرح لمعة الاعتقاد وغيرها توفي سنة ١٤٣٠ انظر موقع ملتقى أهل الحديث على الشبكة الالكترونية، منتدى أهل العلم المعاصرين .

الجنة، فقد عدَّ رسول الله ﷺ من أهل الجنة: (عفيف متعفف، ذو عيال)[1].

وشرف المؤمن استغناؤه عن الناس، وزهده عما في أيديهم، فذلك يحبب المرء إليهم، وفي وصية موجزة قال رسول الله ﷺ: (وأجمع اليأس عما في أيدي الناس)[2].

وفي الناس من اهتزت قناعاته، وضعف إيمانه،وقل حياؤه، ولم يرض بما قسم الله له، فاعتاد الاتكال على الآخرين في عيشه، وركن إلى الكسل،وهو يظن أنه وصل إلى رتبة الزاهدين، والإسلام ينهى عن المسألة إلا لضرورة معتبرة ، ولا يقبل لأتباعه أن يكونوا عالة في أرزاقهم، ولا متطفلين على أموال غيرهم،ولهذا دعا النبي ﷺ وهو سيد الزاهدين (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)[3].

نقل الحافظ في الفتح قول ابن بطال[4]: «فيه دليل على فضل الكفاف، وأخذ البلغة من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك ؛رغبة في توفير نعيم الآخرة، وإيثارا لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك»[5]. ولهذا سار الصالحون من سلف الأمة وزاهديها، على الطريقة النبوية الكريمة في القناعة والكفاف، وإعزاز النفس ورفعها، وفي عصرنا ما يجدر ذكره من زهد علمائنا وتعففهم وكفافهم، يقول محمد الموسى:«وكان سماحة الشيخ

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمه وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا ، رقم ٢٨٦٥

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الحكمة ،رقم (٤١٧١)، (٢/ ١٣٩٦) حسنه الألباني.

(٣) سنن الترمذي كتاب الزهد باب ماجاء في معيشة النبي ﷺ رقم (٢٣٦١)، (٤/ ٥٨٠) صححه الألباني.

(٤) الشيخ العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال القرطبي النابلسي، من أهل العلم والمعرفة والفهم شرح صحيح البخاري، وله كتاب في الزهد والرقائق، توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧)، الأعلام للزركلي، (٤/ ٢٨٥)، ط١٥ دار العلم للملايين.

(٥) فتح الباري ابن حجر (١١/ ٢٩٣) دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

عبدالعزيز بن باز يعيش على عيشة القناعة، والزهد والكفاف ؛ فلم يكن يمسك شيئا من حطام الدنيا، ولم يكن يتطلع إلى مال، أو جاه، أو منصب ..ولم أسمع منه أو عنه أنه مال في يوم من الأيام إلى الدنيا، أو طلب شيئا من متعها»[1]. وهذا التعفف هو عادة الراسخين في العلم، فمن نظر في أحوالهم، واستقرأ سيرهم، عرف إقبالهم على الآخرة وزهدهم في الدنيا، وإعراضهم عنها.

الفطرة السوية، المزودة بالغريزة والعقل، تأبى إطراء النفس ومدحها، لما يبعثه في النفس من الاغترار بالعمل، والاعتماد عليه .جاء عن أرباب الزهد ما يشعر بذمه ورفضه، وعدم قبوله، فإن من أَظْهر أوصافهم، أن يستوي عندهم حامدهم وذامهم في الحق، وهذا من الزهد في الناس، تجد الواحد منهم إذا أكثر من الثناء عليه، وذكرت بعض أوصافه، تململ وتغير وجهه،ويقول: الله المستعان، الله يتوب على الجميع،الله يستعملنا فيما يرضيه، قال النووي[2] في شرح مسلم: «قوله: (أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن) وفي رواية: (ويحبه الناس عليه)[3]، قال العلماء: معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، هو دليل على رضاء الله عنه، ومحبته له، فيحببه إلى الخلق، ثم

(١) جوانب من سيرة الإمام ابن باز رواية محمد الموسى، وإعداد محمد إبراهيم الحمد،ص ١٥٤ دار ابن خزيمة ط١ / ١٤٢٢هـ.

(٢) الإمام النووي يحي بن شرف الدين بن مري ، محي الدين ، أبو زكريا النووي ، الحافظ الفقيه الشافعي ، الزاهد ، أحد الأعلام ولد بنوى سنة ٦٣١ ، ألف مصنفات نفع الله بها المسلمين ، توفي سنة ٦٧٦ .انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٣٩٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره، رقم ٢٦٤٢.

يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لمدحهم، وإلا فالتعرض مذموم»[1].

والمعيار الصحيح في المدح والذم عموما، راجع إلى صلاح الشهداء، ووافر علمهم، ودقة فهمهم، والتحري في الحكم، وتقوى الله تعالى فيما يقولون من مدح أو ذم، فغالب ميزانهم قائم على العدل والإنصاف، أما غالب الناس فمدحهم وذمهم راجع إلى موازين مختلة، وقيم هابطة، وتفاضل بين الناس بالمال والجاه، فلا اعتبار لحكم الناس، وشهاداتهم، ولالتفات لذمهم أو مدحهم، فثناؤهم محصور فيما يستحسنونه من خصال، وذمهم محصور فيما يستقبحونه من خصال غير مرغوبة لهم، لهذا كله فإن الزاهد حقا من زهد في مدح الناس وذمهم .

من صور الزهد المزيف،اعتقاد أن العمل في هذه الدنيا، يدل على نقص إيمان المرء، ونقصٍ في توكله، وهذا قلة فهم ؛لأنهم يظنون أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن،وهذا الفهم مخالف لحقيقة التوكل التي جاء بها الشرع واستحسنتها العقول، فقد أثنى الله على المتوكلين، ولا يكون العبد متوكلاً على الله حق التوكل إلا إذا صاحب توكله سعي وطلب للرزق، ومعلوم عند أصحاب العقول الصحيحة أن السعي والتكسب لا ينافيان التوكل على الله سبحانه، وتعلق القلب إنما يكون بالله الرازق لا بالسبب، فالمؤمن الزاهد المتأسي في زهده بالمرسلين، يتوكل على الله حق توكله، ويغدولطلب الرزق، لو أن هؤلاء المتواكلون توكلوا على الله حق توكله، وأيقنوا أن رزقهم على الله، وفعلوا الأسباب، لرزقهم الله كما يرزق الطير، «وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتَّجرون، ويجمعون الأموال ..وقد ورد

(١) شرح صحيح مسلم، النووي (١٦/ ١٨٩)، دار إحياء التراث العربي بيروت ط٢/ ١٣٩٢هـ.

عن أبي بكر الصديق ﷺ، أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة:فمن أين أطعم عيالي؟»[1]. وهذا هو المعيار الصحيح للتوكل على الله تعالى.

ومن الناس من يزهد في الرياسة، ويفر منها تعبدا لله بتركها؛ لما فيها من وجاهة، وزينة، وما تدعو إليه من التفاخر والكبر،وفي الناس من يسعى لها بكل طريق، ويرغب في الوصول إليها بكل سبيل، فهؤلاء على طرفي نقيض، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة، فمن أخرج من قلبه حبَّ الرياسة في الدنيا، والترفع فيها على الناس، فهو الزاهد حقا، وهذا هو الذي يستوي عنده حامده وذامه في الحق.

لكن الميزان الذي يرجع إليه هو ميزان العقل الموافق للأدلة الشرعية ، وقد ذكره العلماء المحققون، يقول القرطبي[2] رحمه الله تعالى: «لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه، لتعيّن ذلك عليه، ووجب أن يتولاها..فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلبها..فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها، دليل على أنه طلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك»[3]. إن كان مما تعيَّن على العبد القيام به، إذا كان ممن وهبه الله تعالى العلم،والصلاح،وقوة النفس، فعليه أن يقوم حيث أقامه الله تعالى، خدمة للدين، وإصلاحا للناس، ولا يترك الرياسة لما فيها من وجاهة،

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، (١/ ١٦٥).

(٢) الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، كتابة الجامع لأحكام القرآن من أشهر الكتب في التفسير توفي سنة ٦٧١ هـ في شوال .انظر الأعلام للزركلي ٥/ ٣٢٢.

(٣) الجامع الأحكام القرآن القرطبي (٩/ ٢١٦) دار الكتب المصرية ط٢ / ١٣٧٣هـ.

وزينة، وما تدعو إليه من التفاخر والكبر، بل يقبلها إن علم في نفسه مقدرة على الإصلاح والنفع،والسلامة من الظلم، والسكوت عن المنكرات، ونحو ذلك مما يضر دينه، فإن خشي وقوع شيء من ذلك فلا يقبل، فالعاقل الموفق لا يعدل بالسلامة في دينه شيئاً»[1].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «إن سألها لإصلاح ما فسد منها، فإن ذلك جائز، إذا علم من نفسه القدرة، وإلا فلا يجوز، لأن السلامة للإنسان أسلم وهذا القول التفصيلي هو الصحيح، لأن به تجتمع الأدلة، فإن الإنسان مثلاً، إذا رأى ولاية قام عليها شخص ليس أهلاً لها، إما في دينه، أو أمانته، وتصرفه، وهو يعلم من نفسه القدرة على القيام بها على أحسن حال، أو على الأقل بوجه أحسن مما كانت عليه، فلا بأس أن يسألها، لأن غرضه بذلك غرضٌ عملي وإصلاحي ، وليس غرض شخصياً.أما إذا لم يكن هنالك سبب، أو يعرف الإنسان من نفسه أنه ضعيف لا يستطيع القيام به، فلا يسأل، ولا يجوز أن يسأل»[2].

وعلى هذا تارة يكون من الزهد ترك الرياسة وعدم الحرص عليها، إذا وجد من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلبها.

وتارة يكون من الزهد قبولها؛ إذا علم من نفسه أنه يقوم بالحق، ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه، لتعيّن ذلك عليه، وجب أن يتولاها.

والبخل بالمال مما يستقبح، وهو ناشئ من طبيعة الحرص على جمع المال، والخوف من الفقر، فأدعياء الزهد يمسكون عن الإنفاق في وجوه الخير، وهي رذيلة تخل بالدين والمروءة.

---

(١) إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه ، صفاء العدوي (٥/ ٤٥٥)، مكتبة دار اليقين ط١ / ١٤٢٢هـ.

(٢) تفسير سورة ص (١٧٥) دار الثريا للنشر ط١ / ١٤٢٥هـ.

وأما الزهد في المال فهو كثرة الإنفاق في سبيل الله وفي وجوه الخير والبر، فالإنفاق يقوم على الشعور بأن للمال قيمة، وأن للحياة مطالب يبذل المال في سبيلها، يقول أبو حاتم البستي[1]: «فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله من حطام هذه الدنيا الفانية، وعلم زوالها عنه، وانقلابها إلى غيره، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة، أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق من ماله، والقيام بالواجب في أسبابه، مبتغيا بذلك الثواب في العقبى، والذكر الجميل في الدنيا؛ إذ السخاء محبة ومحمدة، كما أن البخل مذمة ومبغضة، ولا خير في المال إلا مع الجود»[2].

والسخاء ليس مقتصرا على بذل المال ؛ بل له صور أعم وأشمل، فمن السخاء سخاوة الإنسان بجاهه، بحيث يبذله في سبل الخير، والشفاعات الحسنة، وسخاوة الإنسان بعلمه، ورياسته،وراحته وإجمام نفسه،وجوده بنومه ولذته، ووقته في سبيل نفع الناس. فالسخاء مما تستحسنه النفوس والعقول؛ لأن من العادة أن تكون النفوس شحيحة بالمال، والقلوب به متعلقة، واليد له ماسكة، ومع ذلك بذله وأنفقه، وهو لما سواه من حقوق العباد أبذل، فما أجدر العاقل أن يأخذ نفسه به، وأن يجاهدها على اكتسابه، وأن ننذرها سوء المنقلب الذي ينقلب إليه البخلاء والمبذرون.

(١) أبو حاتم بن حبان بن أحمد التميمي البستي، محدث ولغوي وفقيه، يتنقل بين البلدان وحدث عن كثيرين وحدث عنه كثيرون، من المكثرين في التأليف، توفي سنة ٣٥٤ هـ. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٩٢٠-٩٢٤) دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٤

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، الحافظ البستي (٢٣٥)، دار الكتب العلم.

المعيار الثالث: العرف:

إن لكل مجتمع من المجتمعات قيما دينية واجتماعية وأعرافا،تمكنت من النفوس، ورسخ احترامها في القلوب،أعرافاً ينشأ عليها كل فرد من أفراد المجتمع منذ ولادته، ويحرص على التمسك بها، تلك قضية مسلمة لا تقبل الجدل ؛ لأنها تلبي حاجة الجماعة التي ينتمي إليها.

وعليه فإن لهذه العادات والأعراف أهمية قصوى بين أفراد المجتمع، فهي تسهم في تماسك وحدته، ومفخرة من مفاخره التي يعتز بها، وقد ترتفع قداسة هذه الأعراف عند بعضهم إلى مرتبة الدين، ويظهر ذلك في شدة التمسك بها، وعدم الاستغناء عنها .

فالأعراف إذا مجموعة العادات والتقاليد التي اعتادتها كل أمة وتتخذها منهاجا للسير عليها، ولها في نفوس الأفراد احترام عظيم، وسلطان قوي، فيرون أنفسهم ملزمين باتباعها، والجري على سننها، ويرون الخروج عليها إثما عظيما يثير الاستياء وقد يوجب العقوبة .

والعرف في الاصطلاح: «هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطباع السليمة بالقبول»[1].

ويعرف كذلك بأنه: «ماعتاده أكثر الناس، وساروا عليه في جميع البلدان أو في بعضها سواءً أكان ذلك في جميع العصور، أم في عصر معين»[2].

فالعرف إذا شامل لما اطمأنت إليه النفوس من الأمور المتكررة، من الأقوال

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، باب العين ١٤٩، ط١ ١٤٠٣، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(٢) العرف وأثره في الشريعة والقانون، د. أحمد المباركي، ص ٣٥ط١/ ١٤١٢هـ.

والأفعال وكان منشأ قبوله استحسان العقل وسلامة الطبع، وليس مجرد الانقياد للهوى والشهوة.

والشريعة الإسلامية تراعي مشاعر الناس وأعرافهم، وما ارتضوه من أساليب الحياة، فقد راعت الأعراف السائدة التي تتفق مع مقاصد الشريعة، وتتلاءم مع مبادئها، ورفضت كل عرف سائد يضر بالإنسان أو ينشر الظلم بين الناس أو يهدر حقوقهم.

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية اعتبار العرف مرجعاً في تطبيق الأحكام الشرعية بقوله «الأسماء التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله معلقا بها أحكام شرعية، منها ما يعلم حده في اللغة؛ كالشمس والقمر، ومنها ما يعلم بالشرع؛ كالمؤمن والكافر والمنافق، وما لم يكن له حد في اللغة ولا في الشرع، فالمرجع فيه إلى عرف الناس»[1] .

وبهذا يتبين مراعاة الشريعة لأعراف وعوائد الناس فيما يتعلق بتطبيق ماجاء فيها من قواعد كلية يشق وضع حدٍ واحدٍ لها، ويمكن تطبيقها حسب ظروف الناس وأحوالهم، بما يرفع الحرج عنهم ويقيم مصالحهم، يقول ابن القيم: «من أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم، وعوائدهم، وأزمنتهم، وأحوالهم، وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل»[2].

فالأحكام المبنية على العرف تتغير بتغير الزمان والمكان، فإذا أردنا أن نصوب خلقا أو قيمة أو نحكم بفسادها فإننا نجري ذلك وفق عادة ذلك البلد، لا بما هو مسطر في الكتب، لأن كثيرا من القضايا يتوقف البت فيها على معرفة العادات بين الناس، في بيعهم

(١) مجموع الفتاوى (٢٩/ ١٥-١٦).

(٢) إعلام الموقعين، (٣/ ٦٦) دار الكتب العلمية بيروت، ط١/ ١٤١١هـ.

وشرائهم، ونكاحهم، ولباسهم وطعامهم،وسائر معاملاتهم، وما يعد مخلا بالمروءة قادحا في الشهادة، ليتسنى الحكم بما هو معروف بينهم.

وبهذا يتبين لنا مدى اهتمام الشريعة بالعرف علما وعملا، قاعدة وتطبيقا.

إن تحديد معايير لتقويم الأعراف والعادات أمر ضروري، لأن تلك المعايير بمثابة ميزان يقيس مدى صحة العادات أو فسادها فمن أهم تلك المعايير:

أولاً: عدم مخالفة العادة للشريعة الإسلامية:

إن الشرع هو المعيار الصحيح الذي يقِّوم به المرء ويقيس صحة أعماله وأعرافه وعاداته، ذلك أن الشرع يهدف إلى سعادة المرء في حياته وبعد مماته، فهو يحرم كل ماهو خبيث ضار في حياة الفرد والمجتمع، ويحل كل ما هو طيب نافع للناس، ويأمر بكل خير وينهى **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[1] فالله عز وجل أمر الناس أن يزنوا أمورهم بميزان الشريعة لا بميزان ما تهواه أنفسهم ورغباتهم، فهم لا يحيطون بكل خير وبكل شر في الحياة، حتى يستطيعوا وضع معيار وميزان يعِّرفهم الخير والشر .فالشرع هو المعيار بين أيدي المؤمنين يردون إليه جميع شؤون حياتهم من عقائد وأحكام وأخلاق وعادات.

ثانياً: خلوها من المفسدة وتحقيقها للمصلحة:

إن من أهم مقاصد الشريعة انتظام أمر الأمة بجلب المصالح إليها، ودفع الضرر

(١) سورة الحديد، الآية (٢٥).

عنها في جميع الأمور، سواء كانت في العبادات أو المعاملات أو الآداب والسلوك والأعراف أو غيرها.

وفقه المرء وسعة علمه وحسن إلمامه بالأعراف ومآلاتها، يساعد في تقويمها والتأكد من سلامتها، وخلوها من المفاسد.

إن كثير من مفاسد الأعراف والعادات اعتادها أصحابها وألفوها، حتى أصبحوا لا ينكرونها، وذلك مثل الأعراف والعادات المتعلقة بإضاعة المال، والتكبر والخيلاء، والإضرار بالآخرين .ولذلك نجد ضرورة التنبه لهذا المعيار في عصرنا، الذي لم يعد يَغْلب فيه التسليم بقبول الحكم،وإنما الغالب على الناس التساؤل والبحث لمعرفة السبب والعلل في الحرمة أو الحل .

فإذا كان العرف والعادة مصلحة محضة، أو مصلحة غالبة على ما فيها من المفاسد فحكمها القبول،وإذا كانت مفسدتها محضة أو غالبة على مصلحتها فحكمها المنع، وبهذا المعيار نتمكن من تقدير المصلحة أو المفسدة المترتبة على تلك الأعراف والعادات ليكون الحكم مبنياً على أصول الشريعة.

ثالثاً: عاقبتها وما تؤول إليه:

الشرع الحكيم يمنع الفساد قبل وقوعه، وذلك بتحريم ما يؤدي إلى الفساد وقد قرر علماء الأصول قاعدة سد الذرائع، وأبطلوا بها الأعمال التي تؤول إلى فساد وهي في ذاتها لا فساد فيها. ومن هنا يتضح ضرورة النظر إلى عواقب الأعراف والعادات وما تؤول إليه عند تقويمها، إذ هو معيار يجب اعتباره لنحكم على صحة أو فساد عرف أو عادة من

العادات .وهذا المعيار يتجلى بوضوح في كراهية الرسول ﷺ قيام صحابته رضوان الله عليهم له، حيث كان ﷺ يخشى ما تؤول إليه تلك العادة إلى مالا يحمد عقباه، عن أنس بن مالك ﷺ قال: «ما كان شخص أحب إليهم من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك»[1] وقد شاع في بعض المجتمعات الإسلامية التعظيم الصريح، حيث آل القيام إلى الانحناء عند السلام أو التحية.

من خلال هذه المعايير نستطيع أن نحكم على أعراف الناس وعوائدهم وتصرفاتهم ونميز ما يتوافق منها مع قيمة الزهد بشتى أنواعه وصوره،وما لا يتوافق، فما كان من هذه الأعراف والتصرفات جالباَ لمصلحة أو دافعاً لمضرة، وشهد له دليل الشرع بالاعتبار، فهو عرف صالح ويدخل في حقيقة الزهد، وما كان منها جالبا لمضرة أو مفوتاً لمنفعة، أو خالف نصا شرعيا فهو عرف فاسد تأباه محاسن العادات، ويخرج عن دائرة الزهد المشروع.

فالعرف الصحيح: «هو ما تعارفه أكثرية الناس من قول أو فعل، شهد له دليل الشرع بالاعتبار، أو لم يشهد له نفيا أو إثباتا، لكنه لم يفّوت مصلحة، ولم يجلب مفسدة»[2] والعرف الفاسد: «مايتعارفه الناس كلهم أو بعضهم مما يخالف الشرع، أو يجلب ضرراً، أو يفوت نفعاً»[3].

الزهد قيمة إسلامية ثابتة في أصلها مرنة في تطبيقها، ومن دواعي تغير تطبيقها ما يتعلق بالمكان فالمكان له تأثيره على العرف بظروفه من سهولة ووعورة، وحر وبرد، وأمن

(١) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل رقم ٢٧٥٤ صححه الألباني.

(٢) العرف وأثره في الشريعة الإسلامية والقانون، د.أحمد المباركي، ص (٦٥).

(٣) المرجع نفسه ، ص (٦٧).

وخوف،وهناك دواعي لتغير تطبيقها تتعلق بالزمان، والزمن يرتبط به العبادات والأحكام والشعائر الإسلامية، حيث تتغير أعراف الناس وعاداتهم بتغير الزمن .

والشريعة الإسلامية تراعي أحوال الناس وعاداتهم وظروفهم، ولا تكلفهم بما لا يستطيعون أو بما يوقعهم في حرج، ولا بما يخالف مع ما جبلوا عليه من غرائز، وفطروا عليه من طبائع، ومراعاة التيسير والتخفيف في المكان والزمان مقصودة ومطلوبة من الشارع الحكيم.

يقول ابن القيم رحمه الله: «الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة، هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحوها ذلك لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة»[1].

ونخلص إلى القول بأن العرف له أثر كبير فيما يعد من الزهد وما لا يعد، نتيجة لاختلافه بين الأشخاص والأماكن والأزمان .

والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

العادات في الطعام: الطعام وسيلة لتلبية حاجات الجسم، كي يستمر في أداء مهمته في هذه الحياة، ومن هنا كان على المسلم الزاهد تناول طعامه في توسط واعتدال، فإن

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، (١/ ٣٣٠-٣٣١)، مكتبة المعارف الرياض.

الإسلام لم يترك للإنسان حرية تناوله كما يريد، بل جعل له دائرة الحلال يتناول منها، وجعل لتناوله سنناً وآداباً يلتزم بها في عادات الأكل، سواء أكان الإنسان يأكل منفردا أم مع غيره، والزاهد يتأسى بما كان عليه الرسول ﷺ في طعامه، حيث كان له في طعامه عادات وأعراف منها:

الأكل باليمين، أخرج الشيخان عن عمر بن أبي سلمه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله ﷺ: (ياغلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك)[1].

ومن عادته أكله بثلاثة أصابع عن كعب بن مالك قال: (كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاثة أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها)[2].

ومن عادته في طعامه عدم عيبه فعن أبي هريرة قال: (ما عاب رسول الله ﷺ، طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه)[3].

ومن عادته حمد الله بعد الطعام، فعن أبي أمامة: أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه، قال: (الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي، ولا مكفور)[4].

ومن عادته في طعامه قلة الأكل، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) أخرجه البخاري،كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم ٥٣٧٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، رقم ٢٠٣٢.

(٣) أخرجه البخاري،كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعاما، رقم ٥٤٠٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه،رقم ٥٤٥٩.

(المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء)[1].

ومن عادته وسيرته في طعامه ما ذكره ابن القيم رحمه الله «كان هديه ﷺ وسيرته في طعامه: لا يرد موجودا، ولا يتكلف مفقودا، فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه، فيتركه من غير تحريم»[2].

فليس الأكل غاية عند الزاهد في الدنيا، بل وسيلة لتلبية حاجاته الجسمية، لأداء مهمته في الحياة، لذا كان تناوله الأطعمة بقدر الحاجات، ضروريا على تكرار الأوقات، فليس من الزهد تجويع النفس وتعذيبها بترك الطعام .،يقول ابن مفلح: «واعلم أنه متى بالغ في تقليل الغذاء أو الشراب حتى أضر بدنه، أو شيء منه،أو قصر في فعل واجب، أو لحق آدمي كالتكسب لمن تلزمه مؤنته فإن ذلك محرم، وإلا كره إذا خرج عن الأمر الشرعي، وخير الأمور الوسط»[3].

وقد تغيرت الأعراف والعادات في الأكل، فحين بدأت الفتوح في عصر الخلفاء الراشدين، وتوسعت واستقرت الأمور، وزادت الثروات في أيديهم، وعم الترف بين الناس،وأتت القوافل من مصر وغيرها تحمل اللحم والسمن وصنوف الطعام والكساء مما لم يعهدوه من قبل، تغيرت عادات الناس في طعامهم وشرابهم ولباسهم، وقلدوا الفرس والرومان، في أسباب وطرق الترف، وتعرف المسلمون على الكثير من أدوات المائدة، فبعد أن كانوا في بداية عصر الخلفاء الراشدين يأكلون بأيديهم، تعلموا من الفرس استعمال

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل في معي واحد، رقم٥٣٩٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، (١/ ١٤٢).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، (٣/ ١٩٤).

الملاعق والتي كانت مصنوعة من الخشب والفخار والخزف .كما تعرفوا على العديد من أنواع الأطعمة، والتي صارت فيما بعد من عاداتهم وأعرافهم،فكان من طعامهم اللمزة وهي الخبز المفتوت بالسمن، والكوتان عبارة عن الأرز مع السمك، والشعيرية وهي طعام مصنوع من الدقيق في حجم الشعير وهو عبارة عن خيوط دقيقة، وما إلى ذلك من العادات والأعراف(١).

ولتطور الوسائل الحياتية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، تولدت عادات وأعراف واستجدت أنواع في عادات الأكل والمائدة، أصبح لها أثر عظيم في النفوس، وسلطان قوي، مما اقتضتها الحياة العصرية و لا تتنافى مع قيمة الزهد المشروع، فمن التغير في عادات الأكل التي لا بأس بها تقطيع الخبز واللحم بالسكين، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قطع اللحم بالسكين(٢) والأكل على الخوان «التربيزة أو المائدة) وهذا لا شيء فيه، وإن كان الأولى والأفضل الأكل على السفرة وهو ما يفرش على الأرض، وكذلك الأكل بالشوكة والملعقة ونحوها، و الأكل واقفا لعذر لضيق المكان، وفي أثناء العمل ونحو ذلك(٣).

فمثل هذه العادات والأعراف التي تقبل التغير والتبدل ، لا يخرجها التغير والتبدل عن دائرة الزهد المشروع ؛ لأنها أصبحت من العوائد الحسنة الجارية بين الناس، ولم يرد في إثباتها أو نفيها دليل شرعي، فالشريعة مبنية على رفع الحرج والمشقة، ومراعاة مصالح العباد في المعاش والمعاد.

---

(١) انظر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الخلفاء الراشدين، د.مسعود يحيى إسعيد الأغا، ١٣٧، ط١ ١٤٢٤هـ الرياض.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب قطع اللحم بالسكين، رقم ٥٤٠٨.

(٣) انظر السلوك الاجتماعي في الإسلام،حسن أيوب، ٣٧٨-٣٧٩، ط٤ / ١٤٠٣هـ ،دار الندوة الجديدة بيروت لبنان.

العادات في اللباس:

اللباس حاجة من الحاجات الضرورية، وهو وسيلة لثلاثة مقاصد:

ستر العورة، والزينة والتجمل، والوقاية من الحر والبرد، وفي حدود هذه المقاصد كانت عادة النبي ﷺ في ملبسه، فمن عادته ﷺ التي تدل على زهده في لباسه، وتوسطه واعتداله فيه، أنه كان يلبس ما تيسر له، فقد لبس الصوف والقطن والكتان قال ابن القيم في عادته في لباسه: «ولبس ﷺ البرود اليمانية، والبرد الأخضر، ولبس الجبة، والقباء، والسراويل، والإزار والرداء، والخف والنعل»[1].

وعاداته في اللباس كثيرة حسبنا ذكر طرف منها:

أخرج الشيخان عن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة كساءً وإزاراً غليظا، فقالت: «قبض روح النبي ﷺ في هذين»[2].

وقال أنس: «كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة»[3].

وكان ينهى عن لباس الشهرة، التي تقصد للاشتهار بين الناس بسبب نفاستها وتميزها، وإنما تلبس تفاخرا بالدنيا وزينتها،أو قلتها وحقارتها، قال ﷺ: (من لبس ثوب شهرة، ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة، ثم تلهب فيه النار)[4].

وهذا يدل على سماحة الإسلام في اللباس وأن التغير في اللباس وفق هدي الإسلام

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (ص ١٣٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الأكسية والخمائص، رقم ٥٨١٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبر والشّملة،رقم ٥٨١٣.

(٤) سنن أبي داود كتاب اللباس، باب في من لبس شهرة، رقم ٤٠٢٩، حسنه الألباني.

جائز في حدود ستر العورة، وعدم لبس المحرم كالحرير، أو ما يخدش الحياء، أو تقليد الكفار «والزاهد يقتصر في الملبس على ما يدفع الحر والبرد، ويستر العورة، ولا بأس أن يكون فيه نوع تجمل، لئلا يخرجه التقشف إلى الشهرة، وكان لباس السلف خشنا، فصار لبس الخشن شهرة»[1].

والتغير الواضح الذي طرأ على ألبسة الناس سواء في نوعيتها أو طريقة لبسها، لا تخرج لابسها عن الزهد المشروع، لكون ذلك أصبح عرفا صحيحا وعادة معتبرة من عادات قومه، وفي العبارة السابقة ما يدل على اعتبار العرف في اللباس، فقد كان العرف لبس الخشن في القرون المفضلة ؛ لأنه عادة القوم فكان هو لباس الزاهد في الدنيا، ولما وسع الله على المسلمين تغير العرف فأصبح لبس الخشن مستنكرا، ولم يعد من لباس الزهاد.

ومن التغير في عادة اللباس، ما حدث في عصر عثمان ﷺ بعد كثرة الفتوحات واتسعها، حيث تنعم الناس وترفهوا واستمتعوا بالحياة، بعد أن كانوا يعيشون التقشف في عهد النبوة والشيخين، فكان عثمان ﷺ يلبس الفاخر من الثياب، ويغدق العطاء على رجاله، ويأكل اللين من الطعام وذلك من خالص ماله،فتغيرت ألبسة الناس وأطعمتهم.

«والعرف في الملبس معتبر من وجهين:

أحدهما: عرف البلاد ؛ فإن لأهل المشرق زيا مألوفاً، ولأهل المغرب زياً معروفاً، وكذلك لما بينهما من البلاد المختلفة عادات في اللباس مختلفة.

والثاني: عرف الأجناس ؛ فإن للأجناد زيا، وللتجار زيا مألوفا، وكذلك لمن سواهما

(١) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي ٤٠٦.

من الأجناس المختلفة عادات في اللباس مختلفة، وإنما تغيرت عادات الناس في اللباس من هذين الوجهين ليكون اختلافهم فيها سمة يتميزون بها وعلامة لا يخفون معها، فإن عدّل أحد في لباسه عن عرف بلده، كان ذلك منه خرقا وحمقا، ولكن إذا كان اللباس وفق الإسلام وضوابطه فلا يمنع ذلك، أما إذا كان تقليدا للكفار فهذا من التشبيه المنهي عنه»[1].

العادات في المسكن: المسكن ضرورة في حالتي الاستقرار والترحل، وهو يعني الاستقرار والهدوء النفسي، ومكان الراحة للجسم، ومن عادة النبي ﷺ الزهد في مسكنه، فبناء مساكنه من اللبن، وسقفها من الجريد، وكانت تسعة أبيات، وكان لأربعة منها حجر من جريد، والمقصود بالحجر: الفسحة تكون أمام الغرفة محجرة أي محاطة بشيء يمنع دخول الناس إليها.

وأما مساحة هذه البيوت فكانت غير واسعة، وقد ورد في الصحيح أن النبي ﷺ كان إذا أراد السجود في صلاة الليل غمز عائشة فكفت رجليها ريثما يسجد فإذا قام بسطتها، وأما أثاثها فقد وصفته عائشة رضي الله عنها فقالت: (كان فراش رسول الله ﷺ، الذي ينام عليه من أدم، وحشوه ليف، وكانت وسادة رسول الله ﷺ، التي يتكئ عليها من أدم حشوها ليف)[2].

هذه المساكن توضح ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الزهد في معيشته ومسكنه، حجرات في غاية البساطة في البناء، قليلة المساحة، قليلة الارتفاع، فراش لا يكاد يفي بالحاجات الضرورية، ولو أراد الدنيا لأخذ منها ما شاء قال ﷺ لعائشة (فوالله لو شئت

(١) القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية د.مانع بن محمد المانع،٣٠١،ط١ دار الفضيلة الرياض.

(٢) صحيح البخاري،كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ، رقم ٦٤٥٦.

لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة)[1]. وقد تأسى الصحابة رضوان الله عليهم بما كان عليه ﷺ في مسكنه وطريقة عيشه، وبعد الخلافة الراشدة هدمها الوليد بن عبد الملك بقصد توسعة المسجد، وقد كان بقاؤها خير للمسلمين من هدمها لتكون دعوة للتأسي بالنبي ﷺ في زهده وصبره وعيشته.

وروي أن الصحابي الجليل أبا الدرداء ﷺ لما زار دمشق ورأى ما أحدث الناس من البنيان، ونصب الحدائق والبساتين قام في مسجدهم فنادى ياأهل دمشق فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا تستحيون!!تجمعون ما لاتأكلون، وتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون.. «فهذه موعظة عظيمة للتذكير بعدم الانشغال بالدنيا عن الآخرة، والانخداع بزينة الحياة الدنيا وبهرجها، ولم يقصد ترك العمل وبناء البيوت وسكناها فإن هذا لا يحرمه أحد»[2] وهذا كله فيما لم يرد به وجه الله، أما إذا كان البناء لوجه الله كبناء مسجد فهو مثاب عليه مأجور، وكذلك إذا كان البناء لما لابد منه لنفسه ولمن يعول فلا حرج عليه في ذلك كمن بنى بيتا له ولمن يعوله بقدر الكفاية وعلى لوجه اللائق به وبهم فهذا ليس مذموم[3] وما جرت به عادات الناس التوسع في المساكن وتعدد أغراضها وبنائها بوسائل البناء الحديثة، وهذا لا يتنافي مع الزهد في الحياة الدنيا وقد وضع ابن قدامة المقدسي رحمه الله قاعدة في الضروريات يحسن العمل بها فقال: «وفي الجملة: إن كل ما يراد به

(١) شعب الإيمان ،البيهقي، فصل في زهد النبي ﷺ وصبره، رقم ١٣٩٥، قال الألباني حسن لغيره.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣/ ٣٤١) ط٢ ١٤٢٠ دار طيبة.

(٣) انظر فيض القدير، المناوي، حرف الهمزة، رقم ٣٩٧، (١/ ٣٤٠).

للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الزهد»[1] .

وحدود الزهد في البناء تختلف بحسب الزمان والمكان، فلو توسع المسلم فبنى له بيتا واسعا أكثر من حاجته ولم يجعل فيه محرما ولا مكروها، ولم يشغله ذلك عما أوجبه الله عليه ولم يخرج عن حدود المباح،فإنه يؤجر عليه ولا يلام ؛ لإتباعه عرف بلده، «إننا لا ندعو الناس لأن يخرجوا من بيتهم وأثاثهم،ويبحثوا عن بيوت من الجريد وفراش من الليف، فما أمر بذلك النبي ﷺ وأصحابه، وإنما الذي نقوله على ضوء فهمنا لهديه ﷺ، إن للمسلم أن يعيش واقعه وحياته وبيئته، على أن يكون ذلك مقتديا بالنبي ﷺ، فلا يجعل متع هذه الحياة همه، ويتركها تستحوذ على فكره ويصير يملأ عينيه من فراشه وأثاثه، وبيته وحجراته، ويشغل قلبه بصوره وألوانه، حتى يملأ ذلك ركنا من قلبه، ويمتلك جانبا من نفسه.

والطامة الكبرى حين يجعل ذلك مصدر مباهاة ومفاخرة، وتعال وتكاثر، إن استطاع أن يسمو فوق رغباته، ويعلو على شهواته، بحيث يكتفي من المسكن والأثاث والفراش، بما يحفظ عليه حياته وصحته، ويعينه على أداء واجبه..ويحفظ عليه هيبته ومكانته، فلا شك أنه أصاب السنة واستقام على الجادة[2].

العادات في الولائم: ومن العادات الحميدة الموافقة لقيمة الزهد، إقامة الولائم فهي عادة اجتماعية مألوفة عند الناس،تقام عند وجود بعض المناسبات كمناسبة قدوم مسافر أو عودة غائب، أو شفاء مريض، أو نجاح في دراسة، أو تحقيق إنجاز، أو دعوة من صاحب،

(١) مختصر منهاج القاصدين (٤٠٧).

(٢) بحث للدكتور عبد العظيم الديب، مقدم إلى مؤتمر السيرة والسنة النبوية في قطر ١٤٠٠هـ، نقلا عن صالح بن أحمد الشامي، من معين السيرة ٣٨٦، ط١/ ١٤١٨ هـ المكتب الإسلامي.

فيدعى لها الأقارب والأصحاب والجيران.

فهذه عادة ثابتة في أصلها ومندوب إليها، والإسلام دين يقوم على البذل والعطاء والإنفاق، ويرهب من الشح والإمساك، ولذلك حبب إلى المسلمين أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية، وأوصاهم بالمسارعة إلى الإحسان في وجوه البر، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلا سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: (تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[1] وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة نحر جزورا أو بقرة»[2]. والإسلام حث على التحلي بهذا العرف لكونه من محاسن العادات والخصال الحميدة،ولما فيه من الإحسان للآخرين، ونشر روح الحبة والألفة بينهم، لكنه ضبطه بأحكام شرعية، فحرم الإسراف والبذخ في إكرام الضيف، لأن المقصد منها الإحسان والإكرام، لا التفاخر والمباهاة والمدح.

ولما كانت هذه العادة قابلة للتغير والتبدل،خرج الناس بها عن هدفها الذي حدده الإسلام، فبسبب ضعف الوازع الديني وضعف التربية الصحيحة في الأسرة والمجتمع، والطغيان المادي والحياة المترفة، انتشرت ظاهرة الإسراف والتبذير في الولائم والحفلات وهي ظاهرة فاسدة نهى الله عنها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[3] وهما من أعظم أسباب كفر النعمة وتحولها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم ١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الطعام عند القدوم رقم ٣٠٨٩.

(٣) سورة الأعراف الآية (٣١).

وزوالها، لما فيها من صرف للأموال في غير وجهها المشروع، وذلك ينافي حقيقة الزهد في المجتمع، لإقامتها بقصد الفخر وحب الظهور قال محمد الدسوقي[1]: «والمأدبة إذا فعلت لإيناس الجار ومودته فمندوبة – يعني حضورها – وإما إذا فعلت للفخار وحب الظهور فحضورها مكروه»[2].

عن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ: (شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء)[3].

ومن الولائم ما هو محرم كوليمة المولد التي تقام في حفل المولد النبوي ؛ لأنها عمل يقصد به التقرب إلى الله على وجه لم يشرعه الله عز وجل .عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[4]. وقد أحدث الناس في ولائمهم وأفراحهم بدعا شتى، وتواضعوا على الاستمساك بها، ولكن المؤمن الحق لا يكترث بأمر ليس له من دين الله سناد، وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى يسر ترك تلك العادات والأعراف المتأصلة على من تركها لله تعالى فقال: «إنما يجد المشقة في ترك تلك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله، أما من تركها صادقاً مخلصا من قلبه لله، فإنه لا يجد

(١) محمد الدسوقي الدمشقي، إمام علم، تعلم الناس منه حقيقة التقوى والعبادة والعفة والزهادة، مات في محرم سنة تسع وعشرين ومائتين وألف ودفن في مقبرة الباب الصغير. انظر حلية البشر في تاريخ القرن الثالث، عبدالرزاق الدمشقي عشر (١/ ١٣٥٢) ط٢ / ١٤١٣ هـ دار صادر بيروت..

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد الدسوقي(٢/ ٣٣٧)، دار إحياء الكتب العربية مصر.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، رقم (٥١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧).

في تركها مشقة إلا في أول وهلة ليُمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب ؟فإن صبر على تلك المشقة قليلا استحالت لذة»[1].

عادات السهر الضارة: ومن الأعراف الفاسدة التي تنطوي على مضار عظيمة، وتفوت مصالح جمة، عرف السمر أو السهر في البيوت أو المقاهي أو الاستراحات أو على البحر، وفي الخلاء والبساتين، حيث يقضي السُّمار معظم أوقاتهم في أحاديث وقصص، أو لعب الورق والشطرنج وغيرها من الألعاب، أو مشاهدة التلفزيون والقنوات، وحكمها في الشرع الكراهة لمخالفتها سنة الله في خلقه،وقد تكون محرمة إذا اشتملت على فعل محرم، حيث اقتضت حكمة الخالق أن يكون الليل للسكن والراحة، والنهار للمعاش **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾[2].

فقد كان من هديه ﷺ كراهية النوم قبل العشاء والحديث بعدها، فعن أبي برزة أن رسول الله ﷺ (كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها)[3]. وذلك لأن السهر في الليل سبب للكسل في النهار عما يتوجه من حقوق الدِّين والطاعات ومصالح العباد، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «أربعة تهدم البدن الهمُّ والحَزَن والجوع والسهر»[4]، والزاهد لا ينساق وراء هذه العادة السيئة، وإنما يترك العرف الفاسد، ويتبع هدي النبي ﷺ بالنوم مبكراً، ويأخذ كفايته من النوم ليتمكن من الاستيقاظ للصلاة في وقتها، والاستفادة من البكور

(١) الفوائد، لابن القيم (ص١٠٧).

(٢) سورة النبأ، الآية (١٠-١١).

(٣) أخرجه البخاري،كتاب مواقيت الصلاة،باب ما يكره من النوم قبل العشاء، رقم (٥٦٨)، (١/ ١١٨).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٧٨).

الذي يعدُّ وقته أفضل أوقات الذكر في النهار، فهذا العرف السائد وتلك العادة السيئة كرهها الشارع لتفويتها كثيراً من المصالح والمنافع الجليلة، كتفويت صلاة الفجر والتهجد بالليل والاستغفار بالأسحار، وذكر الله حتى طلوع الشمس،والاستفادة من وقت البكور، فالسمر إلى ساعات متأخرة من الليل يفوت تلك المنافع الجليلة والطاعات العظيمة التي تزكي النفس وتسمو بالروح، وهذه الحالة تنافي الزهد كقيمة اجتماعية، ولا تستقيم مع حال الزاهد، الذي يسعى جهده بتزكية نفسه والسمو بها، وتجنيبها سفاسف الأخلاق والعادات.

وما أكثر الأعراف السيئة المنتشرة، التي تأباها العقول والفطر السليمة ومحاسن العادات، في ظل الحياة المعاصرة، وانتشار وسائل الإعلام، حيث أصبح ليل أرباب الدنيا كنهارهم، ونهارهم كليلهم، مما كان له أسوء الأثر في حياتهم.

تغير العادة بالمشاركة في وسائل الإعلام:

الإعلام بوسائله المتنوعة، من المستجدات الحديثة، الذي كان ولا يزال له تأثير كبير على الناس، سواء كان ذلك من صحيفة أو تلفازا أو إذاعة أو كتاب أو غير ذلك.

ومن أراد التأثير المرضي لله عز وجل فعليه أن يستفيد منها ويقيم علاقة مع صناعها، ولما كانت عادة المجتمع استنكار المشاركة فيها لعموم الناس، فضلا عن العلماء والدعاة حيث يقصرون الظهور على أهل الفساد، ولما كان عادة العلماء البعد عن المشاركة في بعضها كالتلفاز وقنواته، وتحذير الناس من اقتنائها، رأينا زهدا من غالب العلماء بعدم المشاركة والاستفادة منها، ولو تأملنا فعل النبي ﷺ لوجدناه قد استثمر وسائل الإعلام المتاحة في عصره، إذ كان يقف على الصفا ويخطب بالناس،وكان يجلس في طريق القوافل الوافدة من

الشام والعراق فيسمع منهم ويعرض عليهم دعوته، وكان ﷺ يجلس في نوادي القبائل التي يجتمعون فيها ويتسامرون، وهذا يدل على اهتمام النبي ﷺ في ذلك الزمن بكل وسيلة إعلامية ودعائية متاحة لتأثير في الناس وإيصال الدعوة المباركة التي بعث بها.

إن ثورة الاتصالات تعد من أعظم الثورات،والتي أصبح بها العالم صغيرا، وباتت الكرة الأرضية وكأنها قرية صغيرة، لذا يعتبر الإعلام من أهم الأدوات التي ركز عليها اليهود في قيادتهم لكثير من مواقع التأثير فيها، فيمكنك بالوقوف أمام عدسة صغيرة أن تؤثر في عشرات الملايين من البشر.

وبعد أن رأى المجتمع تأثر الناس بما يقدم في سائل الإعلام المتنوعة، وزاد حجم تأثيرها فيهم، تبدلت نظرة المجتمع وزادة قناعة أهل العلم والفضل، وأصبحت مشاركة العلماء والدعاة من محاسن العادات، ومن وسائل التبليغ التي تبين حرص علمائنا الزهَّاد ؛ لكونهم يحرصون على ما ينفعهم في الآخرة، ويتركون ما يشغلهم عن الله تعالى والدعوة إليه، فأفتى العلماء بجواز المشاركة، بل عدَّ بعضهم المشاركة ضرورة عصرية.

يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى «وبهذا يُعلَم أن الكلام في الظهور في التلفاز للدعوة إلى الله سبحانه، ونشر الحق يختلف بحسب ما أعطى الله الناس من العلم والإدراك والبصيرة والنظر في العواقب. فمن شرح الله صدره واتسع علمه ورأى أن يظهر في التلفاز لنشر وتبليغ رسالات الله فلا حرج عليه في ذلك وله أجره وثوابه عند الله، ومن اشتبه عليه الأمر ولم ينشرح صدره لذلك فنرجو أن يكون معذوراً لقول النبي ﷺ:

(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[1] وقوله ﷺ: (البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب...)[2] الحديث. ولا شك أن ظهور أهل الحق في التلفاز من أعظم الأسباب في نشر دين الله والرد على أهل الباطل؛ لأنه يشاهده غالب الناس من الرجال والنساء والمسلمين والكفار، ويطمئن أهل الحق إذا رأوا صورة من يعرفونه بالحق وينتفعون بما يصدر منه، وفي ذلك أيضاً محاربة لأهل الباطل وتضييق المجال عليهم، وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[3] ويقول الشيخ محمد بن عثيمين «أرى أنه يجب استخدام وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله عز وجل؟ لأن ذلك مما تقوم به الحجة، وأرى أن وسائل الإعلام تستخدم في الدعوة إلى الله - عز وجل - على وجوه شتى بمعنى: أن نجعل ركناً في الدعوة إلى التوحيد.. وركناً في الدعوة إلى العقيدة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.. وركناً في الدعوة إلى إخلاص العبادة لله عز وجل؛ بحيث لا يقصد الإنسان التذلل إلى حاكم أو إلى من هو أكبر منه، وما أشبه ذلك.. وركناً في الفقه مثل العبادات وغيرها.. وركناً في المعاملات مثل الأنكحة وغيرها؛ يعني ذلك أن تكون الدعوة واسعة عامة»[4].

(١) صحيح ابن خزيمة، ، جماع أبواب الصدقة، باب الأمر بقسم الصدقة في أهل البلدة التي تؤخذ منهم الصدقة رقم (٢٣٤٨)، صححه الألباني والأعظمي.

(٢) مسند الإمام أحمد، باب حديث وابصة بن معبد رقم (١٨٠٠٦) وإسناده جيد.

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٦٩).

(٤) مشكاة الإسلامية. موقع على الشبكة العنكبوتية العالمية.

المطلب الثاني

مصادر الإلزام بقيمة الزهد

من خصائص الأخلاق الإسلامية أن بها قوة تدفع الناس إلى العمل بها، وتجعل كل فرد مسئول عن أخلاقه وقيمه بحرية شخصية، إذ لا معنى للمسؤولية الأخلاقية بدون وجود هذه الحرية،فلابد من وجود حرية تجاه الإلزام، وتفضيل سلوك أخلاقي على سلوك غير أخلاقي هو الالتزام الأخلاقي، ولهذا لابد من وجود إلزام والتزام في العمل الأخلاقي، سواء كان دافعه التزام داخلي أو التزام خارجي[1].

ويتفق علماء الأخلاق على أهمية الإلزام الخلقي وضرورته لاستقامة الحياة الإنسانية، والحفاظ على القيم والمثل الخلقية، فلهذا تحديد معنى الإلزام له قيمة.

الإلزام في اللغة: الإلزام: هو الإيجاب والثبوت والدوام والملاصقة.

يقال: لزم الشيء لزوماً: ثبت ودام، وألزم الشيء: أثبته وأدامه، وألزم فلاناً الشيء: أوجبه عليه، والتزم الأمر، أوجبه على نفسه[2].

وقالوا: «واللزوم: الممارسة والملاصقة، يقال لَزِمْتُ الشيء ألزَمه لزْماً ولزوماً، إذا لم تُفَارِقهُ، ولازمتُه ملازمَة ولِزاماً، ورجل لُزَمَة، إذا لزم الشيء ولم يفارقه»[3].

---

(١) انظر علم الأخلاق الإسلامي، د.مقداد يالجن،ص دار عالم الكتب الرياض ص ٢٣١ط٢/ ١٤٢٤هـ،.

(٢) القاموس المحيط، فصل الواو، باب الباء،وانظر:المعجم الوسيط مادة لَزِم ص (٨٢٢). وانظر الصحاح تاج اللغة باب لزم، وتاج العروس مادة لزم، معجم الصواب اللغوي مادة لزمه.

(٣) جمهرة العرب، أبو بكر الأزدي، باب زلم (٢/ ٨٢٦)، دار العلم للملايين بيروت ط١/ ١٩٨٧م .

قال ابن فارس «لَزِمَ: اللام والزاء والميم أصل واحد صحيح يدل على مصاحبة الشيء بالشيء يلزمه، يقال: لزمه الشيء يلزمه، واللِّزام: العذاب للازم للكفار»[1].

الإلزام في الاصطلاح: يعني الإلزام الخلقي «إلزام المكلف نفسه في – سلوكه- بمثل أعلى يعمل بمقتضاه، ويتجنب من العمل ما يتنافى معه»[2].

ويعرف كذلك بأنه «تكليف ممن هو قادر على الأمر والنهي، ثم مجازاة للمكلف على موقفه من ذلك التكليف»[3].

وهو في باب الأخلاق «أمر بالفضيلة الخلقية ؛بمعنى وضع تشريع خلقي، وتكليف الإنسان الأخذ به والعمل بمقتضاه مع مسؤوليته عن هذا التكليف، وجزاء متوافق مع موقفه منه»[4].

ويعنى في الإسلام «إلزام المكلف بتصديق ما قرره الله من الحق، وتنفيذ ما شرعه من التكاليف، والتخلق بما وصى به من مكارم الأخلاق، والبعد عما نهى عنه من مساوئها»[5].

والإسلام دين يلزم الإنسان بفعل الفضيلة وترك الرذيلة، غير أن أهواء الناس ونزعاتهم وغرائزهم متباينة، فلا بد من ضابط أمين ودافع قوي لحفظ الحقوق والواجبات،

(١) معجم مقاييس اللغة مادة لَزِمَ (ص ٩١٨).

(٢) مبادئ الأخلاق، ماهر كامل، ص ٨، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، عام ١٩٥٨م.

(٣) الأخلاق عند مسكويه وابن القيم، د.عبدالله العمرو (ص٢٤٩)، رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة قسم الثقافة الإسلامية ١٤١٥ هـ.

(٤) المرجع السابق (ص ٢٤٩).

(٥) النظرية الخلقية في الإسلام، د.عبدالمقصود خيشة،١٧٦، دار الثقافة العربية القاهرة ،ط عام ١٤١٢هـ.

فمن الناس من يستجيب لخطاب الترغيب والحض إذ نفسه شفافة راقية، ومنهم من لا يأتي إلا بالترهيب والحزم إذ جبلت نفسه على التمرد والتفلت من الفضيلة، فلا بد من وسائل لإلزام الناس بالأخلاق والقيم والفضيلة.

إن الغاية من التزام القيم وفضائل الأخلاق في الإسلام، والابتعاد عن رذائلها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: اكتساب مرضاة الله تعالى، الذي يجازي على الحسنة بأضعافها، ويجازي على السيئة بمثلها، والتزام مكارم الأخلاق والقيم الفاضلة التي أمر بها الإسلام أو رغب بفعلها، واجتناب نقائص الأخلاق والقيم غير الفاضلة التي نهى عنها الإسلام أو رغب في تركها .

القسم الثاني: تحقيق السعادة والراحة النفسية، والنجاة من الشقاوة والقلق النفسي التي تجلبها الجرائم والجنايات، والتزام مكارم الأخلاق والقيم الفاضلة، يحقق أكبر نسبة من هذه السعادة للفرد وللجماعة الإنسانية[1].

إن مصدر الإلزام بالقيم ومنبعه الوحي، الذي ثبت به الأمر والنهي،والثواب والعقاب، وبه يحصل الجزاء المؤثر،الذي يبعث في عموم الناس مشاعر الرغبة والرهبة منه، بدرجة كافية لحفز الناس على فعل ما يجب وترك ما يحرم وهناك عناصر من أهمها:الإيمان، والعقل، والسلطان،هذه العناصر تسعى مجتمعة لغرس القيم وتحقيقها في واقع الناس[2].

(١) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، (١/ ٨٨-٩٨).

(٢) انظر الأخلاق عند مسكويه وابن القيم، د.عبدالله بن محمد العمرو، (٢٦٢- ٢٦٣).

وقيمة الزهد قيمة مستمدة -من الوحي- من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وحياة الصحابة رضوان الله عليهم، وقد تكاثرت النصوص الشرعية في بيان حقيقة الزهد وحقارة الدنيا وما فيها من شهوات فانية، في مقابل الحياة الآخرة وما فيها من نعيم باقٍ وحسبنا أن نسوق بعض الآيات والأحاديث الدالة على ذلك على سبيل المثال لا الحصر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾[1] أعد للمؤمنين الذين اتقوه واكتفوا من هذه الشهوات بالمباحات منها، أعد لهم المقر وهو الجنات ثم ما يحصل لهم من أنس في الجنة وهو الأزواج المطهرة ثم بما هو أعظم من ذلك كله وهو رضا الله عز وجل عنهم»[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[3].

قال ابن كثير[4] «إن آخرة المتقي خير من دنياه»[5].

قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥).

(٢) روح المعاني، الألوسي، (٢/ ٩٩) دار الكتب العلمية بيروت، ط١/ ١٤١٥هـ.

(٣) سورة النساء، الآية (٧٧).

(٤) الحافظ المفسر والمؤرخ الثبت، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي ، له تصانيف كثيرة منها تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، ولد سنة ٧٠١ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ . انظر الدرر الكامنة لابن حجر (١/ ٣٩٩- ٤٠٠)، ط٢/ ١٣٩٢هـ صيدر أباد الهند.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣١٦)، دار طيبة، ط٢/ ١٤٢٠هـ .

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[1]. قال أبو السعود: «شأنه أن يتمتع ويزين به أياما قلائل، وما عند الله خير ؛لأنه لذة خالصة عارية عن سمة الهمّ»[2].

وأما الأحاديث الصحيحة والحسنة التي تشير إلى الزهد في الدنيا وملذاتها، وتبين للمسلم مكانة الدنيا في مقابل الآخرة، فكثيرة جدا، اكتفي بذكر بعض الأحاديث الواردة في الصحيحين.

عن سهل بن سعد قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو لروحة خير من الدنيا وما فيها)[3].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)[4].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفيه، فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم فقالوا:ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به، قال:أتحبون أنه لكم قالوا: والله لوكان حياً لكان عيباً فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت، فقال:فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)[5].

(١) سورة القصص، الآية (٦٠).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزاياً الكتاب الكريم (٧/ ٢٠)، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب مثل الدنيا في الآخرة رقم (٦٤١٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ليس الغنى عن كثرة العرض رقم (٦٤٤٦).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، رقم ٢٩٥٧

هذه الآيات والأحاديث وغيرها تدل دلالة صريحة على أن المصدر الأساس للإلزام بقيمة الزهد هو الوحي، فهو المنبع الصافي الذي يحقق في المجتمع سيادة الفضيلة واضمحلال الرذيلة.

ومما يعين على إلزام الناس بقيمة الزهد، دواعي الفضيلة داخل النفس، ومنها الإيمان والعقل، وبواعث من خارجها،منها سلطة المجتمع، وسلطة الحاكم.

أولاً: الإيمان: الإيمان يعمر قلب المسلم ويفيض على جوارحه، ولإيمان المرء بخالقه ورازقه والمطلع عليه والمحيط بظاهره وباطنه والمحاسب له، ولإيمانه باليوم الآخر المصير الذي سينتهي إليه الإنسان حتما،وسيواجه فيه مسؤولية عمله في هذه الحياة، إذا جاشت به نفسه صاغ شخصيته، وأضاءها بنور الإيمان، ودفعها إلى فعل الحسن من الأعمال وتجنب سيئها، وألزمها التقوى، والقيم الفاضلة.

فالإيمان قوة عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى المكرمات، و الله عز وجل عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم،وما أكثر ما يقول عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ثم يذكر بعد ذلك ما يكلفهم من أمور، وقد بيَّن النبي ﷺ أن الإيمان القوي يلد الخلق الحسن حتما، وأن انهيار الأخلاق والقيم الفاضلة مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه، بحسب تفاقم الشر وتفاهته[1]. يقول ابن سعدي: «إن للإيمان الصحيح سلطاناً على النفوس، فهو يحملها على كل فضيلة، ويدفعها إلى كل خير، وبقدر قوته وحياته في القلب يكون انبعاث صاحبه إلى الطاعة وبعده عن

(١) انظر خلق المسلم، محمد الغزالي ص (١٠) دار القلم دمشق ط٢/ ١٤٠٠ هـ.

المعصية»[1]. ونفوذ الإيمان إلى أعماق النفس الإنسانية بخصاله المتنوعة، يوجد في الإنسان فاعلية ذاتية، تحرضه على التحلي بمكارم الأخلاق، وتحثه على التمسك بالقيم الفاضلة وسلوك السبيل الأقوم في الحياة.

ومن بين القيم التي حظ عليها الإيمان قيمة الزهد، فحين يتبصر المسلم بقوة إيمانه حقيقة الدنيا والآخرة، فإنه لا يرى الدنيا إلا بمثابة السجن الذي يضيق به، وينتظر الخلاص منه،بعد أن يؤدي وظيفته خير أداء، وهذا ما بيّنه الرسول ﷺ، بقوله في صحيح مسلم، عن أبي هريرة ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر)[2] فمن سيطرت على مشاعره هذه البصيرة الإيمانية، زهد في الدنيا زهد القلب، لا تزهّد الظاهر، ومن استعلى بإيمانه، و قطع علائق قلبه من زينة الحياة الدنيا ومتاعها، وتوجه إلى الله صادقا أحبّه الله .لأن الدنيا بألوانها ومفاتنها لم تخدعه ولم تصرفه عن ابتغاء مرضاة الله.

وهذه جملة من خصال الإيمان التي تقوم على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر، تغرس في النفس معاني الزهد بمفهومه الصحيح؛ الذي طبقه السلف الصالح بدافع رجاء ثواب الله والخوف من عقابه.

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص (١٣) مطابع السفراء للأوفست – الرياض ط٣/ ١٤٠٧ هـ.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقاق، رقم (٢٩٥٦).

فمن الخصال الإيمانية التي تدفع إلى الزهد في الدنيا:

معرفة الله تعالى:

تضافرت نصوص أهل العلم في بيان أن معرفة الله تعالى باعث أساس لتحقيق الزهد في الدنيا وقطع تعلق القلب بها، فمن عرف مولاه لم يتفرغ قلبه للتعلق بشيء سواه قال ابن تيمية: «فمن عرف الله وقلبه سليم أحبه، وكلما ازداد له معرفة ازداد حبه له، وكلما ازداد حبه له ازداد ذكره له ومعرفته بأسمائه وصفاته، فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب»[1] ويقول ابن القيم: «من عرف الله قرت عينه بالله، وقرت عينه بالموت، وقرت به كل عين، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات، ومن عرف الله لم يبق له رغبة فيما سواه، ومن ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت رغبته معرفته، ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به، وخافه ورجاه وتوكل عليه وأناب إليه ولهج بذكره واشتاق إلى لقائه واستحيا منه وأجله وعظمه على قدر معرفته به»[2]. ويقول أيضا: «ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به فأعرف الناس أخشاهم لله ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبه له وكلما ازداد معرفة ازداد حياء وخوفاً وحباً»[3]. وقال عمر بن عبدالعزيز حين كتب إلى أحد عماله: «وأكثر ذكر الموت الذي لا تدري متى يغشاك ولا مناص ولا فوت، وأكثر من ذكر يوم القيامة وشدته، فإن ذلك يدعوك إلى الزهادة فيما زهدت فيه والرغبة فيما رغبت فيه، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل، فإن من لا يحذر ذلك ولا يتخوفه توشك

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/ ٥٣٨).

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (٣/ ٣٣٩).

(٣) طريق الهجرتين، ابن القيم (٤٢٤).

الصرعة أن تدركه في الغفلة، وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به، ثم اقتصر عليه، فإن فيه لعمري شغلاً عن دنياك، ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل، ولا الحق حتى تذر الباطل»[1].

صحة اليقين:

متى وصل القلب إلى اليقين امتلأ نوراً وإشراقاً، وطمأنينة وسكوناً، ومحبة وشكراً، ورضى وخوفاً ورجاء، وانتفى عنه كل شك وريب، وهم وحزن، ووثق بموعود مولاه عز وجل، الذي خلق العباد، وضمن أرزاقهم وتكفل بها سبحانه، كما قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾[2]. ومتى بلغ العبد هذه الرتبة فلابد أن يدفعه يقينه إلى الزهد في الدنيا والإقبال على عمل الآخرة، ثقة بما عند الله تعالى، من رزق في الدنيا وثواب في الآخرة، وإدراكاً منه بأن زهده في الدنيا لا يمنعه شيئاً كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقْض له منها[3] وقال ابن رجب: «فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفاً، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك كان زاهداً في الدنيا حقيقةً وكان من أغنى الناس وإن لم يكن له شيء من الدنيا»[4].

---

(١) ذم الدنيا، أبو بكر ابن أبي الدنيا، (٨١)، رقم (١٥٦) مؤسسة الكتب الثقافية ط١/ ١٤١٤هـ.

(٢) سورة هود، الآية (٦).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (٢٥٤-٢٥٥).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨١).

التوكل على الله:

التوكل يثمر الزهد، بل إن الزهد كله باب من التوكل، يقول المناوي: «حقيقة الزهد التوكل حتى يكون ثقته بقسمة الله، فإن ما في يده قد يكون رزق غيره ولا يفرح به ولا يطمئن، ولا إلى ما يرجوه من يد غيره، فيستريح قلبه من همها، وغم ما يفوت منها، وبدنه من كد الحرص وكثرة التعب في طلبها، فلم يغتم قلبه على ما فات، ولم ينصب بدنه فيما هو آت، وإن جهل ذلك يعذب قلبه بتوقع ما لم يقسم منها، ويحزن لذلك على كل فائت منها، فتستخدمه الدنيا ويصير من عبيد الهوى، بطالاً من خدمة المولى، فيقسو قلبه ببطالته، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي»[1]. فظهر بجلاء ما للتوكل على الله من قوة دافعة إلى الزهد جالبة له.

الإحسان:

الإحسان من أعلى المراتب الإيمانية التي تدفع إلى الزهد في الدنيا، لذلك أخبر النبي ﷺ أن قمة التدين والالتزام في الإسلام، أن تعبدا لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وإذا بلغ الإنسان درجة الإحسان، فإن حياءه من الله سيجعله ذا يقظة ذاتية مبادرة إلى فعل الطاعات والفضائل، مستوحشة من مقاربة ما سيخطه من الرذائل، ولهذا لا يمكن أن يقارف الإنسان الرذائل وهذا الإيمان مهيمن على وجدانه، فإذا أقدم الإنسان على ارتكاب محرم فإن ذلك دليل على أن هذا الإيمان قد تلاشت هيمنته في النفس[2].

(١) فيض القدير، المناوي (٤/ ٧٤).

(٢) انظر التثقيف الإيماني، عبدالرحمن الزنيدي، (٦٣ -٦٤) دار كنوز إشبيليا الرياض ط١ / ١٤٢٩ هـ.

فالإيمان هو الذي يهوِّن على الإنسان شهواته ومطالب دنياه،لذا نجد مرتبة الإحسان تجعل المسلم يتمثل الزهد في حياته كلها، فإذا هو يكتفي بما يسد الجَوعة من الطعام، وما يستر العورة من اللباس، وإذا هو يرضى بالقليل من المال، والمتواضع من المسكن، وتهون عليه نفسه فيبذلها في سبيل الله. لما صدق مصعب بن عمير في إيمانه، وقد كان قبل آنق شباب مكة وأحسنهم ثيابا وعطراً، نظر إلى الدنيا التي كان من قبل متعلقا بها، فرآها لا تستحق إيثارا على الآخرة، ورأى أن طريق الآخرة جهاد وصبر وتحمّل للمشقات، فخاض غمار هذه الطريق الشاقة، وهاجر داعيا إلى الله، وسعى في يثرب معلما مناضلا قبل هجرة المسلمين والرسول إليها، فشق الطريق ومهد الأرض، وهيّأ بتوفيق الله الأوس والخزرج تهييئا حسنا، فكان في مقتله ﷺ، أنه لم يجدوا من ثيابه لكفنه غير نمرة إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطوا بها رجليه بداً رأسه!![1].

إنه الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، لقد حثه على الزهد في الدنيا والتقلل منها، فأوصله ذلك إلى الجنة، فعن عبيدة بن عمير أن النبي ﷺ وقف على مصعب وهو منجعف على وجهه، فقرأ هذه الآية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

ولما كانت النفس البشرية قد جبلت على الرغبة فيما ينفعها ويحقق لها السعادة،وعلى الرهبة والخوف مما يضرها ويجلب لها الألم والشقاء، فقد اتبع القرآن معها أسلوب الترغيب

(١) انظر الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن الميداني (٢/ ٥٧٠-٥٧١).

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٢٣).

والترهيب، كي يلزمها بإتباع طريق الخير واجتناب طريق الشر.

ففي جانب الترغيب بقيمة الزهد جاء عن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ: (ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس)[1]. في هذا الحديث بيان الغنى النافع أو الممدوح وهو غني النفس وكفافها، وأخذ ما يكفيها من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك، رغبة في توفير نعيم الآخرة، قال النووي في بيان معنى الحديث «الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة ؛لأن من كان طالبا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى»[2].

واستخدم النبي ﷺ أسلوب ضرب المثل لتزهيد المسلم في الدنيا، والتهوين من شأنها عنده، بجانب الآخرة، فنعيم الدنيا قليل زائل، يشوبه كدر، وأما نعيم الآخرة كثير دائم، وسرور كله، وهو سرور كله فعن المستورد أخا بني فهر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما مثل الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع)[3]. وقد بيَّن هذا الحديث أن متاع الدنيا كله وزينتها وزخرفها، لا يساوي شيئا في أمر الآخرة إلا مثل ما لو غمس أحد إصبعه في البحر، فلينظر كم أخذ الإصبع من البحر؟! فكذلك نسبة متاع الدنيا إلى متاع الآخرة.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:(كن في الدنيا كأنك غريب،عابر سبيل)[4].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل القناعة والحث عليها، رقم ١٠٥١ (٧/ ١٤٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي (٧/ ١٤٠).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا رقم (٤١٠٨)، صححه الألباني.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب قول النبي كن في الدنيا،رقم (٦٤١٦).

هذه نظرة النبي ﷺ إلى الدنيا، شأنه فيها كشأن الراكب المسافر الذي استظل تحت ظل شجرة ثم قام يواصل سيره، فالدنيا أشبه بتلك الاستراحة العارضة، فهذا المثل يدفع العاقل إلى الزهد فلا يتعلق بدُنياً عارضة زائلة منشغلاً عن النعيم المقيم في الآخرة .

ومن ثمار الإيمان ما ورد في السنة أن رجلاً من الصحابة رضوان الله عليهم أتى إلى النبي ﷺ وقد بلغ به الإيمان مبلغاً، أن يكون مقبولاً ومرضياً عند الناس؛ بالإضافة إلى رضى الله ومحبته، فأرشده النبي ﷺ إلى أسباب تحصيل هذه المحبة، كما في حديث سهل ابن سعد الساعدي ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)[1].

فمن زهد في الدنيا أحبه الله، «ويسَّر له الأسباب، وهوَّن عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد»[2].

ومن لوازم محبة الله امتثال أمره، واجتناب نهيه، فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحسنين، وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه، وجعل فيه من الصفات ما يجعله مقبولا عند الناس ومحبباً إليهم، موصلا الخير لهم، متعففا عما بأيديهم.

وفي جانب الترهيب ذكر النبي ﷺ الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة، فقال ﷺ: (من كانت الدنيا همَّه فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ماكتب له، ومن كانت الآخرة نيَّته جمع الله له أمره وجعل فناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة)[3]. فهذا

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد،باب الزهد في الدنيا رقم (٤١٠٢)، صححه الألباني.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (١/ ٤٢٨).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد،باب الهمّ في الدنيا، (٤١٠٥)، وهو صحيح.

وعيد من الله لمن كانت الدنيا أكبر همه، فهو مقبل عليها بكليته، يجمع حطامها في نهم لا ينقضي، منشغل بذلك عن الآخرة، فمن كانت هذه حاله، عوقب بشتات القلب، فلا يزال لا هثاً وراء المال والمناصب والشهوات، لكنه لا يشبع منها ولا يرتوي، ومن كانت هذه حاله، جعل الله فقره بين عينيه، حيث لا تنتهي حاجته، ولا يحصل له الرضى بما جمع.

أما الرجل الصالح الزاهد في الدنيا، جعل همَّه الآخرة، فكان سعيه في تحصيل الحسنات، والوصول إلى مرضاة رب البريَّات مع حسن التوكل عليه، فهذا يجمع الله له أمره، ويرزقه القناعة والرضى وغنى النفس، ويبارك له في ماله وصحته وأولاده .

وفي الحديث قوله ﷺ: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم)[1].

التنافس في الدنيا يجر إلى فساد الدنيا والدين؛ لأن المال مرغوب فترتاح النفس لطلبه، فتتمتع به، فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك، لذا حذر النبي ﷺ مَن فُتحت عليه زهرة الحياة الدنيا من سوء عاقبتها، وشر فتنتها؛ فلا ينبغي أن يطمئن إلى زخرفها، ولهذا نجده ﷺ وصحابته من بعده اتصفوا بالزهد والتقشف رغم أن الأموال كانت لديهم، ولكنهم يريدون الآخرة فانشغلوا بها عن ملاذّ الدنيا ومتاعها.

إن الإيمان هو روح الأعمال و الباعث عليها، وهو المحرك لمحوري الطمع والخوف في النفس الإنسانية، بالترغيب والترهيب، والتشجيع بالإكرام والمكافأة، والتثبيط بالإهانة والعقوبة، فللإيمان الأثر الكبير في حفز النفس على اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل،

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة، رقم (٣١٥٨).

وهو على هذا من أقوى البواعث على الأخذ بقيمة الزهد.

ثانياً: العقل: يعد العقل في الإسلام الذي منَّ الله به على الإنسان، وميزه به من سائر المخلوقات، من أقوى البواعث التي تدفع الإنسان إلى الالتزام بالخير واجتناب الشر، ذلك أن الإنسان إذا رأى بعقله السليم خيراً من سلوك ما التزم به، وإذا رأى شراً تركه، وإذا أدرك أن عاقبة فعله ستكون سارة فعله، وإذا أدرك أنها ستكون أليمة اجتنبه[1].

والقيم الخلقية يمكن أن يهتدي المرء إلى جملتها بعقله وفطرته، ويلمس آثارها الخيرة في نفسه، والآخذين بها من حوله، والناس يتفاوتون في درجة ممارستها وقوة الأخذ بها؛ لتفاوت عقولهم الآمرة لهم بذلك.

قيل للحارث المحاسبي: «كيف تفاوت الناس في الزهد؟، قال: على قدر صحة العقول وطهارة القلوب، فأفضلهم أعقلهم، وأعقلهم أفهمهم عن الله، وأفهمهم عن الله أحسنهم قبولاً عن الله، وأحسنهم قبولاً عن الله أسرعهم إلى ما دعا الله عز وجل، وأسرعهم إلى ما دعا الله عز وجل أزهدهم في الدنيا، وأزهدهم في الدنيا أرغبهم في الآخرة، فبهذا تفاوتوا في العقول، فكل زاهد زهده على قدر معرفته، ومعرفته على قدر عقله، وعقله على قدر قوة إيمانه، ..»[2]. يقول د. عبدالله دراز في شأن العقل وقدرته على الإلزام «ففي الإنسان قوة باطنة، لا تقتصر على نصحه وهدايته وحسب، بل إنها توجه إليه بالمعنى الصريح أوامر بأن يفعل، أو لا يفعل،فماذا تكون تلك السلطة الخاصة، التي تدعي السيطرة

(١) انظر علم الأخلاق الإسلامية ، د. مقداد يالجن ، ص ٢٣٤

(٢) الحلية، لأبي نعيم: (١٠/ ٨٦).

على قدراتنا الدنيا، إن لم تكن ذلك الجانب الوضيء من النفس، والذي هو العقل؟»[1]. فغاية العقل إذاً أن يكون باعثاً على القيم والأخلاق، داعياً إلى الفضيلة آمراً بها، وذلك بعد أن كشفت له نصوص الشرع ما خفي عليه وقصر عنه إدراكه، وسلكت به الطريق الصحيح للهداية إلى الصراط المستقيم.

والعقل بهذا عنصر من عناصر الإلزام بقيمة الزهد، لاهتدائه بنور الوحي الذي بيَّن له فضائل الأخذ بقيمة الزهد، ورذائل التعلق بالدنيا، والانغماس في ملذاتها.

فالعاقل يدرك فضائل الزهد في الدنيا ويحذر رذائل الانغماس فيها ونسيان الآخرة.

فمن فضائل الزهد أنه يورث صاحبه الاطمئنان والقناعة والرضا بما قسمه الله له، وهذا يبعده عن الذنوب والمعاصي من حسد وبغض وكبر.

ومن فضائله أنه يدفع الزاهد إلى العطاء، فترتقي نفسه بمقدار توقد الإيمان بها، حتى تصل إلى أن يجود بكل ما يملك فيكون على طريقة الصديق ﷺ، في قوله: «أبقيت لهم الله ورسوله»[2] أو يجود بنفسه كما فعل الذين قال الله عنهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[3].

ومن فضائل الزهد في الدنيا أنه يجعل الزاهد يؤثر غيره على نفسه، ذلك أنه يرى غيره في حاجة أشد من حاجته أو مثله فيؤثره على نفسه، لأنه يتصف بالأخلاق التي حث

(١) دستور الأخلاق في القرآن الكريم، د.محمد درّاز، ص ٢٧، مؤسسة الرسالة ط١٠/ ١٤١٨ هـ.

(٢) سنن الترمذي،أبواب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق، رقم ٣٦٧٥، وحسنه الألباني.

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

عليها الرسول ﷺ.

ولقد امتدح الله تعالى المؤمنين من الأنصار رضي الله عنهم حينما آثروا إخوانهم المهاجرين القادمين من مكة المكرمة على أنفسهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[1].

والالتزام بهذه القيمة يورث الترفع عن محقرات الأمور وصغائرها، ونشدان معالي الأمور وكمالاتها، فالتعلق بمحقرات الذنوب من دناءة النفس، وانحطاط همتها، ولا يفعله كبار القلوب والنفوس، ومن انطلق من المنطلق الخلقي الكريم وكان مؤمناً بالله واليوم الآخر إيماناً كاملاً؛ وجد الحياة الدنيا وما فيها من زينة ومتاع أموراً صغيرة قليلة القيمة،لا تستحق في نظره الحرص عليها، وإيثارها على ما عند الله من أجر عظيم في جنَّات النعيم. فهِمّته قد تجاوزت حدود الفانيات وتعلقت بالباقيات الخالدات، إذْ علِم العاقل أن أعظم ما في الحياة الدنيا من نعيم لا يعادل قطرات من بحر نعيم الدار الآخرة، وأن أعظم ما في الدنيا من مصائب وشدائد يهون أمام نعيم الدر الآخرة، ولا يعادل مقدار شرارة صغيرة من عذاب جهنّم.

فمن عرف الفضائل الأخلاقية معرفة صحيحة، أدرك جمال قيمة الزهد، وأورثه ذلك يقيناً بفوائدها وثمراتها الطيبات، وخيراتها المادية والمعنوية، والدنيوية والأخروية، وهذا يولد في النفس استحسانها، ثم الرغبة الصادقة في التحلي بها، وتكون النفس طيعة للتخلق بالخلق الكريم المنشود.

(١) سورة الحشر، الآية (٩).

وكذلك يدرك بهداية الوحي له، آثار قيمة الزهد المحمود والمذمومة، وثمراتها العاجلة والآجلة، فيكون بذلك آمراً للأخذ بها.

حيث يدرك العاقل أن عِظم جزاء الزاهد في الدنيا، وتقلبه في نعيم الجنة، بما صبر في الدنيا على شدائدها وشهواتها، واستعد للآخرة بالأعمال الصالحة فجعل الدنيا مزرعة للآخرة، وجزاؤه وجنته في الآخرة، فالمؤمن مسجون في الدنيا بالالتزام بكل ما وجب عليه من تكاليف وأوامر وعمل للآخرة، والكافر منعّم في الدنيا و فيها جنته.

ويدرك الآثار المذمومة للتعلق الكلي بالدنيا ومتاعها وملذاتها، فمن مخاطر بسط الدنيا والتعلق بها،تنمية الحسد والتنافس بين الناس، حيث تنتهي هذه الأمراض بالمجتمعات الإنسانية إلى الفساد وسفك الدماء وخراب العمران،وتمزيق وحدتهم، وإضعاف روح الجهاد والدعوة إلى الله تعالى فيهم.

هذه بعض مخاطر بسط الدنيا، ومخاطر الاغترار بزينتها، والانغماس في الترف، ونسيان الله واليوم الآخر، والسقوط في المعاصي والآثام.

والعاقل يتحلى بقيمة الزهد لإدراكه أن الله أمر بها، ولأنها وسيلة الخير في الدنيا والآخرة، فيلمس ثمراتها العاجلة والآجلة، فمن أجلّ ثمرات الزهد وأعظمها، أنه يدفع إلى تحقيق الإخلاص لله تعالى، الذي هو أساس الدين، وروح العبودية، فلا يقبل الله تعالى من أحد قربة دونه، وهو مكون أساس من مكونات الزهد، إذ المقصود في الزهد، العكوف على الله عز وجل بالكلية، وجمع الهمة عليه، وتفريغ القلب لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته، وتحصيل المرء ما ينجيه في آخرته، وتلك حقيقة الإخلاص ولبه[1]

(١) انظر مدارج السالكين، ابن القيم، (٢/ ٨٩).

فلابد من الإخلاص في الزهد كسائر القرب.

فمن أراد لزهده صحة وقبولاً عليه أن يحافظ على إخلاصه وسلامة نيته في سائر زهده فالله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان لوجهه خالصاً، وقد أشار إلى هذا المعنى غير واحد، يقول سلام بن أبي مطيع: «الزهد على ثلاثة أوجه: واحد: أن تخلص العمل لله والقول، فلا يراد بشيء منه الدنيا،...»[1] ويقول حاتم الأصم: «رأس الزهد: الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص»[2]. فكل ما عمله المسلم في الدنيا يريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصاب فيها يريد به الآخرة فليس منها.

ومن أبرز علامات الإخلاص: إخفاء ما يشرع إخفاؤه من العمل، والابتعاد عن الشهرة فيه، قال بشْر: «لا يجد حلاوة الإيمان رجل يحب في الدنيا أن يعرفه الناس»[3] ولأهمية هذا المعنى كان أيوب السختياني يقول: «لأن يخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه»[4].

ومن ثمراته كذلك تحقيق متابعة النبي ﷺ والاقتداء به في الأقوال والأفعال ظاهراً وباطناً فلا صحة لزهد ولا قبول لعمل ما لم يكن متأسى فيه بالنبي الكريم ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾[5]. وهدي النبي ﷺ هو خير الهدي وأجله، وهو ﷺ قد اختار طريق الزهد، وزهده ﷺ هو جماع الأمر،

(١) الحلية لأبي نعيم (٦/ ١٨٨).

(٢) المرجع السابق، لأبي نعيم (٨/ ٧٥).

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ٢٧٦).

(٤) حلية الأولياء، لأبي نعيم (٣/ ٦).

(٥) سورة النساء، الآية (٨٠).

والطريقة المثلى، وهو التطبيق العملي الصحيح لمفهوم الزهد في الإسلام، فالزهد لابد أن يكون على أمره ﷺ، وكل زهد ليس على هديه فمردود على صاحبه؛ لقوله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[1].

ولذا فقد كان الصحابة الكرام يقايسون أحوال الناس ويحاكمونهم إلى حاله ﷺ، فهذا عمرو بن العاص ﷺ يخطب الناس بمصر فيقول: «ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا، وأما أنتم أرغب الناس فيها»[2].

فالزاهد يحتاج إلى معرفة متعمقة وعلم كثير بهدي النبي ﷺ وشرعه، وإلا فإنه قد يقع في بوابة الإثم والمنكر من حيث يريد أن يرضي الله تعالى ويطيعه،.فبالتأسي بالنبي ﷺ، والتعرف على سنته، وفقه ما جاء به عن ربه يفهم الزهد الشرعي ويوفق له.

والإقناع العقلي من أول الطرق التي سلكها القرآن الكريم وسلكها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في معظم الحقائق التي اشتمل عليها الإسلام، ومنها موضوعات القيم والأخلاق.

والإقناع العقلي سبيل للأخذ بقيمة الزهد، فالعاقل يلمس الفارق الكبير بين ما في الدنيا وما في الآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾[3] «أي أرضيتم بالحياة الدنيا بدل الآخرة !فما

(١) صحيح مسلم،كتاب الحدود ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات ، رقم ١٧١٨.

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، رقم ١٧٧٧٣، وخرجه الساعاتي في الفتح الرباني وقال ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) سورة التوبة، الآية (٣٨).

متاع الحياة الدنيا في جنب الآخرة وبالقياس عليها إلا متاع قليل، لا يستبدله العقلاء المؤمنون بالآخرة وما فيها، فلا يرضون بالحياة الدنيا بدلا عن الآخرة وما فيها من نعيم مقيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] أي لولا أن يكفر الناس جميعا بسبب تفضيل الكافرين بمتاع الحياة الدنيا لفضَّلهم الله في الدنيا على المؤمنين بهذا المتاع الفاني، احتقاراً له وامتحاناً للمؤمنين.

فالبيوت الفارهة ذات السقف المصنوعة من الفضة، وذات المعارج والمصاعد المريحة، وذات الأبواب العظيمة والسّرر النفيسة، والمزخرفة بالذهب، قد وصفها الله بأنها متاع الحياة الدنيا، ثم وجّه الله المؤمنين إلى الآخرة وما فيها من نعيم مقيم.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول:(اللهمّ لا عيش إلا عيش الآخرة)[2] ومن أجل ذلك علت همة الرسول ﷺ عن زينة الحياة الدنيا، وزهد بها وحينما عرضت عليه جبال مكة أن تكون له ذهباً رفضها، واختار لنفسه العبودية والمسكنة،[3] فالعاقل كل العاقل من اكتفى بالبلغة والكفاف في الدار المستأجرة، ووفر الزينة والأثاث والرياش لتكون في الدار التي يملكها ويستقر فيها.

ومن الإقناع العقلي،الإقناع بحقيقة ما في الدار الآخرة من كمالات عظيمة ونعيم

(١) سورة الزخرف، الآية (٣٣-٣٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم ٦٤١٣.

(٣) انظر الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن الميداني، (٥٣٢-٥٣٣).

مقيم، والإقناع بحقيقة الدنيا، وأن مدتها ضئيلة بالنسبة إلى الخلود في الآخرة، وأن كل نعيم فيها مهما عظم فهو قليل ضئيل سريع الزوال منغوص بالأكدار، وهي بالنسبة إلى ما في الآخرة حقير لا يؤثره ويفضله على ما في الدار الآخرة إلا كافر بها، أو منحط الهمة قاصر النظر، يؤثر العاجلة ويذر الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾[1].

فمن عرف من العقلاء منزلة الدنيا بالنسبة للآخرة لم يؤثرها عليها، وقد نبه على ذلك غير واحد، قال ابن مسعود ﷺ: «إنه من اجتهد للدنيا أضر بالآخرة ومن اجتهد للآخرة أضر بالدنيا»[2] وقال عمرو بن مرة[3]: «من طلب الآخرة أضر بالدنيا، ومن طلب الدنيا أضر بالآخرة، فأضروا بالفاني للباقي».

وقال سهل بن أبي أسد: «كان يقال: مثَل الذي يريد أن تجتمع له الدنيا والآخرة كمثل عبد له رَبان، لا يدري أيهما يرضى»[4] والعقل يبعث على الزهد، بالنظر في العواقب، فحساب نتائج الأشياء، والتفكير في خواتيمها، دليل وفرة العقل ورجحانه، وقد حث القرآن الكريم

(١) سورة غافر، الآية (٣٩).

(٢) الزهد ، هناد بن السري، باب التفرغ، (٢/ ٣٥٣) رقم (٦٦٣).

(٣) عمرو بن مرة بن عبدالله بن طارق بن مراد من مذحج، الإمام القدوة، الحافظ، أبو عبدالله المرادي ثم الجَمَلي الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، حدث عن عبدالله بن أبي أوفى، وأرسل عن ابن مسعود وغيره، زكاه الإمام أحمد ووثقه يحى بن معين ، وكان يرى الإرجاء، مات سنة ست عشرة ومائة ، وقيل ثمان عشرة ومائة.
سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٢٠٥رقم ٦٨٩، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣١٢رقم ٢٤١٢.

(٤) الزهد، لهناد: (٢/ ٣٥٣) رقم (٦٦٢).

على النظر في عواقب الأمور في آيات كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1] كما ذم تعالى من لا يفكر في مآلات الأمور، ولا يلقي لها بالاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾[2] وبين سبحانه بأن العاقبة الحسنة لمن خافه عز وجل فصرف أوقاته في طاعته وحجم نفسه عن الاستغراق في شهوات الحياة وملذاتها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[3]

وقيل: «ينبغي أن يكون شغل العاقل النظر في العواقب والتحرز مما يمكن أن يكون»[4].

فالنظر في العواقب سبب رجوع القلب وجمع الهم وتحصيل الزاد والتهيؤ للرحيل، ومتى عمل المرء بواقعه من غير تأمل للعواقب كان الغالب عليه الندم[5]. ويقول ابن القيم: «فأعقل الناس من آثر لذة نفسه وراحته في الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة، وأسْفه الخلق من باع نعيم الأبد وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى - التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما- بلذة منقضية مشوبة بالآلام والمخاوف، وهي سريعة الزوال وشيكة

(١) سورة القصص، الآية (٨٣).

(٢) سورة الانشقاق، الآية (١٠-١٥).

(٣) سورة يوسف، الآية (٩٠).

(٤) صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص (٢٧١). دار القلم دمشق ط١/ ١٤٢٥ هـ.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٥٤.

الانقضاء»[1]. فالبصير الموفق يعبر بنظره من الأوائل إلى الأواخر، ومن المبادئ إلى العواقب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[2] فمن زهد قلّتْ في عينه الدنيا فرأى الآخرة ببصر قلبه، فاستقل هذه وتهاون بها، وشخُص بصره إلى ربه ورازقه الذي ضمن له رزقه، ووثق بضمانه، فأما من لم يفتح بصره في الآخرة وعظم قدر الدنيا في عينه وعلق قلبه بها فكلما ذكر الفقر ركن إلى ما في يده، فالعاقل لا يركن إلى الدنيا أو يغتر بها، أو يلهو بها عن الآخرة قال تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[3].

فالآخرة فيها عذاب شديد لمن آثر الدنيا على الآخرة، وفيها مغفرة ورضوان لمن آثر الآخرة على الدنيا.

(١) الجواب الكافي، لابن القيم (١٩٣).

(٢) انظر: عدة الصابرين، ابن القيم، ص (٦٢) دار ابن كثير، بيروت، ط١٤٠٩هـ.

(٣) سورة الحديد سورة الآية (٢٠).

المبحث الثالث

مجالات تطبيق قيمة الزهد الفردية والاجتماعية

يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : تطبيق قيمة الزهد في الحياة الفردية.

المطلب الثاني: تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث

مجالات تطبيق قيمة الزهد الفردية والاجتماعية

لا تظهر القيمة المتكاملة للقيم إلا عند الجمع بين جانبين مهمين؛لأن قيمة الأخلاق حقيقة واحدة لها جانبان، جانب نظري يدرك عن طريق النظر والتأمل العقلي، وجانب وجداني شعوري نفعي يدرك عن طريق التطبيق العملي، فمن الحكمة الجمع بين فضيلة النظر وفضيلة العمل، ولا يمكن أن يؤتي التوجيه النظري ثماره مالم يرادفه تطبيق في ميدان الحياة الفردية والاجتماعية، فإذا قيمة الزهد كانت ساكنة في الإنسان نفسه كان أثرها فيه وحده، غير أنها إذا ترجمت هذه القيمة إلى سلوك عملي واقعي خرجت إلى مجال التفعيل والممارسة، فترتب عليها الأمن النفسي والاجتماعي والجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، لذلك نلحظ في القرآن الكريم اقتران الإيمان بالعمل الصالح قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] فالإيمان والعمل الصالح ترجمة لقيمة تعبدية حياتية، ووسيلة للكمال على مستوى الأفراد والمجتمعات، وهو مشتمل على القول والاعتقاد والعمل، وهذه الجوانب الثلاثة لابد من توفرها عند ممارسة الزهد ليكون وفق المنهج الذي جاء به الإسلام.

لقد كان رسول الله ﷺ المربي القدوة حريصاً على تأكيد القيم السامية في نفوس أمته، وفي سلوكهم، في تطبيق ما يدعو إليه من قيم، وتوجيهاته لمن خالف من رعيته.

(١) سورة الأعراف، الآية (٤٢).

ومن عرف سيرة الرسول ﷺ وشمائله وجد أنه ﷺ وضع السبل لتطبيق قيمة الزهد، حيث اتبع أسلوب الترغيب في ثواب الآخرة لمن تحلى بها، والترهيب لمن خالفها، وكذلك أبرز الثمرات الدنيوية التي يجنيها الزاهد في حياته، ووضع قواعد واضحة ومفصلة لتطبيقها، ليسهِّلها على من أراد الالتزام بها، كما نلحظ عنايته بالممارسة العملية لهذه القيمة في مجالات وظروف متعددة، وواجه المخطئ في تطبيق هذه القيمة، وبيَّن خطأه، ووجهه للصواب .

إن أهم ثمرة يؤدي إليها التطبيق العملي للقيم الأخلاقية، هي الإحساس الدائم بالسرور والطمأنينة القلبية والشعور بخيرية الذات وخيرية المصير، وهذه السعادة نتيجة طبيعية للتطبيق العملي للقيم، ذلك أن الإنسان عندما يعمل بمقتضى عقيدته فيؤدي الواجبات ويجتنب المحرمات ويوجه طاقاته نحو الأهداف السامية ويحققها خطوة خطوة، يشعر بأنه إنسان خيِّر قوي الإرادة سائر في طريق خير نحو غاية خيِّرة .

ويزيد إحساسه بالسعادة لأنه يكافح من أجل خير نفسه وخير مجتمعه إذ إن الإنسان الخيِّر لابد من أن يعمل لخير مجتمعه، يضاف إلى ذلك التقدير الأدبي من الناس وهو سائر في هذا الطريق .

إن العمل بهذا الإحساس هو سبيل السعادة الروحية التي تلازمه باستمرار، أما الانهماك في الملذات على حساب الأخلاق فليس وسيلة السعادة بل هي وسيلة الشقاء.

وفي هذا المبحث سنعرض بعض الجوانب التطبيقية لقيمة الزهد الفردية والاجتماعية.

المطلب الأول

تطبيق قيمة الزهد في الحياة الفردية

الزهد مبني على متابعة النبي ﷺ، فمن رام وصولاً إلى الله تعالى من غير طريق نبيه ﷺ فقد زاغ وهلك، ورام ضلالاً وخسراناً. وهذا أمر جلي في كافة أبواب التعبد، وفي باب الزهد آكد، يقول الغزالي (الزهد: إنما هو اتباع العلم ولزوم السنة)[1] ويقول الذهبي: « قلت: الطريقة المثلى هي المحمدية وهو الأخذ من الطيبات وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾[2][3].

فلا بد أن يكون الزهد على ما تقتضيه نصوص الكتاب والسنة.و أن يكون تطبيقه في الحياة مبني على الإخلاص لله ومعرفة هدي النبي ﷺ.

وقد تضافرت نصوص أهل العلم في بيان أن معرفة الله تعالى أساس لتحقيق الزهد في الدنيا وقطع تعلق القلب بها، فمن عرف مولاه لم يتفرغ قلبه للتعلق بشيء سواه، وأقوالهم في هذا الباب أكثر من أن تحصى، قال أبو يزيد البسطامي[4]: «من عرف الله فإنه يزهد في كل

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي (٤/ ٢٢٨).

(٢) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٢/ ٨٩-٩١).

(٤) طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أحد الزّهاد، له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء، منها ما لا يصح، أو يكون مقولا عليه، توفي سنة إحدى وستين ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٦-٨٩)، =

شيء يشغله عنه»[1].

والتطبيق العملي الصحيح لمفهوم الزهد في الإسلام هو هدي النبي ﷺ وهو خير الهدي وأجله، وقد اختار ﷺ طريق الزهد ، وكل قول أو فعل في الزهد فلابد من عرضه على قوله ﷺ وفعله فيه فما وافقه قبل وما عارضه رد، فلا يستدل على كون الزهد «محموداً أو مذموماً أو حلالاً أو حراماً إلا بالأدلة الشرعية»[2].

فالزهد لابد أن يكون على أمره ﷺ، وكل زهد ليس على هديه فمردود على صاحبه؛ لقوله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[3] ولذا فقد كان الصحابة الكرام يقايسون أحوال الناس ويحاكمونهم إلى حاله ﷺ، فهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه يخطب الناس بمصر فيقول: «ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا، وأما أنتم أرغب الناس فيها»[4].

فبالتأسي بالنبي ﷺ، والتعرف على سنته، وفقه ما جاء به عن ربه، يوفق العبد لتطبيق الزهد تطبيقا شرعياً يؤجر عليه.

=

انظر وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٢/ ٥٣١) دار صادر.

(١) حلية الأولياء،الأصفهاني،١٠/ ٣٧.

(٢) الاستقامة، لابن تيمية: (١/ ٣٣٩) جامعة الإمام محمد بن سعود ط١ / ١٤٠٣هـ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحدود ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم ١٧١٨ .

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي ، كتاب شعب الإيمان ، باب الزهد وقصر الأمل ، رقم ١٠٢١٦، (١٣/ ١١٤).

أولاً : تطبيقات الزهد فيما يتعلق بالعبادات :

عرف شيخ الإسلام العبادة بتعريف جامع لأنواعها وأفرادها فقال : «العبادة هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام،والحج،وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والوفاء بالعهود،والأمر بالمعروف والنهي على المنكر ..وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك من العبادة لله..»[1].

من هذا التعريف يتبين أن العبادة تنقسم إلى قسمين:

أقوال وأعمال ظاهرة وهي العبادات البدنية.

وأقوال وأعمال باطنة وهي العبادات القلبية.

أولاً العبادات القلبية :

إن العبد يوم القيامة محاسب ومجازى على أعمال قلبه، كما هو محاسب ومجازى على أعمال جوارحه قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾[2] والعبادات القلبية هي الأصل والعبادات البدنية تبع ومكملة؛إذ إن العبادات القلبية روح العبادات البدنية، ولهذا فهي آكد منها .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً أهمية أعمال القلوب «وإنما هي الأصل المراد

(١) مجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) سورة العاديات، الآية (٩-١٠).

المقصود، وأعمال الجوارح تَبَعٌ ومكملة ومتممة، وإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد والأعضاء الذي إذا فارق الروح فموات، كذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث»[1].

ولما كانت العبادات القلبية كثيرة فإني سأذكر أمثلة للعبادات القلبية، وما تكون عليه حال الزاهد المعتني بها، لتكون مثالا لكافة العبادات القلبية في باب الزهد.

وقد اقتصرت على أربع عبادات قلبية جامعة للأعمال القلبية هي «الإخلاص لله،وصحة اليقين، والصبر، والتوكل على الله».

الإخـــلاص:

الإخلاص أساس الدين، وروح العبودية الذي لا يقبل الله تعالى من أحد قربة دونه، ومكون أساس من مكونات الزهد، إذ المقصود من الزهد العكوف على الله عز وجل بالكلية، وجمع الهمة عليه، وتفريغ القلب لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته، وتحصيل المرء ما ينجيه في آخرته، وتلك حقيقة الإخلاص ولبه، فلابد من الإخلاص في الزهد كسائر القرب.

فالزاهد لا يستقيم له زهده صحة وقبولاً إلا إذا حافظ على إخلاصه وسلامة نيته في سائر زهده تركاً وفعلاً، فالله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان لوجهه خالصاً، وقد أشار إلى هذا المعنى غير واحد، يقول سلام بن أبي مطيع[2]: «الزهد على ثلاثة أوجه: واحد:

---

(١) بدائع الفوائد ، ابن القيم (٣/ ١٨٨).

(٢) الثقة القدوة أبو سعيد الخزاعي، مولاهم البصري. وثقه الإمام أحمد بن حنبل وهو يعد من خطباء أهل البصرة، ومن عقلائهم ، مات سنة ثلاث وسبعين ومائة.انظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٦)، وانظر تهذيب التهذيب (٤/ ٢٨٧) دائرة المعارف الهند، ط/ ١ ١٣٢٦هـ.

أن تخلص العمل لله والقول، فلا يراد بشيء منه الدنيا،...»[1].

وقد قال حاتم الأصم: «رأس الزهد: الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص»[2].

وقال أبو صفوان الرعيني: «كل ما عملته في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها»[3].

ويبين ابن القيم حقيقة الإخلاص في شرحه لتعريف الهروي بعد أن عرف الإخلاص بقوله : «الإخلاص تصفية العمل من كل شوب» يقول ابن القيم شارحا كلام الهروي[4]: «هو الذي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم وخدمتهم، وقضاء حوائجه أو غير ذلك من العلل والشوائب التي يراد الأعمال بها سوى الله سبحانه كائناً من كان»[5].

فالزاهد شغله في إصلاح قلبه ونيته، فتجده لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب

(١) الزهد، لابن الأعرابي: (٢٨)، الحلية لأبي نعيم (٦/ ١٨٨).

(٢) حلية ألأولياء، لأبي نعيم (٨/ ٧٥).

(٣) الزهد، لابن الأعرابي (٣١).

(٤) الحافظ العلامة الزاهد شيخ الحرم، أبو ذر عبد بن أحمد المعروف ببلده بابن السماك الخرساني، صاحب تصانيف منها المسند والسنن والقراءات، كان فقيها عالما حافظا، ولد سنة ست وخمسين وثلاث مائة مات بمكة سنة أربع وثلاثين ومئة .انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٢)، وانظر تاريخ بغداد، الخطيب الغدادي (١١/ ١٤١) دار الغرب الإسلامي ط١/ ١٤٢٢هـ .

(٥) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/ ٣٢٣).

الناس، من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل، ولا يحب أن يطلعَ الناس على مثاقيل الذر من عمله، وهو من أشد الأعمال على نفسه؛لأن الإخلاص لا يجعل للنفس نصيب من العمل المخلَص لله، زهِد في المدح والثناءِ، ليقينه أنه ليس أحدٌ ينفَع مدحُه ويضرُّ ذمّه إلا الله، فوفَّقه الله فلم يتأثّر بثناء الناس، وإذا سمِع ثناءً لم يزِده ذلك إلا تواضعًا وخشية من الله، وأيقن أنّ مدحَ الناس له فتنة، فاستشعر عظمةَ الله وضعفَ المخلوقين وعجزَهم وفقرهم، واستصحَب أنّ الناس لا يملِكون جنّة ولا ناراً، وأنزَل الناسَ منزلة أصحابِ القبور في عدمِ جلبِ النفع ودفع الضرّ ، أما غيره لم يقنع باطِّلاع الخالق تبارك وتعالى، فأحبت نفسه مدح الناس، وسرورهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات، وأعظم الشهوات، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا من أعانه الله على تحقيق الزهد، والتجرد لله تعالى، وشمر عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة .

صحة اليقين:

متى بلغ العبد هذه الرتبة فلابد أن يدفعه يقينه إلى الزهد في الدنيا والإقبال على عمل الآخرة، ثقة بما عند الله تعالى، من رزق في الدنيا وثواب في الآخرة، وإدراكاً منه بأن زهده في الدنيا لا يمنعه شيئاً كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقْض له منها[1].

وقد توارد هذا المعنى عن السلف وأرباب الشأن، يقول الحسن: «إن من ضعف

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢٥٤-٢٥٥).

يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل»[1].

وقال ابن رجب: «فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفاً، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك كان زاهداً في الدنيا حقيقةً وكان من أغنى الناس وإن لم يكن له شيء من الدنيا، كما قال عمار ﷺ: كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً. وقال ابن مسعود ﷺ: اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحسد أحداً على رزق الله، ولا تلم أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، فإن الله تعالى بقسطه وعلمه وحكمته جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في السخط والشك»[2].

التوكل على الله:

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً)[3] هذا الحديث يوجه المؤمن إلى صدق التوكل على الله، حتى تكون مساعية متّسمة بخلق الثقة بالمقادير الربانية، وبالوعد الرباني الذي ضمن الله فيه لعباده أرزاقهم، وكلّفهم السعي لتحصيل ما قسم لهم، فما تموت نفس حتى تستوفي ما قدّر لها من رزق.

(١) اليقين، لابن أبي الدنيا: رقم (٣٣ ص ٤٨) دار البشائر الإسلامية.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢٩٠).

(٣) سنن ابن ماجة،كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، رقم ٤١٦٤، صححه الألباني.

وهذه العقيدة الإيمانية تولى القرآن الكريم بيانها في مواضع كثيرة، حتى يطمئن الناس على أرزاقهم، فلا يقلقوا من أجلها، ولا تكون سبب بخلهم أو جبنهم، أو تتبع طرق الكسب الحرام . .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1] فالزاهد يسعى في اكتساب رزقه الذي قدر له كما أمره، ولا يعلق قلبه بالأسباب التي يباشرها، بل بمسبب الأسباب الذي ربط النتائج بها، وهذا هو التوكل الحقيقي على الله، وهو التوكل المطلوب في الإسلام. والزهد متحقق في التوكل، قال يحيى بن معاذ: «طلبوا الزهد في بطن الكتب، وإنما هو في بطن التوكل»[2] وقال سليمان الداراني (إذا بلغ العبد غاية من الزهد أخرجه ذلك إلى التوكل)[3] وقال المناوي: «حقيقة الزهد التوكل، حتى يكون ثقته بقسمة الله، فإن ما في يده قد يكون رزقَ غيره، ولا يفرح به ولا يطمئن، ولا إلى ما يرجوه من يد غيره، فيستريح قلبه من همها وغم ما يفوت منها، وبدنه من كد الحرص وكثرة التعب في طلبها، فلم يغتم قلبه على ما فات، ولم ينصب بدنه فيما هو آت، وإن جهل ذلك يعذب قلبه بتوقع ما لم يقسم منها، ويحزن لذلك على كل فائت منها»[4].

فظهر بجلاء ما للتوكل على الله من قوة دافعة إلى الزهد جالبة له.

(١) سورة الذاريات، الآية (٢٢، ٢٣).

(٢) الحلية، لأبي نعيم (١٠/ ٥٢).

(٣) المرجع السابق (٩/ ٢٥٦).

(٤) فيض القدير، المناوي (٤/ ٧٤).

الصـــبر:

إن القيام بالواجبات الشرعية، والمندوبات أمر شاق على النفس؛ تحتاج فيه إلى صـبر ومصابرة، وقد اقترن الصبر بمقامات الإسـلام، والإيـمان، كـما قرنـه الله سـبحانه بـاليقين والتوكل وبالشكر والعمل الصالح ، لذلك له أهمية بالغـة في حيـاة الزاهـد، فهـو عدتـه في زهده، وأحد الأصول الأربعة التي بها نجاته من الخسران المبين في الدنيا والآخرة المـذكورة في سورة العصر .

وقراءة حياة السلف رحمهم الله والنظر في أقوالهم عن الصبر، مدعاة لتـأسي الزاهـد بهم قال عمر بن الخطاب ﷺ: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»[1] وقـال أيـضا : «أفـضل عـيش أدركناه بالصبر ولو كان من الرجال كان كريما»[2] وقال الحسن : «الصبر كنز من كنوز الخـير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده»[3] .

والزاهد يعلم أهمية أعمال القلوب وأنها الأصل والمـراد، وأعـمال الجـوارح مكملـة ومتممة،فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجـوارح إذ هـي أصـلها، وأحكـام الجوارح متفرعة عنها .

بينما كثير من الناس إما لجهلهم،أو لكـسلهم وتهـاونهم، أهملـوا واجبـات القلـوب واعتنوا بواجبات الأبدان، وكأن واجبات القلوب ليست مـن واجبـات الـدين، بـل هـي مـن الفضائل والمستحبات، فتراه يتحرج من ترك فرض، أو واجب من واجبات البدن، وقد ترك ما

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم الجوزية، (ص ٩٥).

(٢) المرجع السابق (٩٥).

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي (٤/ ٦١).

هو أهم من واجبات القلوب وأفرضها، وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو أشد تحريما وأعظم إثما[1] لكن الزاهد عنايته بأعمال القلوب أشد لأن القلب محل نظر الله تبارك وتعالى.

ثانياً :العبادات البدنية :

هي العبادات المتعلقة بالبدن والتي يقوم بها الزاهد في حياته، وتساعده بتوفيق الله على السير إلى الله والتحلي بالزهد وسلوك طريق المقربين مثل: قيام الليل، وتلاوة القرآن والصيام، والصدقة .

ولما كانت العبادات البدنية كثيرة فإني سأذكر أمثلة لتلك العبادات، وما تكون عليه حال الزاهد المعتني بها، لتكون مثالا لكافة العبادات البدنية في باب الزهد.

قيام الليل :

القيام للصلاة والتهجد في ناشئة الليل، بعدما أخذت النفس قسطها من النوم والراحة، في هذا الوقت يكون للقيام حلاوته ولمناجاة الرب تعالى وترتيل آياته طراوته، وللخلوة به جل وعلا في ظلمة الليل نوراً يجده المصلي في قلبه ووجهه.

فالصحابة رضي الله عنهم لم يتركوا قيام الليل بعدما ألفوه، رغم نسخ وجوبه رحمة بهم، لأنهم وجدوا فيه الزاد والقوة والخلوة والأنس، ووجدوا فيه معاني الإيمان وعطايا الرحيم الرحمن مما تلذ به أنفسهم، وتأنس به أرواحهم، وتقوى به قلوبهم وأجسادهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] ولقد كان الرسول ﷺ يصلي حتى تتفطر

(١) انظر إغاثة اللهفان، ابن القيم (٢/ ١٨٠).

(٢) سورة الذاريات، الآية (١٧).

قدماه فيقال له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟فيقول أفلا أكون عبدا شكوراً»[1]. وقال عبدالله بن مسعود ﷺ: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ..»[2]. وهذا يوضح أن قيام الليل بالصلاة والدعاء من أهم أسس الزهد وهو السمة الواضحة المشتركة بين كل الزهاد، حتى إن الزاهد لا يعرف بزهده إلا إذا قام الليل .قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[3] يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، وحين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة»[4] والزاهد لا يفرط في قيام الليل حضرا ولا سفرا، أسوته الرسول ﷺ حيث لم يترك قيام الليل حتى قبض ﷺ.

وهل يعني هذا أنهم منقطعون للعبادة لا يعملون ؟ وكيف يحصلون على قوتهم وقوت عيالهم ؟ إن هؤلاء الزهاد من السلف الصالح كانت لهم أعمال يقتاتون منها وينفقون على أهلهم، فأبو بكر الصديق ﷺ لما تولى الخلافة وتفرغ لخدمة المسلمين فرض له عمر بن الخطاب وأبو عبيدة كل سنة ستة آلاف درهم .[5] وكان أبو الدرداء يزاول

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ الليل، رقم (١١٣٠).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٣١، ١٣).

(٣) سورة السجدة الآية (١٦-١٧).

(٤) حادي الأرواح، ابن القيم، ص ٢٧٨، الباب الرابع والستون، مطبعة المدني القاهرة.

(٥) انظر طبقات ابن سعد، (٣/ ١٨٤) دار الكتب العلمية بيروت ط١/ ١٤١٠هـ.

التجارة مع العبادة[1].

فالسلف الصالح يقررون حقيقة الزهد السليم وهي الأخذ من الدار الدنيا والعمل للدار الآخرة متمثلا قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[2].

الصيام: ومن العبادات المشتركة عند الزهاد الإكثار من الصيام وملازمته يوم الإثنين والخميس وأيام البيض والأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة وصيام شهر الله المحرم ويوم عرفة وعاشوراء وغير ذلك، فتجدهم يحرصون عليه أشد الحرص صيفا وشتاء، لعلمهم فضل الصيام ومنزلته، وأنه من أكبر أسباب تقوى الله؛لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه.

ومما اشتمل عليه من التقوى:

أن الصيام يدرب النفس على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه.

ومنها : أن الصائم في الغالب تكثر طاعته وتقل معاصيه، والطاعات من خصال التقوى .

ومنها : أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين، وهذه المعاني من خصال التقوى»[3].

والزاهد يسعى لتحقيق التقوى و بلوغ درجة المتقين،والصيام من أكبر أسباب الحصول عليها لما له من تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحمايتها

(١) المرجع السابق (٧/ ٣٩٢).

(٢) سورة القصص، الآية (٧٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي (ص٨٦) بتصرف يسير.

عن التخليط الجالب لها من المواد الفاسدة التي إن استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ للقلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على تقوى الله .

تلاوة كتاب الله وحفظه وتدبره:

قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[1].

والقرآن مأدبة الله والزاهد يقبل على هذه المأدبة بشوق، فهو يرى أن القرآن يخاطبه ورسائل موجهة إليه، كما قال الحسن البصري رحمه الله[2]: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها في النهار»[3].

والقرآن الكريم أنزل لتدبر معانيه لا لتلاوته فقط، فالتدبر أعلى منزلة من التلاوة وإن في كلٍ خير قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن الكريم وإطالة التأمل، وجمع فيه الفكر على معانيه فإنها.. تتُلّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة،وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه»[4] .

---

(١) سورة ص، الآية (٢٩).

(٢) الحسن بن أبي الحسن يسار، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، وشيخ البصرة، مات الحسن في سنة عشرٍ ومئة .انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣-٥٨٨).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، يحي بن شرف الدين النووي، ، الباب الخامس (ص ٥٤) دار بن حزم ط٣/ ١٤١٤هـ.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/ ٣٥-٣٦).

تطبيقات الزهد فيما هو من ضروريات الحياة:

من مقاصد الشريعة أن يتميز المسلم بالعناية بجسده ومطعمه ومشربه، وملبسه، بتوسط بين الراحة الجسمية والعمل وغيرها من الضروريات التي لا تقوم الحياة إلا بها.

ولئن كان طائفة من المسلمين أفْرطوا في ذلك أو فرَّطوا، فإن الزاهد هو أولى الناس بتحقيق هذا المقصد الشرعي والتوسط فيه، تقربا إلى الله، وقدوة للناس، وأداء لحق الجسد، فلا يهمل ظاهره لاشتغاله بباطنه، ولا يفصل مظهره عن مخبره، بل يجمع بين جمال الظاهر والباطن .

ومن التطبيقات التي يقوم بها الزاهد في ضروريات الحياة ما يلي:

حال الزاهد في مطعمه: الإحسان إلى النفس بالمطعم أول ما يجب على الزاهد فعله، إذ الحياة لا يمكن أن تقوم بغيره، فعليه أن يتخير من الطعام أطيبه كما أمر الله رسله عليهم السلام والمؤمنين بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[1] ويتجنب الخبيث وهو الحرام على أهل الإيمان كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾[2].

والطيبات ما كان حلالاً وصحيحاً ومتوازناً ولا شك أن الطعام أطيب من بعض لذا كان حقا على الزاهد أن يحسن إلى نفسه بتناول الطيبات إن تيسر له تأسيا بالنبي ﷺ، ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : «كان أحب العُراق إلى رسول الله ﷺ عُراق الشاة»[3]

(١) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٥٧).

(٣) سنن أبي داود،كتاب الأطعمة، باب في أكل اللحم، رقم ٣٧٨٠، صححه الألباني.

والعراق: جمع عرْق بالسكون،وهو العظم إذا نزع عنه معظم الحم .وقد أكل النبي ﷺ من الأطعمة الطيبة أنواعا كثيرة، فينبغي للزاهد أن يتخير ما تميل إليه نفسه بطبعها مما له فائدة تعود على جسمه بالصحة والقوة والشبع، فقد أكل النبي ﷺ الحلوى والعسل، وأكل لحم الجزور والضأن،والدجاج ولحم الحبارى والأرنب، وطعام البحر وأكل الشواء، وأكل الرطب والتمر،وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزيت، وأكل البطيخ بالرطب، وأكل التمر بالزبد[1].

ومن تطبيقات الزهد في الطعام، القصد والاعتدال، فالزاهد يتناول طعامه بقدر حاجته، من غير شره ونهم، ويكتفي بما يقيم صلبه، ويحفظ عليه جسمه قوته ونشاطه، لاشتغاله بأسباب العبادة، ولعلمه أن مقصود الشرع من الأكل والشرب ما يسد الجوع ويمسك الرمق، ويعين على العبادة، ومن ثمّ يزيد الإيمان .

والزاهد المتبع هدي النبي ﷺ في أكله وشربه، أبعد الناس عن الإسراف في الطعام والشراب لأن الإسراف يفتك بالصحة والعافية، والبطن شرُّ وعاء يملأ؛ فالبطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عليه النفس، وعرض له الكرب والتعب، وكان بمنزلة حامل الحِمل الثقيل، لذلك يكتفي باليسير منه لأنه أخف لبدنه، وأيسر لحركته، وأتم لصحته وعافيته وكما نهى الشارع عن الإفراط والإكثار من الأكل والشرب وذلك لضرره، نهى أيضا عن التفريط وهو التجويع وهضم حظ النفس حاجتها إلى الأكل والشرب تحت أي مسوغ ولو كان بقصد العبادة كالصيام، فإن عبادة

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (١/ ١٤٧-١٤٨).

الصيام يجب أن تهذب بآداب الشرع فليست كل يوم، فقد نفى النبي ﷺ عبادة الصيام وثوابها عمن صام الأبد فقال عليه الصلاة والسلام : (لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد)[1]. فالمؤمن الزاهد قليل الأكل، لأن الأكل وسيلة لتلبية حاجات الجسم، وليس غاية بحد ذاته، بخلاف الكافر ليس له هم إلا فرجه وبطنه لا يفرق بين الحلال والحرام قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾[2].

حال الزاهد في ملبسه: الزاهد يعتني بلباسه وهندامه، فلا يرى إلا في هيئة حسنة، أنيق المظهر متناسق اللباس، تأنس به الأنفس، كأنه الشامة، لا يخرج على الناس في هيئة مزرية، بدعوى التقشف والزهد، بل يتفقد نفسه قبل خروجه، فيتجمل بأحسن لباس قال تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[3] ويحقق مقاصد اللباس في الإسلام، من ستر العورة، والزينة والتجمل، والوقاية من الحر والبرد، ويختار لباسه وفق هدي النبي ﷺ.

فالتجمل بالثياب هو أحد مقاصدها، وقد أقره الإسلام وحث عليه، فقد روى عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال : (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس)[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب حق الأهل في الصوم، رقم (١٩٧٧).

(٢) سورة محمد، الآية (١٢).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٣١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (٩١).

فالزاهد يعْمد إلى التجمل المشروع، لكنه يبتعد عما ينافي الزهد في اللباس، فلا يلبس يثاب الشهرة؛ التي تلبس للاشتهار بين الناس بسبب نفاستها وتميزها، والتي تلبس تفاخراً بالدنيا وزينتها، أو تلبس لخستها لإظهار الزهد والتقشف، قال رسول الله ﷺ: (من لبس ثوب شهرة، ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله). وفي رواية :(ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة، ثم تلهب فيه النار)[1].وقد قال بعض السلف : «كانوا يكرهون الشهرتين عن الثياب العالي، والمنخفض»[2].

فالجمال والتجمل يمكن أن يكون بالثياب التي يلبسها الناس عادة، من غير أن يكون صاحبه متميزاً ولا متعاليا على الآخرين،الأمر الذي يبث فيه الكبر المؤدي إلى الهاوية، والمطلوب من الزاهد أن يكون متواضعاً لله، ناظراً للآخرين من خلال تفاضلهم بالتقوى لا بالثوب والحلي والمظهر، فلا يهتم به الاهتمام الزائد عن المعتاد، ولا يتكلف فيه.

والزاهد يلبس الثياب تجملاً وإظهاراً لنعمة الله، ولا يلبسها للشهرة والخيلاء والفخر فإنه مذموم لما يترتب عليه من الخسف بصاحبه يوم القيامة .لقوله ﷺ (بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه مرجل جُمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلل إلى يوم القيامة)[3] هذا في اللباس المباح، أما ماحرم الله ورسوله ﷺ من الألبسة فالزاهد أبعد الناس عنها،كجلود السباع، وكالحرير والذهب للرجال، أو كانت الهيئة محرمة كالإسبال أو جر الإزار ونحوه، أو فيه تشبه بالجنس الآخر، أو تشبه بألبسة الكفار التي لا يعرفون إلا بها، وغير ذلك من

(١) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم ٤٠٢٩، حسنه الألباني.

(٢) زاد المعاد، ابن القيم، (١/ ١٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء، رقم (٧٥٨٩).

الأنواع والهيئات المحرمة في اللباس فإن الزاهد لا يقربه.

حال الزاهد في مسكنه :

البيت هو المكان الذي يتقي فيه الإنسان الحر والبرد، ويجد فيه المأوى الذي يكنّه ويحفظه،ويهيئ الاستقرار له والهدوء النفسي، ولما لهذه المعاني من مكانة، كان السكن واحداً من الضروريات التي رعاها الإسلام، وجعل لها حرمتها وحصانتها.

لهذا نجد الزاهد مقتدياً بالنبي ﷺ في مسكنه وأثاثه وفراشه، فلا يجعل متع هذه الحياة همه، ويتركها تستحوذ على فكره ويصير يملأ عينيه من فراشه وأثاثه، وبيته وحجراته، ويشغل قلبه بصوره وألوانه، حتى يملأ ركناً من قلبه ويمتلك جانباً من نفسه.

فالزاهد يسمو فوق رغباته، ويعلو على شهواته، حيث يكتفي من المسكن والأثاث والفراش بما يحفظ عليه حياته وصحته، ويعينه على أداء واجبه، ويحفظ عليه هيبته ومكانته، فهو بهذا يطبق الزهد في مسكنه وفق التوجيهات الشرعية، التي تنهى عن التكلفة الباهظة في بناء المسكن بغرض الإسراف والخيلاء والمباهاة، لهذا نجده في مسكنه قد أصاب السنة، واستقام على الجادة .

الزهد في المباحات والمشتبهات :

المباح : «ما استوى طرفاه»[1] أي أن الله أذن في فعله، من غير أن يعاقب فاعله، ولا يمدح تاركه.

والزاهد حين يزهد في المباحات هدفه عدم الوقوع في المحرمات، خشية أن يكون

(١) التعريفات للجرجاني باب الميم (١٩٦) دار الكتب العلمية بيروت ط١/ ١٤٠٣هـ.

ذلك المباح فيه شبهة فلذلك يتركه، و يقلل منها خوفا من أن تشغله عن عبادة الله فيذهب عمره في التمتع والتلذذ بها، ولم يعمل عملا ينفعه في آخرته، فيتزود بالقليل من المباحات فيما يعينه على عبادة الله تعالى، والزاهد يترك كل شيء لا ينفع في الآخرة والإكثار من المباحات من الأمور التي تقطع الزاهد عن ربه، وتكدر صفوه، وتشغله بالمفضول عن الفاضل.

ومن آراء الزهّاد في الحلال ما ذكر ابن رجب عن الحسن قال: «مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام» وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما: «إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها» وقال ميمون ابن مهران رضي الله عنه[1]: «لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزا، حتى يدع الإثم وما تشابه منه»[2].

فالزاهد يأخذ من المباحات – التي تكون غالبا في المطعم والملبس والمسكن والمال،وهي التي تجمع متاع الدنيا – بالقدر الذي يعينه على العمل للآخرة، فيأخذ من الدنيا ما وجد طيبا بدون تكلف في البحث عنه والتعب عليه، ولقد كان الرسول ﷺ يشبع إذا وجد ويصبر إذا لم يجد، ويأكل الحلوى إذا قدر عليها ويشرب العسل إذا وجده ويأكل اللحم إذا تيسر له ولا يتعهده أصلاً ولا يجعله ديدناً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فـ«المسلم المتبع لشريعة الإسلام هو المحرم ما حرمه الله ورسوله، فلا يحرم الحلال ولا يسرف في تناوله، بل يتناول ما يحتاج إليه من طعام أو لباس أو نكاح، ويقتصد في ذلك، ويقتصد في العبادة فلا يحمل نفسه مالا تطيق، فهذا تجده

(١) الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أعتقته امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثم سكن الكوفة، توفي سنة سبع عشرة ومئة . انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٧١-٧٨)، انظر حلية الأولياء (٤/ ٨٢).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٢٠٩)، وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٢٤٨-٢٨٨).

يحصل له من مجاهدات النفس وقهر الهوى ما هو أنفع له من تلك الطريق المبتدعة الوعرة القليلة المنفعة»[1].

والمشروع للعبد تجاه ما يحتاج إليه من طيبات الحياة وملذاتها: أن ينوي بما يتناول منها – من غير إسراف ولا مخيلة – التقوّي على طاعة الله تعالى، وامتثال الأمر وأداء الحقوق تجاه النفس والغير، وأن يكثر من شكره سبحانه على نعمه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[2].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها)[3]وعن أبي مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة)[4] فمن تناول نعمه تعالى بغير نية العون على القربة أو الرغبة في امتثال الأمر وأداء الحقوق، أولم يشكر الله تعالى عليها أو أسرف وطغى، فهو مذموم، ومن أعرض عما يحتاج إليه منها لم يتهيأ له التقوي ولا الشكر فهو مذموم أيضاً[5].

وأما الزهد في فضول المباحات : فيزهد المسلم فيما زاد عن حاجته منها، وقدر العلماء ذلك بما يمسك النفس من القوت والشراب وللباس والمسكن وغير ذلك، بما يعين المسافر

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤ / ٤٦١).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل، رقم (٢٧٣٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، رقم (٥٥).

(٥) انظر: كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام ابن تيمية: الاستقامة (٢/ ١٣٤)، وما بعدها، ومجموع الفتاوى (١٤/ ٤٦٠) وما بعدها.

على سفره فيزهد فيما زاد عن ذلك القدر ليغتنم التفرغ لعمارة وقته[1].

وإذا استعان المسلم بشيء من أمور الدنيا مثل السكن المريح واللباس الساتر للعورة وغير ذلك مما يعينه على أداء عبادة الله، فهذه من الأمور التي يأخذ منها الزاهد قدر الكفاية من غير زيادة حتى لا يستأنس بها ولا تلهيه بعد ذلك عن عبادته وحتى لا ينشغل بها . وأما في الظاهر فترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله من مطعم وملبس ومال وغير ذلك، كما قال الإمام أحمد: «إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وصبر أيام قلائل»[2] .

فإذا بلغ الغاية في ذلك صار زاهداً في فضول الحياة وملذاتها، تاركاً لما لا يعنيه منها، فلا شغل له فيما سوى الله تعالى، بل مدار قوله وفعله، وإقدامه وتركه، وبذله ومنعه، وسائر شأنه على تحقيق محبوب الله واجتناب ما يخالف مراده سبحانه، فكأنه قد زهد في كل شيء إلا فيما أمر الله تعالى به، أو فيما ندب سبحانه إليه أو ما لا بد منه، وهذا إنما يحصل بكمال المتابعة لإمام الزاهدين رسولنا الحبيب ﷺ[3].

ومن الزهد في الفضول اشتغال الإنسان بما يعنيه ويترك مالا يعنيه، فاشتغال الإنسان بما لا يعنيه فضول يضّيع به وقته الذي هو رأس مال حياته، وهو يدل على نقص العقل وغلبة الهوى، وحينما يعجز الإنسان عن ملأ وقته بما يعنيه، أي بما ينفعه ويفيده في دنياه وآخرته، يحاول أن يملأ فراغه بما لا يعنيه ولا يفيده في دنياه ولا في آخرته.ولذلك قال

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/ ٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/ ٦٤٢).

(٣) انظر: روضة المحبين، ابن القيم (٢٦٦).

رسول الله ﷺ :(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[1].

ومن اشتغال الإنسان بما لا يعني أن يغتاب أخاه المؤمن بغية تهديم مكانته بين الناس، فيجني المغتاب بذلك على نفسه عند الله إثم ذكرِهِ أخاه بما يكره.

ومن اشتغال الإنسان بما لا يعنيه أن يكون نمّاماً، يمشي بين الناس بالنميمة، فيجني بذلك على نفسه عند الله، إذ يكسب إثم السعي بين الناس بالفساد.

لذلك يترفّع الزاهد عن هذه القبائح، فلا يشغل نفسه بها، بل يرى أن مما يعنيه أن لا يشتغل بما يضّره ويؤذيه عند الله. ومن أجل ذلك يترفع عن محاورة الجاهلين، والخوض معهم في أحاديث الجهل، ويترفع عن اللغو، ويترفع عن لهو الحديث، لأنه يعرض عمّا لا يعنيه، ولا يشغل نفسه إلا بما يفيده في دنياه في حدود ما أذن الله له به.

أما الزهد في المشتبهات وهي : مالم يتيقن كونه حراما أو حلالا، فالمشتبهات: من الأمور المشكلات[2] وذلك «لما فيه من شبية طرفين متخالفين، فيشبه مرة هذا ومرة هذا»[3] .

فإن الزاهد يترك المشتبهات التي قد توصل إلى الحرام فيزهد فيها حذرا من عقاب الله له في أنه ارتكب ما نهاه عنه حتى وإن كان النهي عن الشبهات نهيا تنزيهيا، فإنه يزهد فيها خوفا من عقاب الله. والمشتبهات يقع فيها كثير من الناس؛ ظنا منهم أن الشيء الذي لم يتبين حله من حرمته فإنه يجوز أخذه، وأن الأصل فيه الإباحة، وهذا غير صحيح، فقد بيَّن لنا النبي ﷺ ما نفعل في الأمور المشتبهة؛حيث قال عليه الصلاة والسلام: (فمن اتقى

(١) سنن ابن ماجة،كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦)، قال الألباني حديث صحيح.

(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، باب الهاء والشين والباء معهما (٣/ ٤٠٤)، دار ومكتبة الهلال.

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض البستي، حرف الشين «ش ب ه» المكتبة العتيقة.

الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)[1].

قال ابن رجب رحمه الله : «وفي هذا دليل على أن من ارتكب الشبهات فقد عرض نفسه للقدح فيه والطعن، كما قال بعض السلف: «من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء الظن»[2].

فالزاهد يستبرئ لدينه وعرضه، ويتورع عن المشتبه فيه، ويسأل عنه أهل العلم حتى يتبين له حله من حرمته.

وقد استجدت في هذه الأزمنة كثير من المعاملات التجارية والمساهمات المالية، وكذلك أنواع كثيرة من المأكولات والمشروبات، كثير منها تردنا من بلاد اليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم.

فالزاهد يتحر الكسب الطيب فلا يدخل إلا في معاملات أو مساهمات استبان له حلها،ويتحر الكسب الطيب فيما يأكل ويشرب، وفيما يطعمه أهله وذويه؛ يبتعد عما هو مشتبه فيه بين الحلال والحرام، ويبحث ويتحر ويسأل عنه قبل الدخول فيه، فإن تبين له أنه حلال أقدم عليه، وإن كان حراما أو مازال مشتبها عليه، استبرئ لدينه وعرضه، لأن الدخول في المشتبهات يؤدي إلى الوقوع في الحرام.

تطبيق الزهد في الكسب والعطاء:

لم يأت الإسلام لينكر طباع الناس وفطرهم التي فطرهم الله عليها، وإنما جاء ليجعل

(١) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب أخذ الحلال وترك الحرام، رقم (١٥٩٩).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٢٠٤).

هذه الفطرة متساوقة مع المنهج الإلهي، فكل إنسان حريص على كثرة أمواله، وهذا الحرص غريزة قائمة في النفس الإنسانية، لكن الإسلام حرص على إيضاح المفهوم الصحيح للغنى وبيانه، وأن المراد هو غنى النفس، لقول ﷺ: (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس)[1].

وجاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا ذر، أترى كثرة المال هو الغنى؟ قلت نعم: قال وترى قلة المال هو الفقر؟ قلت: نعم يا رسول الله.قال: (إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب)[2] وغنى القلب يعنى عدم تقبل المال من كل سبيل، بل مما أحله الله تعالى، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس، لأنه استغنى بما عنده وبما كتب الله له تعالى، ثم وجه النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الوسائل النفسية التي توصل الزاهد وغيره إلى غنى النفس، فقال له ﷺ: (إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضّل عليه)[3] وبهذا التوجيه الكريم الذي وضعه النبي ﷺ، يشعر الزاهد بنعم الله عليه،وتعرض نفسه عن التطلع إلى ما في أيدي الناس، فيرتاح نفسيا، فلا يجد الحسد إلى نفسه مقراً له، وبالتالي يكون الناس سعداء به طالما أنه لا يتطلع إلى ما في أيديهم.

لا يتوفر للزاهد غنى النفس إلا إذا استطاع الاستغناء عن حاجته إلى الآخرين، ويكون ذلك بإحدى وسيلتين أو بهما معاً:

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، رقم (٦٤٤٦).

(٢) السنن الكبرى، النسائي، كتاب الرقاق، رقم (١١٧٨٥)، قال الألباني صحيح على شرط مسلم.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، رقم (٤٦٩٠).

الأولى: التعفف والاستغناء والصبر:

وفي هذا يقول ﷺ: (من يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبّره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر)[1].

فالزاهد يتميز بتعففه، عن متع الحياة الدنيا، وهي قيمة فقدها كثير من الناس الذين يتطلعون إلى ما لدى الآخرين من متع الحياة الدنيا بمختلف أصنافها.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[2] وهذا أمر بالعفة، ونهي عن مجانبة سبيلها، وهي أصناف مختلفة من زهرة الحياة الدنيا، فيدخل فيها كل ما تمتدّ إليه مطامع الناس، من مال أو سلطان، أو حدائق وبساتين، أو قصور ومساكن طيبة، أو زوجات حسان، أو جاه عريض، أو أولاد وذرية» إلى غير ذلك من أصناف مختلفة.

فالزاهد رضي بما قسم الله له، ووجه نظره إلى ما عند الله من رزق هو خير وأبقى، فكان بذلك عفيف الطبع، ومن طبع العفيف الترفع عن رذيلة الحسد، لأنه لا يمدّ عينيه على ما لدى غيره من زهرة الحياة الدنيا، كما أن غير العفيف الذي يمدّ عينيه إلى متع الحياة الدنيا، في الغالب حسود، أو ذو عدوان.

ومن لا عفة عنده سقط في الخيانة، سواء أكانت خيانة مالٍ أو عرضٍ أو غير ذلك، والعفيف المتعفف مع حاجته من أهل الجنة، والخوّان من أهل النار روى مسلم عن عياض

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم (١٤٦٩).

(٢) سورة طه، الآية (٣١).

بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ : (أهل الجنة ثلاثة ..وعفيف متعفف ذو عيال،.. وأهل النار خمسة ..والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دقّ خانه،..)[1].

الثانية: الاستغناء عن الحاجة إلى الناس بالعمل: أياً كان هذا العمل طالما أنه فيما أحله الله تعالى، وفي هذا يقول ﷺ (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)[2] .

إن هذه المهنة البسيطة خير من المسألة.. وهو أمر لا يشك فيه عاقل، إن الحاجة إلى الناس أمر مذل وإذا كان الاحتطاب يغني عن ذلك فهو خير للإنسان. في الحديث (ولا فتحَ عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها)[3] في هذه السنة الربانية تحذير من هوان النفوس، وتعريض الإنسان نفسه لذّل سؤال الناس كي يمنحوه عطاءاتهم، ولهذا فالزاهد يحذر الإهانة والذل، والعقاب المترتب على المسألة من غير حاجة، ذلك أن الله يعاقبه بحرمانه من الشيء الذي أساء بغية الوصول إليه.

إنه اتخذ سؤال الناس ليصل إلى الغنى، لذلك كانت سنة الله تقضي بمعاقبته بأن يجعل الله الفقر بين عينيه، فكلما فتح باباً من أبواب المسألة فتح الله عليه باباً من أبواب الفقر، فتظل مشاعر الفقر وآلامه تلاحق نفسه، ولو كان بين يديه من المال ما يكفيه.وهذا هو ما نلاحظه في المتسولين الذين يتكفّفون الناس، إن أحدهم قد يجمع مالاً كثيراً، وهو مع ذلك

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم (٢٨٦٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة ، باب الاستغناء عن المسألة، رقم (١٤٧١).

(٣) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، رقم (٢٣٢٥)، وقال الألباني حديث صحيح.

مصاب بداء الفقر النفسي، ومعظمهم لا ينتفع بما يجمع من مال، ويظل يكنزه ويبخل به على نفسه، حتى يأتيه أجله وهو في ثياب الفقراء، وطعام الفقراء، ومأوى الفقراء، يعاني من داء طلب الغنى والخلاص من الفقر.

وحين يكون المسلم زاهداً، فإن الإسلام يوجهه نحو الاكتفاء الذاتي، الذي نعني به اعتماد الفرد على دخله الخاص، بحيث تكون مصروفاته في حدود دخله أو أقل من ذلك، الأمر الذي لا يحوجه إلى الاستدانة من الآخرين، وذلك بأن يضغط المرء مصروفاته إذا كان الدخل قليلا، وأن يعود نفسه الصبر عن كثير من حاجاته. نجد هذا الاتجاه من دعوة الرسول ﷺ إلى تقليل المصروفات بحيث لا يكون عند الإنسان شيء لا يحتاجه عملياً، فعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال له: (فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان)[1] وإذا قسنا على الفراش كل الحاجات الأخرى التي قد يحويها بيت الإنسان أمكننا أن نتفهم كيف أنه يمكن تقليل هذه المصروفات إلى حد كبير .

كما نستفيد التوجيه بتحقيق الاكتفاء الذاتي وهو البعد عن الاستدانة من الآخرين من حديث سلمة بن الأكوع حيث أتي النبي ﷺ بجنازة فقالوا صلِّ عليها، فقال :(هل ترك شيئاً قالوا لا، قال: «فهل عليه من دين؟» قالوا : ثلاثة دنانير، قال : صلوا على صاحبكم). قال أبو قتادة :(صلِّ عليه يا رسول الله، وعليَّ دينه، فصلى عليه)[2] وإذا علمنا كم هو حرص كل صحابي إذا مات أن يصلي عليه رسول الله ﷺ، تبين لنا أن هناك إرشادا نبوياً كريماً غير

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب كراهة ما زاد على الحاجة من الفراش واللباس، رقم (٢٠٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحوالات، باب إن أحال دين الميت على رجل جاز، رقم (٢٢٨٩).

مباشر بالابتعاد عن الدين، وهذا يحتاج إلى اتخاذ العدة لها من صبر أحياناً، وتنازل عن بعض الحاجيات أو الضروريات أحياناً أخرى.

ومن القيم التي يتحلى بها الزاهد مع الآخرين، قيمة العطاء بأنواعه المختلفة، ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة : (اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة، والسفلى السائلة [1].

فالزاهد يستفيد من توجيه الرسول ﷺ في تحقيق الخيرية بالعطاء حيث يسعى أن تكون يده هي العليا، بالإنفاق والصدقة مهما كان ذلك قليلا والكف عن المسألة، وأن يكون من المساهمين إيجابيا في المجتمع بالبذل في وجوه الخير وإن قل عطاؤه، فعندما تطلب منه الصدقة أو يجد مجالا للعطاء وليس عنده شيء فإن له مخرجا سلكه صحابة رسول الله ﷺ حين يقل المال عند أحدهم، يقول أبو مسعود الأنصاري: (كان رسول الله ﷺ إذا أمر بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصيب المد،.. وإن لبعضهم لمائة ألف. قال: ما نراه إلا نفسه)[2] والمحاملة تكون بين اثنين، يكون الحمل من أحدهما والأجرة من الآخر. وبهذا المسلك تحول الإنسان الذي لا يملك شيئاً إلى عضو فعال إيجابي في المجتمع. وهذا يفتح الباب أمام كل إنسان أن يكون معطاء، يمثل اليد العليا التي عناها الإسلام وحث عليها.

ومن كان همه التكاثر في جمع ما هو من زينة الحياة الدنيا ومفاخرها، فإن ذلك راجع إلى الأنانية ورغبة النفس بالاستعلاء على الآخرين، ولا شك أن الأنانية العمياء مع قصر

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة ، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم (١٤٢٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب من أجر نفسه ليحمل على ظهره ثم تصدق به، وأُجرة الحَمَّال، رقم (٢٢٧٣).

النظر وجحود الآخرة أو نسيانها، واتباع هوى النفس وشهواتها، علَّة العلل وأصل الداء.

ودواء ذلك يكمن في الإيمان بالله واليوم الآخر، وتصور المنازل الرفيعة التي يظفر بها في دار النعيم المستهينون بما في الحياة الدنيا من زينة، والمضحون بها ابتغاء مرضاة الله.

وهذا الدواء كفيل بأن يبصِّر الأنانية بطريق مجدها وغناها وفخرها الصحيح الخالد الذي لا يفنى، وكفيل بأن يهوِّن في نظرها الدنيا وما فيها، فيعلقها بما هو موصول بالآخرة ورضوان الله، إيماناً بأن الآخرة هي دار الخلود، وهي دار الحياة الحقة.

وبهذا الدواء الذي أخذه الزاهد،يتحوِل المسلم إلى طاقة إيمانية فاعلة تجري به إلى منازل الآخرة، وتجعله بإذن الله حينئذ متحليا بفضائل أخلاقية وسلوكية عظيمة.

الشجاعة المهتدية من صور تطبيق الزهد في الواقع:

شجاعة الزهَّاد شجاعة مهتدية صادقة يتجلى فيها الزهد واقعاً عملياً، فمن زهد في الحياة الدنيا ولم يغتر بها، أَقْدم بصدق لتحصيل خير أو دفع شر،حماية لدينه، ودفاعا عن أمته،وتقديما لمصلحتها على مصلحته، فالزاهد يتسم بالشجاعة المهتدية، يقدم بعد تفكير وتعقُّل مع ما قد يصيبه من مضرة يقيناً أو ظناً،خلاف المتهور الذي يقدم فيه صاحبه على الأمر من غير تعقّل وتفكير.

وقد اكتسب الزاهد هذا الخلق من إيمانه بالله وبمقاديره، والإيمان باليوم الآخر، ذلك لأن الإيمان بالقدر خيره وشره أورثه طمأنينة تامة تجاه أشد المخاوف وأعتاها، فعقيدة القضاء والقدر تمد الزاهد بمدد عظيم من الشجاعة تجاه أشد المخاوف، فيرضى بما يختاره الله له.

والإيمان باليوم الآخر وما أعده الله لمن تخلق بالشجاعة من كرامة وثواب عظيم، من

شأنه أن يعلق مطامع المؤمنين الزاهدين وآمالهم بما أعدّ الله لهم من أجر عظيم ونعيم مقيم في الدار الآخرة، وهذا يهون شأن الحياة الدنيا في قلوبهم ويخفف من حرصهم عليها، وبذلك تنموا شجاعتهم.

أما الحرص على الحياة فإنه يورث الجبن في القلوب، والخوف من الموت، ولكن المؤمن الزاهد يعلم أن الله تعالى هو وحده الذي بيده الموت والحياة، وأن لكل إنسان أجلاً لا ينقص منه ولا يزيد، لذلك فهو أكثر ضبطا لنفسه عند مواقف الخوف من الموت، ثقة بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

لقد وقف بعض الزهاد مواقف الشجاعة في صورها المتعددة، ومن أبرزها شجاعة الموقف التي تتطلب جرأة وإقداماً أكثر مما تتطلبه شجاعة الحرب، ففي المواقف الحرجة والأمور الصعبة والقضايا الشائكة، لا يصمد إلا قلة من الرجال، ممن وهبهم الله شجاعة نادرة وجرأة بالغة مع عقل نير، وثبات لا يتزحزح، وزهد بالغ في الحياة الدنيا، ومما يبّين فضل شجاعة الموقف وعظيم دورها في حياة الأمم والشعوب، موقف الرسول الكريم ﷺ، - ومواقفه كلها شجاعة تشعّ بطولة وإقداماً- الذي وقفه في بدء دعوته الخالدة، أمام قريش وقوتها وجبروتها، وذلك أن قريشاً عندما رأوه جاداً في دعوته، لا يثنيه عنها ما واجهوه به من صنوف الأذى وفنونه، أرادوا أن يقضوا عليها في مهدها، فسلطوا عمّه عليه ليكفه عنهم وهو نصيره الوحيد وحاميه وشاد أزره في نظرهم، فالموقف موقف بالغ الخطورة، شديد الوقع عليه ﷺ، والقوم مجمعون على صده عن دعوته، ومصممون على قتله إن استمر في دعوته، وقتل من كان ينصره، وبدا عمّه الذي كان يحميه ويسنده، وكأنه قد خذله، وضعف

عن حمايته ونصرته،بل إنه يدعوه إلى الاستسلام[1].

ولكن هذا لم يوهن من عزمه أو يثنه عن طريقه ومواصلة دعوته.

وتبرز شجاعة الزهاَّد كذلك في الجرأة بقول الرأي والانتصار للحق، فشجاعة الرأي لا تقل أهمية عن شجاعة الموقف، فالإدلاء بالرأي وقوله، يحتاج إلى شجاعة وجرأة شديدة للتصريح به، فقد يكون في الرأي غرابة يستنكرها بعضهم لقصر نظرهم، وقد يكون فيه مخالفة لهوى آخرين، وربما يكون فيه ضرر وتعطيل لمصالح بعض أرباب الدنيا، هؤلاء يقفون في وجه صاحب الرأي، ويحاولون في شتى السبل ثنيه عن ذلك الرأي.

ومن أبرز الذين اشتهروا بشجاعة الرأي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، في محنة خلق القرآن المشهورة، وكان المأمون أول من تبنى هذه المقولة بتأثير من بعض أعلام المعتزلة، فتمسك الإمام أحمد بالحق وتحمل في سبيله أقسى أنواع العذاب، لأنه يرى أنه إذا استجاب إلى تلك المقولة، فسيكون ذلك إيذاناً بتعرض القرآن والإسلام إلى محنة لا يعلمها إلا الله، يقول على بن المديني[2]: «أيد الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما : أبي بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل في يوم المحنة»[3].

ومن المواقف التي برزت فيها شجاعة الزهَّاد، مواقفهم في الأمر بالمعروف والنهي

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا،ص ٤١٧، شركة مصطفى البابي بمصر. ط٢/ ١٣٧٥هـ.

(٢) الشيخ الحجة أمير المؤمنين في الحديث، أبو الحسن علي بن عبدالله بن جعفر السعدي، مولاهم البصري، المعروف بابن المديني، مولده بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة، مات سنة أربع وثلاثين ومئتين .انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١-٦٠)، انظر تاريخ بغداد وذيوله الخطيب البغدادي، (١١/ ٤٥٦-٤٦٩) دار الكتب العلمية بيروت ط١/ ١٤١٧هـ.

(٣) انظر حلية الأولياء، أبي نعيم الأصبهاني (٩/ ١٦١)، وما بعدها.

عن المنكر، ومحاولة تغييره بالنصيحة وبالطرق العملية المثمرة، إسهاما في صيانة المجتمع وتقويته وإصلاحه، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكاره ومحاولة تغييره من مكارم الأخلاق الإيمانية، التي عرف بها الزهُّاد، لما فيها من خدمة اجتماعية، وصيانة للمجتمعات عن الانزلاق في مزالق الانحراف، روى الترمذي وقال حديث حسن عن حذيفة عن النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[1] لهذا نجد كثيرا من الناس عطَّل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخوفه من الناس وهذا محرم، يقول ابن القيم «فكلما قوي إيمان العبد، زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم»[2] لذلك من زهد في الدنيا وزينتها، زهد فيما في أيدي الناس أكسبه ذلك قوة في إيمانه، تدفعه إلى شرف الخيرية بالقيام بها يوم يقعد أغلب الناس عن القيام بها قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[3].

هذه نماذج مختارة، تبرز تطبيق الزهد في حياة الأفراد، وهي نماذج تعكس عمق أثر هذه القيمة في حياة الفرد، وسعة ميادين تطبيقها بما يشمل سائر مجالات النشاط الفردي، سواء في مجال العبادات، والأنشطة الاجتماعي والاقتصادية، والسياسية، وغيرها مما يضيق المقام عن ذكره وتفصيله.

---

(١) سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم ٢١٦٩ حسنه الألباني.

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم (١/ ١١٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

المطلب الثاني

تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية

عني الإسلام بحياة المسلمين الاجتماعية، فحرص على وحدتهم وتماسكهم، واهتم بتقويم أخلاقهم وسلوكهم، وتطهير نفوسهم من رذائل الأخلاق وسفاسفها.

واستطاع الإسلام في عصر النبوة بتربيته الاجتماعية أن يصل إلى مدى بعيد في ربط الفرد بالجماعة، فدعا إلى الحياة مع الناس ونهى عن العزلة، فقال ﷺ: «المسلم إذا خالط الناس وصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[1].

فمخالطة الناس فضيلة إنسانية وضرورة لتكامل الإنسان وتفادي كثير من أضرار العزلة.

وبناء على هذا رسم الإسلام الأخلاق للفرد والمجتمع وأقام التنسيق بين الأخلاق الفردية والأخلاق الاجتماعية، فنظام الأخلاق في الإسلام نظام طبيعي يتلاءم مع استعدادات الفرد الطبيعية وميوله الفطرية، وأنه نظام لا بديل له للحياة الإنسانية الكريمة.

وفي هذا المبحث سأتناول تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية، مكتفياً بذكر نماذج منها، لتكون دالة على تطبيقات اجتماعية أخرى للزهد.

أولاً: تطبيقات الزهد في العبادات:

مما لاريب فيه أن العبادة تدفع الإنسان إلى ابتغاء مرضاة ربه، وتحقيقها يدعم الحياة

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٤٢)، صححه الألباني.

الاجتماعية ويزكيها، ولقد تميز الزهّاد الأوائل بكثرة عبادتهم، فعرفوا في حياتهم الاجتماعية بالخوف الشديد من الله، والخشوع في صلاتهم، وتدبر كتاب ربهم، ولما كان الزهد يقوم على عبادات كلها تنبع من القلب، فإنه كذلك يقوم على أركان الدين وخصال الإيمان، التي من ثمرتها الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، وتعميق الروح الجماعية في قلب كل فرد، وتأكيد الروابط الاجتماعية في النفوس.

وإذا نظرنا إلى حياة الرسول ﷺ وصحابته والتابعين رضوان الله عليهم، نجد أنها مَثل أعلى في تطبيق الزهد في وسطهم الاجتماعية، فقد تميزوا بصدق الإيمان والتحلي بخصاله، وحرصوا على إقامة الطاعات والعبادات الجماعية.

وقد اخترت في هذا المبحث مثالين لعبادات اجتماعية يظهر من خلالها تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية فكانت على النحو الآتي:

المثال الأول: تطبيق الزهد بالتحلي بخصال الإيمان:

حرص الإسلام على تعميق الزهد وتطبيقه في الحياة الاجتماعية، وذلك بالتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، وتدعيماً لهذا الاتجاه حث على التحلي بخصال الإيمان وشعبه المتنوعة، ولكثرتها وتعددها سأكتفي بذكر جملة من خصال الإيمان، التي متى تمثلها المجتمع في سلوكه وتعامله،عمّ الزهد في الحياة الاجتماعية.

فمن الخصال الإيمانية التي تثمر الزهد في الحياة الاجتماعية الإحسان:

فالإحسان لب الإيمان وروحه و منزلته التي تجمع جميع الفضائل.

وهو: صنع المعروف إلى الناس بإعطائهم حقوقهم كاملة، والتنازل لهم عن حقه، كله أو بعضه، سواء كان ذلك بالمال أم بغيره، ابتغاء وجه الله تعالى،رحمةً بهم ولطفاً معهم.

وكل خصلة محمودة يتجلى فيها حب الخير وصلاح القصد، ويبلغ بها الإنسان حقيقة الإخلاص تسمى إحساناً.

و إذا انتشر الإحسان، وكثر القائمون به، ازداد به تماسك المجتمع، وزالت الأحقاد أما إذا قلّ المحسنون واحتاج المجتمع إلى صانعي معروف فلم يجدهم فإن عقارب الضغينة،وحيات الأحقاد تخرج من مكامنها في نفوس الناس، وتشعل نار الكراهية وتورثها الأنانية البغيضة، التي تحول البشر إلى وحوش كاسرة وحيوانات مفترسة.

فالمحسنون يهيئون للمجتمع الحياة الفضلى والسعادة الدائمة، بينما ينهكه الآخرون برغباتهم وأنانيتهم، ولهذا بشر النبي ﷺ الذين يحبهم الناس، ويألفونهم، أنهم أحب الناس إليه وأقربهم منه مجلسا يوم القيامة وهم: (أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون)[1].

والإحسان الذي يثمر الزهد في الحياة الاجتماعية يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

١- الإحسان باللسان: فمن عُرف بالشفاعة الحسنة قصَده الناس لذلك، وهو مأجور على فعله إن قصد به وجه الله، سواء تحقق مسعاه أم لم يتحقق.

٢- الإحسان بالفعل: و يكون بالعفو عن المسيء، والصفح الجميل عن المذنب، وكظم الغيظ والدلالة على الخير،وبذل الجاه وغير ذلك من أبواب الإحسان.

٣- الإحسان بالمال: ويكون بدفع الديات، وتحمل الصلح بين الناس، والسعي على الأيتام والأرامل والمستضعفين،والهبات، والوقف، والهدايا والصدقات، ابتغاء

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، باب حسن الخلق، رقم (٧٦١٦)، صححه الألباني.

وجه الله تعالى ومرضاته.وهذه التصرفات تستهدف تحقيق الإحسان إلى الناس وصنع المعروف بهم، دون انتظار أجر أو مكافأة أو عوض، إلا من الله عز وجل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾[1] وقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ تحض على التعاون والتآزر، والسعي في تخفيف آلآم المكلومين، وتفريج كرب المهمومين،وذلك لما فيه من عظيم النفع والفائدة لأفراد المجتمع، قال عليه الصلاة والسلام: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)[2].

المحسنون الزاهدون يسعون في قضاء حوائج المحتاجين في مجتمعهم، وإزالة الأحزان عنهم، وإدخال السرور على نفوسهم، فهؤلاء بعملهم يكسبون محبة الله ورضاه، فخير ما يدخر المرء لدنياه وآخرته، هو المعروف الذي يبذله الإنسان لأخيه الإنسان قال الأحنف بن قيس: «وما ادَّخرت الآباء للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء شيئا أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب»[3].

إن الإسلام رقق القلوب، وجعل ثواباً كبيراً وأجراً عظيماً لمن يساعد أخاه، ولو بشق تمرة أو بإزاحة الأذى عن الطريق، أو بإرشاد ضال إلى مبتغاه، أو بالابتسام في وجه مسلم، أو بمبادرته بالتحية، فأي عمل أو سلوك يدخل السرور على قلب شخص أو جماعة،فهو من

(١) سورة البقرة، الآية (٢٣٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم ولا يخذله، رقم (٢٤٤٢).

(٣) العقد الفريد، ابن عبدربه، (١/ ١٩٤) دار الكتب العلمية بيروت، ط١/ ١٤٠٤هـ .

الإحسان المفضي إلى الزهد والذي يترتب عليه أجر عظيم.

ومن الخصال الإيمانية التي تثمر الزهد في الحياة الاجتماعية الأمانة:

فالأمانة من الأخلاق الاجتماعية التي تدل على سمو المجتمع وزهده وتماسك بنيانه، وهي من ألزم الأخلاق للفرد والجماعة على السواء ؛ فإن شطراً كبيراً من العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية، تعتمد على الثقة في الأمناء بما يوضع في أيديهم من مال أو سلطان، وبما يوكل إليهم من أمور عامة أو خاصة.

وقد حثت كل الشرائع على خلق الأمانة في أداء العمل، وجعلت لها المكانة العليا، ففي الحديث:(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)[1].

يقول القرطبي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2] والأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه، قولاً وفعلاً وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به[3] تشمل أمانة الجسد والذرية، وأمانة العلم، وأداء العمل وغير ذلك.

وأداء العمل بأمانة من أسباب ازدهار المجتمعات وتقدمها، حيث يحرص الطالب والطبيب والمعلم والمهندس ورجل الأمن والمزارع والصانع وغيرهم من أفراد المجتمع على مراعاة خلق الأمانة في أعمالهم، و ما أصاب كثيراً من المجتمعات من مظاهر التأخر والتخلف، وتفشي الخيانة والغدر والغش، و التعدي على المال العام والاستيلاء عليه، فإنه

(١) رواه البيهقي، شعب الإيمان، باب الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، رقم ٤٩٢٩، صححه الألباني.

(٢) سورة المؤمنون، الآية (٨).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج٥/ ٢٥٦).

يعود إلى التخلي عن هذا الخلق العظيم، ورد في الحديث: (من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول)[1].

فالخيانة من أخطر الأمراض وأكثرها تأثيراً في المجتمع،وذلك ؛ لأن الخائن همته في جمع المال ولو من طريق محرم، ليستمتع به على وجه غير مشروع، وهذا ينافي الزهد الذي يقوم على الثقة برزق الله والرضا بما قسمه.

ومن الانحراف عن الأمانة، انتشار الرشوة في المجتمعات وامتداد يد مَنْ إليهم الأمر إلى تناول ما ليس من حقهم، فلا ترى صاحب حق ينال حقه إلا إذا قدّم رشوة لمن عنده وسيلة الحصول عليه، فالرشوة فخ المروءة ومصيدة الأمانة والشرف، لا يقدِّمها إلا مبطل خائن وضيع، ولا يقبلها إلا دنيء النفس سافل المروءة.

ومن الانحراف عن الأمانة إفشاء الأسرار وعدم حفظها، حيث يتحمل الإنسان في هذه الحياة أنواعاً من الأسرار، منها ما يكون لصديقه، ومنها ما يكون في عمله، ومنها ما يكون في المجالس التي يشارك فيها، قال ﷺ: (إذا حدّث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة)[2].

فالأمانة يجب حفظها وعدم إفشائها، والمجالس تصان مادام الذي يجري فيها مضبوطاً بقوانين الأدب وشرائع الدين والأخلاق، وإلا فليست لها حرمة.

يتبين مما سبق أن الأمانة باعث على الزهد الحقيقي، وأنها منزلة من منازل العبودية، فالأمين ينشد الكمال في عمله، ويسعى لأداء ما أنيط به على الوجه الذي يرضي الله، لينال

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء،باب في أرزاق العمال،رقم٢٩٤٣، صححه الألباني.

(٢) سنن الترمذي، كتاب، باب ماجاء في أن المجالس بالأمانة، رقم ١٩٥٩، حسنه الألباني.

الجزاء الأوفى في دنياه وآخرته، وهذه هي الغاية التي يسعى إليها الزاهد في زهـده، والأمـين في أمانته.

ومن الخصال الإيمانية التي تثمر الزهد في الحياة الاجتماعية العدل

إقامة العدل بين الناس مطلب أساسي، حيث نصت الشرائع الدينية والأنظمة البشرية على ضرورة قيام المجتمع البشري بالعدل، واتخاذه سبيلاً لتحقيق الحياة المطمئنة على الأرض، وجاء الإسلام خاتماً للشرائع ومبيناً أثـر العـدل في حيـاة النـاس، ومؤكـدا عليـه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[1] فالعدل مما يكمل أخلاق المسلم لما فيه من اعتدال واستقامة وحب للحق.

ومن العدل المساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات أي إعطاء الفرص للجميع بقدر الإمكان، مثل التمتع بالحقوق المشروعة مـن وظيفـة واكتـساب وتجـارة ومعاملات وغيرها، ودون تمييز لفئة عن فئة أو بعض الناس عن الـبعض الآخـر، وإن المجتمع الذي لا يتيح لأبنائه الفـرص المتـساوية في الكـسب والعمـل ومرافـق الحيـاة العامة، يعدّ مجتمعاً خارجاً عن العدل بعاداته وقوانينه وأنظمته، وهو بالتـالي مجتمـع لا يستقيم له شأن في الحياة، وقد يدفع ميله عن العدل بين أبنائه إلى عدوان بعـضهم عـلى بعض.

(١) سورة الحديد، الآية (٢٥).

وقد حرص الإسلام على ضبط سلوك الناس بتحقيق المساواة بينهم، وجاء المال في قمة الأولويات التي اهتم بها.

فكان مما شرعه الله لتحقيق توزيعٍ عادل للمال، الزكاة فحدد مقاديرها وأنصبتها، فهي مال يأخذه ولي الأمر من الأغنياء ويدفعه للفقراء، ليمنع الضرر ويرفع الحرج ويصون الجماعة

وجعل النبي ﷺ على كل مسلم صدقة ؛ فيستوي الناس في البذل، كل بقدر ما يملك وبقدر ما يستطيع، جاء في الحديث: (على كل مسلم صدقة، قالوا فإن لم يجد قال:فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يستطع أن يفعل قال:فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يفعل قال: يمسك عن الشر، فإنه له صدقة)[1].

فالزاهدون في الحياة يقدمون أصدق صور العدل والمساواة، حيث يقومون بإغاثة الملهوف، وبذل الطعام للمحتاجين، ومعاونة الضعفاء، والشعور بآلام الآخرين، فهذه الأعمال الراشدة من سبل تحقيق العدل الاجتماعي الذي يهدف إليه الإسلام.

ولتحقيق العدالة التامة، على كل إنسان أن يبدأ بالأقربين، ثم يندرج في أعطياته لمن يلونهم من الجيران، ثم الأبعد فالأبعد حتى يصل إلى ابن السبيل المنقطع، فكل زاهد إذا عاد على أقاربه حقق لهم الاكتفاء، ولم يبق محتاج إلا سدت خلته، وبهذا

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة رقم (١٤٤٥).

ويتحقق العدل الاجتماعي المنشود.

ومن الخصال التي تثمر الزهد في الحياة الاجتماعية الصدق والتثبت من الأخبار:

الصدق ضرورة من ضروريات الاجتماع، ومن أكبر أبواب السعادة للأفراد والمجتمعات، و من أعظم الأسباب لرقي الأمم ؛ صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، ولقد كانت أمتنا في عصور الخير والمجد، من أشهر الأمم بالصدق، حاكمها أصدق حكام الدنيا، وعالمها أصدق علماء الأرض، وتاجرها أصدق تجار الأمم، وقائدها أصدق قادة الجيوش، وكلمة العهد والأمان تصدر من قائد من قوادنا، أقوى وأبلغ أثراً وأكثر خيراً من المعاهدات السياسية والعسكرية التي توقع في عصرنا الحاضر بين الدول، فالمجتمع المسلم لا يستقيم أمره إلا إذا بنيت أسسه على الصدق، قال تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[1].

فالصدق طريق إلى الجنة، وفارق بين الإيمان والنفاق، ويحدّ من الشائعات ويضيّق الأبواب عليها فلا تنقل وتنشر في المجتمع ولا يخوض أحد فيها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[2] فمن أجل سلامة المجتمع، يجب أن يكفّ أفراده عن تناقل الإشاعات الكاذبة من أنفسهم ومن الأعداء، لأنها تستهدف تحطيم وحدتهم و التشكيك في قيادتهم وإلا صار المجتمع غير

(١) سورة التوبة، الآية (١١٩).

(٢) سورة النور، الآية (١٥).

مترابط وغير منتج ويعيش في قلق وخوف.

ومن الخصال الإيمانية التي تثمر الزهد في الحياة الاجتماعية الإيثار:

الإيثار قيمة خلقية سامية، تؤدي إلى الاتحاد والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد؛ لأنها تبعث على التناصر والألفة، وتمنع من التخاذل والفرقة، فتثمر إخلاصا ومصافاة ووفاء.

الإيثار هو: أن يقدم غيره على نفسه في النفع له، والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة[1].

وهو الغاية في الكرم والبذل والتضحية في سبيل إسعاد الآخرين.

وقد وصف الله سبحانه وتعالى به عباده المؤمنين، وجعله وسيلة لفلاحهم وعلو منزلتهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[2].

ومن صور الإيثار، تلك الصورة الاجتماعية التي آثر فيها الأنصار إخوتهم المهاجرين في الإقطاعات التي قام بها عليه الصلاة والسلام، فقد قال أنس ﷺ: (أراد النبي ﷺ أن يُقطِع من البحرين، فقالت الأنصار حتى تُقطِع لإخواننا مثل الذي تَقطع لنا)[3] إن مثل هذه الصورة من الإيثار هو الذي يقوي الرابطة الأخوية ويعزز العلاقات الاجتماعية لأنه يخرج المرء من إطار المصلحة الذاتية إلى تحقيق الخير العام بالمجتمع بأكمله، وبهذا يكون الإيثار

(١) التعريفات، للجرجاني، باب الألف (ص ٤٠).

(٢) سورة الحشر، الآية (٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب القطائع ، رقم (٢٣٧٦).

من الفضائل الأخلاقية التي تحصّن المجتمعات، وتكسبها مناعة قويّة ضد كل ما يمكن أن ينال أو يمزق وحدتها، فالأثر الإيجابي الفعّال لقيمة الإيثار هو الذي أعطاها أهمية كبرى في إنعاش الحياة الاجتماعية، وحوّل علاقات الأفراد إلى اتجاهاتها الإيجابية، فتُحرر شخصياتهم من وطأة الأنانية، وتدفعها إلى الاندماج في الحياة الاجتماعية العامة، فالزاهدون الذين لا يرجون رضاً ولا عوضاً من غير الله، يرون أن غيرهم أشد حاجة منهم فيؤثرونهم على أنفسهم.

فبخصال الإيمان وتحقيقها يتحقق الزهد في الحياة معنى، وينغرس في قلوب المؤمنين فعلاً، ويستمرون في العمل به، فالزاهد يتعلق بما ينفعه في الآخرة، ويزهد فيما يضر آخرته، إذ حقيقة الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة،وبهذا تكون خصال الإيمان أحد الركائز التي يقوم عليها الزهد في المجتمع.

المثال الثاني: تطبيقات الزهد في العبادات الجماعية:

صلاة الجماعة في الإسلام من العبادات التي تؤدّي وظائف مهمة وعظيمة من وظائف الروابط الاجتماعية،وعبادة الحج الذي هو موسم جامع كبير، يفد إليه المسلمون من شتى بقاع الأرض، من العبادات ذات السمة الجماعية.

إن هذه العبادات الجماعية المختلفة، قد شرعت في الإسلام على هذه الشاكلة، لتعميق روح الجماعة في قلب كلّ مسلم، ولتكون مناسبات متكررة تشتد بها الروابط الاجتماعية بين المسلمين.

ففي كل هذه التجمعات على ألوان من ألوان العبادات في الإسلام، تظهر أهميّة النظرة الجماعية في أسس التعاليم والشرائع الإسلامية الربّانية.

ولأهمية العبادات في الحياة الاجتماعية، سأتكلم عن بعض العبادات الواجبة وبيان شيء من معانيها ومقاصدها، مبيناً دورها في تطبيق قيمة الزهد في الحياة الاجتماعية.

الصلاة: من أظهر العبادات التي تتجلى فيها الروح الاجتماعية، حيث يجتمع المسلمون لأدائها بصورة جماعية في أوقات، منها ما هو في اليوم والليلة وهي الصلوات الخمس المكتوبة، ومنها ما هو في الأسبوع في صلاة الجمعة، ومنها ما هو في العام كصلاة العيدين.

إن الصلاة بما شرع لها من التجمع والانتظام وما أقيم لها من بيوت الله، أصبحت أكثر من مجرد صلاة تؤدى، إنها نظام حياة، ومنهج تربية متكامل، فلابد أن تتضمن مساحة أوسع في تحقيق المقاصد والقيم الجماعية في الإسلام،التي تتمحور في اجتماع المسلمين، وإظهار قوتهم، وجلب المصالح لمجموع العباد، ودرء المفاسد عنهم.

ويتجلى تطبيق الزهد من خلال اجتماع المصلين وممارستهم وتجسيدهم للمعاني والقيم الاجتماعية، التي تؤكدها هذه العبادة في الحياة الاجتماعية، من خلال ما يلي:

١- حسن امتثال جماعة المسلمين في صلاة الجماعة لأمر الله وسنة رسوله ﷺ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1] فالله تعالى أمرهم بالصلاة على أحسن وجه، وصلاة الجماعة داخلة ضمن هذا الأمر على أحسن وجه.

٢- تفعيل مشاعر الإخاء والمودة، فالصلاة تغرس في نفوس المصلين أواصر المودة والإخاء فيشعرون بأنهم كالجسد الواحد، ولا يمكن أن تتكون مثل هذه القيم في نفوس المتفرقين الذين إذا لم تجمعهم الصلاة عادة، لن يجمعهم شيء آخر،

(١) سورة البقرة، الآية (٤٣).

لأنها تجمع بين الغني والفقير.

٣- تأصيل قيم التعارف والتآلف والاهتمام بالآخرة، ففي صلاة الجماعة ينشأ بين المصلين التعارف والتآلف، وذلك من خلال اجتماعهم يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1] وهذا التعارف بين المصلين يحقق التآلف والتعاون بينهم، والتضامن في السراء والضراء.

٤- تحقيق قيم الحرية في الحق، ويتجلى هذا في حرية القول الصحيح والنقد البنّاء فإذا أخطأ الإمام في قول أو فعل من أقوال الصلاة وأفعالها، كان على من وراءه من المصلين أن يصلحوا له الخطأ، وأن يردوه إلى الصواب، يستوي في ذلك الشيخ والغلام والرجل والمرأة، حتى يعود الحق والسداد.

والزكاة معجزة الإسلام في تشريعه الاجتماعي العظيم، وهي سر بقاء المجتمع مئات السنين، و مظهر من مظاهر الروح الاجتماعية التي تنصهر فيها روح الانعزالية والفردية، شرعت لتنظيم المجتمع وتخفيف ويلات الفقر عنه»[2].

ففرضية الزكاة والصدقات المستحبة وتحريم ما ينافي ذلك من الربا وأسبابه الجالبة للقطيعة والظلم والفساد ؛من جملة محاسن الشريعة الإسلامية ومصالحها الاجتماعية،

فهي تعاون وتكليف اجتماعي خالص يجعل للفقير حقاً معلوما في أموال الغني

(١) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٢) أنظر أخلاقنا الاجتماعية مصطفى السباعي ٦٨، المكتب الإسلامي، ط٥/ ١٤٠٧هـ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

وتتجلى تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية من خلال أدائهم وتحقيقهم للمعاني والمقاصد الاجتماعية الرفيعة التي تؤكدها هذه العبادة، وهي ما يلي:

١- الاهتمام بمساعدة الآخرين، ونزع خصلة الشح من نفوسهم، فالزكاة تمكّن المزكي من الإسهام في أداء واجبه الاجتماعي، والمحافظة على كل ما فيه صلاح للأمة والمجتمع.

٢- تعتبر الزكاة الضمان الاجتماعي الوحيد الدائم للمحتاجين، وهي بمثابة صمام أمان لبعض العجزة الذين لا معيل لهم، ومساعدة العاجز ومعونة المحتاج أهدافاً اجتماعية لما تؤدي إليه من تماسك المجتمع وتكافله.

٣- تعتبر الزكاة سبباً قوياً في التآلف والتضامن ضمن أصناف الزكاة الثمانية: فالشرائح التي أمر الله سبحانه وتعالى أن يعطى لها من الزكاة كثيرة ومتنوعة، وهي التي تكون بمجموعها قطاعاً كبيراً من المجتمع، تتم تسوية أمورهم بهذا التضامن المالي، الذي سرعان ما يتحول إلى تضامن نفسي ومعنوي.

والصيام عبادة روحية اجتماعية،ومدرسة يتربى فيها المسلمون على مجاهدة الهوى، بالامتناع عن الشهوات والتزام الطاعات، و فيه ترقية لمبدأ الالتزام الجماعي، حيث يكثر فيه التصدق والجود، وبذل المعروف وحب الآخرين، مما يزيد في ترابط أبناء المجتمع وتقوية أواصرهم.

(١) سورة الذاريات، الآية (١٩).

وتتجلى تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية من خلال أدائهم وتحقيقهم للمعاني والمقاصد الاجتماعية الرفيعة التي تؤكدها هذه العبادة، من خلال ما يلي:

١- الصيام يغرس في النفوس البر والتضامن، البر بصلة الرحم ؛ بالاجتماع على مائدة الإفطار من خلال التزاور وتناول طعام الإفطار سوياً، والتضامن ؛ بتفعيل الصدقة والتصدق على الفقراء والمعوزين، من خلال الشعور بالآخرين انسجاماً مع روحانيات التعبد في رمضان لتخفف وطأة الماديَات.

٢- الصيام من أسس تحقيق الأمن في المجتمع، حيث يجعل المسلم مهذب النفس كريم الطبع شريف السلوك، وهذا يحد من ارتكاب الجرائم، وإشاعة الفتن، وفضّ النزاعات التي قد تحدث بين أفراد المجتمع.

٣- وفي الصيام تطهير النفوس من الضغينة والحسد، و القسوة والبخل واللغو والكذب والخصام، وإعداد المسلم ليتحلى بكل ما يحببه إلى الناس من تعاون ورحمة وبر ووفاء وشعور بآلامهم ومشاركتهم في الفرح والحزن، والرخاء والشدة.

والحج من أكثر العبادات الإسلامية اشتمالاً على الأمور التعبدية، ففيه آثاراً طيبة ومنافع جمة في الحياة الفردية والاجتماعية، وله أثر في حياة المسلمين أفراداً وشعوباً **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[1].

وتتجلى تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية، من خلال ممارستهم وأدائهم وتحقيقهم للمعاني والمقاصد الاجتماعية،التي تؤكدها هذه العبادة من خلال ما يلي:

(١) سورة الحج، الآية (٢٧).

١- تفعيل مبدأ المساواة بين المسلمين، وذلك منذ اللحظة الأولى في مباشرة أدائه، فالإحرام أول شعيرة من شعائره تذيب الفوارق بين الطبقات، وتحقق المساواة بين الناس، حيث يتجرد الحاج من لبس المخيط وكل ما يرتديه من أوسمة وبهرجة، معلناً بذلك ترك زينة الحياة ومغرياتها، مترفعاً عن الأحقاد والضغائن، فيتطهر من كل أسباب الانحراف.

٢- والحج تفعيل لمعاني الصبر والتسامح في نفس الحاج تجاه أخيه المسلم، وهذا يؤدي إلى الصفاء والمودة، فهو إضافة إلى توكيد الروابط بين المؤمنين، توكيد لمثابرتهم وصبرهم عند المحن، وتعويدهم على المعاونة والمؤازرة في وقت الشدائد.

٣- تفعيل القيم الأخلاقية بين الحجاج، حيث أمر الشارع الحجاج بالامتثال للأوامر والنواهي الإلهية في الحج، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[1].

٤- تنمية شعور الانتماء لهذه الأمة العظيمة، حيث تتيقظ في نفس الحاج مشاعر الأخوة لأبناء دينه في كل مكان، والغيرة على حرماتها ومقدساتها، فإن الأخوة ومالها من أثر عميق في النفس، والأرض المقدسة ومالها من ذكريات، وقوة الاجتماع وماله من إيحاء فكرى وسلوكي، كل ذلك يترك أثراً واضحاً في أعماق النفس.

(١) سورة البقرة، الآية (١٩٧).

وبهذا يتبين أن العبادة بأنواعها شرف كبير، ومنزلة عظيمة، وأنها من أعلى المنازل في تحقيق الزهد الفردي والاجتماعي الذي يقوم على الزهد في الفانية والإقبال على الباقية تلك الدار العامرة، وذلك الإقبال يكون وفق منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، الذين عمّ الزهد في حياتهم الاجتماعية على طريقة النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثانيا: تطبيقات الزهد في ضروريات الحياة الاجتماعية:

يرتبط الزهد بأنماط الحياة الاجتماعية العامة وسلوكياتها وعاداتها، وقد اخترت ثلاثة أنواع من ضروريات الحياة، وهي الطعام واللباس والمسكن، لأنها تمس كثيراً من سلوكيات وعادات المجتمع.

الزهد في الطعام:

دعانا الشارع الحكيم إلى الأكل جماعة وندب إلى ذلك،إذ أنه بالاجتماع على الطعام يبارك الله فيه ويزيده، وهو ما كان يفعله ﷺ ويحث عليه، فقد اشتكى إليه ﷺ جماعة بأنهم إذا أكلوا لا يشبعون، فقال لهم: لعلكم تفترقون قالوا: نعم، قال: فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه)[1]. ففي هذا الحديث الحث على الاجتماع على الطعام وفضله، وإن كان قليلاً ففيه البركة، وأن الكفاية تنشأ من بركة الاجتماع، فكلما كثر الجمع ازدادت البركة.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يرون أن الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن ولا يفترقون إلا على ذواق، و كان ابن عمر

(١) سنن أبي داود،كتاب الأطعمة، باب في الاجتماع على الطعام، رقم ٣٧٦٤، حسنه الألباني.

رضي عنهما يقول: «من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه»[1].

ومن فقهه صلى الله رسول الله ﷺ للزهد أنه يخص بدعوته الفقراء والمساكين، ويرغب في ضيافتهم، قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[2]. ولهذا ينبغي لمن اتصف بالزهد أن يعمد بدعوته الأتقياء دون الفساق، ولا يقتصر على الأغنياء خاصة بل يضم إليهم الفقراء.

وتتحقق قيمة الزهد في الحياة الاجتماعية بالمساواة بين الأغنياء والفقراء في الدعوة إلى الطعام، قال ﷺ: (شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء)[3]. فالوليمة تكون شر الطعام إذا كانت بهذه الصفة.

ومن نظر إلى آداب الطعام عند المصطفى ﷺ وهو القمة في الزهد، والقدوة للمسلمين وجد أنه لا يتعلق بأنواع المطاعم والمشارب، بل كان ينقطع عن التلذذ بالطعام أياماً، فيكتفي منه بأقل القليل ﷺ، وعمر الفاروق ﷺ يطبق قاعدة الزهد والبعد عن الترف في بيته «فقد دخل على ابنه عبدالله ﷺ فرأى عنده لحماً فقال: ما هذا اللحم ؟!قال: اشتهيته، قال: وكلما اشتهيت شيئاً أكلته؟! كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهاه!»[4].

ويحذر ﷺ من تجاوز الحد في الطعام والشراب فيقول ﷺ: «إياكم والبطنة في الطعام

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي ج (٣/ ٩).

(٢) صحيح البخاري،كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، رقم ٦٠١٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، ٥١٧٧.

(٤) حياة الصحابة، للكاندهلوي، باب إنكار عمر على ابنه حين رأى عنده اللحم (٢/ ٥٨٨)، ط١مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

والشراب، فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف، وإن الله ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»[1]. فهذه وصية حكيمة جاءت على لسان حكيم.

ونتيجة لتعلق الناس بمباهج الحياة الدنيا، توسعوا في المآكل والمشارب، وتفننوا في إعداد الطعام وتزيينه، والإكثار في الحديث عنه والتفاخر به، والبحث عن أطايبه، والتنادي إلى كل ذلك، والله تعالى لم يحرم ذلك، لكن كره التوسع فيه والتعلق به، وأراد من المسلمين الارتفاع عنه، والتعلق بما أعده للمؤمنين من النعيم المقيم، والتمتع الدائم ؛ لذلك **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[2].

إن الإسراف في الطعام مجلبة لكل همّ، ويؤدي إلى الكسل والوهن، ويثقل الجسد ويمرضه، ويضعف العزيمة، ويظهر السمنة التي أصبحت في نمو متزايد في مجتمعات المسلمين،حيث تكلف المجتمع الأموال الطائلة لعلاجها والتوعية بأضرارها، ومرد ذلك جهل الأفراد بحاجات أجسادهم، ومصلحتها.

إن الإسراف في الطعام هدر لثروة المجتمع الاقتصادية بما ينفق من أموال في الحفلات والمناسبات، التي يغلب عليها الإسراف المهلك.

ومن دلائل الزهد في الحياة الاجتماعية عند المسلمين الأوائل، الاعتدال في الطعام والشراب، حيث كان قلة الشبع، وعدم الاحتفاء الزائد بالطعام والشراب سمة للمسلمين،

(١) كنز العمال، الهندي، باب محظور الأكل، رقم (٤١٧١٣) ط٥/ ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة .

(٢) سورة الأعراف، الآية (٣١).

فكانوا عظاماً ملكوا أنفسهم، وتغلبوا على شهوة تناول الطيب من الطعام والحسن من الشراب، والإكثار منهما، فلما ملكوا أنفسهم هذا المِلْك استطاعوا أن يرتقوا ارتقاء عجيباً، واعتلوا مراتب الإيمان العالية، وضربوا فيها أعظم الأمثلة.

الزهد في اللباس:

وضعت الشريعة الإسلامية لكل من الرجال و النساء ضوابط في لبس كل منهما بما يجوز وما لا يجوز، وراعت حالة كل جماعة في اللباس، ونهت عن المبالغة والتهاون فيه، فعن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة مزورة بالديباج، ثم قالت: هذه جبة رسول الله ﷺ كان يلبسها إذا لقي العدو»[1]، وكان يلبسها للوفد والجمعة، وهذا فيه دليل الاهتمام بالملبس للتجمل به أمام الوفود أو في صلاة الجمعة،وذلك لمخالطة جمع المصلين، ومن زهده ﷺ لبس الخشن من الثياب، وهو أكثر لباسه ﷺ كما دلت على ذلك الأحاديث الشريفة والسيرة المطهرة، وقد تبعه على هذا جماعات كثيرة من الصحابة والسلف رضي الله عنهم أجمعين ؛ فقد كان من زهدهم وعادتهم أنهم يلبسون ما اتفق لهم لبسه، ولا يبالغون في ثمن الثياب، ولا يتطلبون الفاخر منها، بل كل من عرف حياة السلف وقرأ سيرتهم يعلم زهدهم في رفيع الثياب.

وتأكيداً لذلك حرص النبي ﷺ أن يكون لجماعة المسلمين مظهراً خاصاً في لباسهم وهيئتهم ونظامهم الذي يجعلهم معروفين به ويميزهم عن زي غيرهم، بعيداً عن المبالغة والخروج عن المألوف.

(١) مسند الإمام أحمد ، رقم ٢٦٩٤٤،،٢٧٤٨٣، خرج أحاديثه حسان عبدالمنان ،وقال سنده جيد.

قال ﷺ: (إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش)[1].

قد أخذ الصحابة رضوان الله عليهم بتوجيهاته فكان الغالب على ألبستهم التوسط والاعتدال ولون البياض، وهو ما كان يرشدهم النبي ﷺ إليه، بأن يكونوا بزي متقارب ولون متقارب، مما يدل على أن الإسلام نظم حياة المسلمين في عمومها، ونظم لباسهم على وجه الخصوص، وذلك توحيداً لمظهر المسلمين في كل زمان ومكان.

ويكفي تخويفاً من حب التوسع في الملبس والترف في تعاطيه ما قاله النبي ﷺ داعياً على فاعله: (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط،تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)[2].

ونتيجة للضعف الإيماني توسع الناس في المباحات، وتوسعت المرأة في لباسها وجعلت جلّ اهتمامها في التأنق وكمال الزينة، فتجاوزت الحد في الزينة والتجمل، وخصّت لكل مناسبة حلة جديدة وزينة جديدة، وغالت في ذلك بما لا يحسن ويستساغ شرعاً وعقلاً.

فالرفاهية المادية جعلت المرأة أكثر اهتماماً بأنماط سلوكية مظهرية، تتمثل في الحرص على اقتناء الحلي والجواهر الثمينة، والثياب الفاخرة، والكماليات والعطور باهظة التكاليف، ولو فكر هؤلاء في إخوان لهم في الدين، في الوطن وخارجه، يشتهون عشر معشار ما ينفقون أو أقل منه، ليشتروا به طعاماً يملأ بطونهم، وثياباً تستر أجسادهم،فكان في إنفاقهم عليهم

(١) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ماجاء في إسبال الإزار، ٤٠٨٩، ضعفه الألباني.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، قم (٢٨٨٧).

ذخراً وأجراً، فالمال خير إن أنفق في خير مهما كثر، وهو شر إن طلبه المرء للتكثر، وساقه إلى السرف والتبذير.

وفي الاعتدال في الملبس أثر اقتصادي على المجتمع بأسره، حيث يقلل من النفقات غير الضرورية، ويوفر على المجتمع مالاً يمكن إنفاقه في مشروعات أخرى تعود عليه بالنفع، فهو من الناحية الاقتصادية دعامة للتنمية والبناء، ورافد أساسي في ضبط إهدار المال وصرفه في غير فائدة.

الزهد في المسكن:

السكن هو المكان الذي يستريح فيه الإنسان، وتسكن فيه جوارحه، ومحلاً لتناول الطعام وادّخاره، حيث يجد الإنسان فيه الراحة والطمأنينة بعيداً عن اطلاع الناس عليه وعلى أسراره وممتلكاته.

فمن عرف حقيقة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها زهد فيها وتوسط في بناء مسكنه واختيار أثاثه، فلم يجنح إلى الإفراط أو التفريط، فالعاقل من يعرف ماذا يصلح له فيأتيه، موافقاً للحدود الشرعية، والأعراف الاجتماعية، والقواعد المرعية.

فالأبنية التي يؤجر عليها صاحبها، ولا تخرجه عن الزهد هو ما كان لوجه الله كالمساجد، وكمن بنى بيتاً له ولمن يعوله بقدر الكفاية، وعلى الوجه اللائق به وبهم فهذا ليس بمذموم[1].

ولقد كره السلف الإسراف في البناء والتطاول فيه تفاخراً وتكاثراً وهو من الأمور

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٧/ ٢٣٩).

المذمومة التي ينبغي أن يتوقاها المسلمون ؛ لما في ذلك من الترف الذي ينافي حقيقة الزهد وقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: (وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها)[1] وذكر ابن حجر العسقلاني[2] بعض الأحاديث الدالة على ذم البناء والتطاول فيه، ثم قال: «وهذا محمول على ما لا تمس الحاجة إليه مما لابد منه للتوطن وما يقي البرد والحر»[3] فما ينفق من فضول أمواله على غير التوسع في البنيان أي على ما ينفعه في الآخرة ويؤجر عليه، فهذا يكون أولى مرتبة،وأقرب إلى ما يحبه الله من ذلك الذي ينفق ماله في البنيان والتوسع فيه.

فقد روي أن أبا لدرداء ﷺ لما زار دمشق ورأى ما أحدث الناس من البنيان، ونصب الحدائق والبساتين قام في مسجدهم فنادى: يا أهل دمشق، فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ألا تستحيون !! تجمعون مالا تأكلون، تبنون مالا تسكنون وتأملون ما لا تأكلون، إنه قد كان قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غروراً وأصبح جمعهم بوراً، وأصبح مسكنهم قبوراً ألا إن عاداً ملكت مابين عدن وعمان خيلاً وركاباً فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين»[4].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، رقم (٥).

(٢) أحمد بن على بن محمد أبو الفضل الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر العسقلاني، الحافظ الكبير صاحب التصانيف النافعة منها فتح الباري شرح الجامع صحيح البخاري، ولد سنة ٧٧٣هـ ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ. انظر البدر الطالع للشوكاني (١/ ٨٧-٩٢) طبعة السعادة بمصر، ط١/ ١٣٤٨ هـ.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني،كتاب الاستئذان، باب ما جاء في البنيان (١١/ ٩٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تفسير سورة الشعراء الآية ١٣٦ (٦/ ١٥٣).

فهذه موعظة للتذكير بعدم الاشتغال بالدنيا عن الآخرة، الإنخداع بزينة الحياة الدنيا، وبهرجها الخداع.

ونتيجة لتوسع الناس في المباحات، واستيلاء عنصر المباهات والمفاخرة في حياتهم، خالف كثير منهم قيمة الزهد، فتوسع غالبهم في بناء مساكنهم توسعاً يفضي إلى الإسراف، إسرافاً أخرج البناء عن هدفه الأساسي إلى حياة الترف والبذخ المرذول، فإذا دخلت مسكن أحد هؤلاء دخلت قصراً مشيداً، عليه من الرفاهية التي لا تنفع الشيء الكثير، والأثاث الفاخر إلى درجة المبالغة، وهو ثمين للغاية وزائد عن الحاجة، فمثل هذا المسكن يخشى على صاحبه من الإثم، لأنه إنما أراد التفاخر والمباهاة.

فالمؤمن طمعه الدائم فيما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين في الآخرة من الجنة ومساكنها ونعيمها، فهو نعيم خاص بالمؤمنين لا يشاركهم فيه أحد، ولهذا لما رأى عمر بن الخطاب أثر الحصير قد أثر في جنب الرسول ﷺ، ابتدرت عيناه بالبكاء، وقال يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله ﷺ؟

فاستوى جالساً ثم قال: (أوفي شك أنت يا ابن الخطاب !أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا) وفي رواية: (أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة)[1].

وعلى سبيل العموم يكون تطبيق الزهد في هذه الضروريات وغيرها بترشيد الإنفاق والاستهلاك، عن طريق مجموعة من الضوابط، التي تتمثل في:

تحريم التقتير والبخل، وتحريم الإسراف والتبذير، والتزام القَوام بين التقتير

(١) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء، وتخييرهنّ رقم (٣٤).

والإسراف وهو الاعتدال والتوسط في الإنفاق.

فالاعتدال في الإنفاق له أهمية قصوى في تكوين المدخرات وزيادتها في الإسلام، فهو خير معين للمسلمين ليبتعدوا عن أي نمط سلوكي يدمّر هذه القيم أو يضعفها، فأي نفقة بنيّة التباهي، أو إظهار الأبهة أو العظمة أو الخيلاء لابد وأن يكون من شأنها توسيع الهوة الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء بدل تضييقها، وهو ما يستنكره الإسلام ويشجبه.

فالاقتصاد فيما هو من ضروريات الحياة يعدّ صفة من أهم الصفات التي يتحلى بها الزاهدون المتبعون لكتاب الله، المستنون بسنة رسوله صلى الله في معيشته وأحواله، وانغماس المجتمع في التنعّم واستمراره فيه مكروه شرعاً ومرفوض عقلاً، لما يورثه من القسوة في القلوب، والتشاحن، وهو يتنافى مع حقيقة الزهد التي تقوم على المحبة والتعاون، فلا ينبغي أن تكون العناية بالمظاهر شغل المجتمع الشاغل فتصرفه عن أمور دينهم، بل ينبغي أن يكون للتقشف والبذاذة مكان في الحياة الاجتماعية ، ففي الحديث قوله ﷺ: (البذاذة من الإيمان)[1] والبذاذة رثاثة الهيئة، والمقصود التواضع في اللباس وترك التبجح به، والتقشف من أسس الزهد الذي اتصف به النبي ﷺ وصحابته والتابعين من بعدهم، فرغم توفر الأموال لديهم إلا أنهم كانوا يؤثرون الآخرة على الدنيا، فانشغلوا بها عن ملاذ الدنيا ومتاعها.

ثالثاً: ومن تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية: تعميق الروابط بين الأفراد، وحماية المجتمع من سوء الخلق.

(١) سنن ابن ماجة، كتاب، باب من لا يؤبه له،رقم ٤١١٨، صححه الألباني.

من أبصر حقائق الأمور وانطلق من دعوة الإسلام للتحلي بالأخلاق الفاضلة والقيم الرفيعة، تطلع إلى معالي الأمر وكمالاتها، وزهد في الدنيا واستحقرها، فالحياة ومافيها من زينة ومتاع أمور صغيرة قليلة القيمة لا تستحق في نظره الحرص عليها، وإيثارها على ما عند الله من أجر عظيم في جنات النعيم، فمن قطع علائق قلبه من زينة الحياة الدنيا ومتاعها، وتوجه إلى الله صادقاً أحبّه الله، ومن قطع علائق قلبه مما في أيدي الناس أحبه الناس، ومن سيطرت على مشاعره هذه البصيرة الإيمانية، زهد في الدنيا وأهلها زهد القلب لا زهد الترك.

فالزاهدون وهم قدوة في مجتمعهم، يترفعون عن معصية الله، والإضرار بالناس، أو التفاخر عليهم بالشهادات والألقاب الفخمة،وليس لديهم عقدة الكبر سواءً كبر الثراء أو الكبر العرقي، والمركز الاجتماعي،ولا كبر الخصائص الفردية كالجمال والفصاحة والذكاء، فمن زهدهم عدم تعلق همة قلوبهم ونفوسهم بمتع الحياة الدنيا وزخارفها وزينتها، فمن سمتهم السعى في تغذية الروح الجماعية بين المسلمين، بالمشاركة في المناسبات الاجتماعية التي تشرع إقامتها، وحث المسلمين على شهودها و تمتين رابطة الأخوة،وتعميق وحدة الجماعة، فقد شبّه الرسول ﷺ المؤمنين بالبنيان يشدّ بعضه بعضا، روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا)، (وشبك بين أصابعه)[1] فالرسول ﷺ وضع وحدة المسلمين وتماسكهم في صورة رجل واحد، فالرجل الواحد جسد ذو أعضاء مترابطة يجمعها عصب واحد ويديرها فكر واحد وتحركها عواطف واحدة، وانفعالات واحدة ويغذِّيها دم واحد، وتسير جميعها إلى غاية

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصرة المظلوم، ٢٤٤٦.

واحدة، فإذا نزل الألم بالبعض نزل بالكل على سبيل المشاركة، وإذا تمتع البعض بلذة من اللذات، اشترك معه فيها الجميع، بحكم الصلة الوثيقة التي تؤلف وحدة الأحاسيس والمشاعر.[1] وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[2].

فالمجتمع الصالح يجب أن يكون أفراده كالجسد الواحد في تعاونهم، إسهاما في السراء والضراء ومشاركة في الحال والمآل، والمؤمن الزاهد لا يعتزل الناس، بل يقيم بينهم صابراً عليهم مصححاً نيته في ذلك، فإن هذه طريقة الأنبياء عليهم السلام والخلفاء والأئمة المتقين، ويجاهد نفسه بالعلم وآدابه وتسديده وتقويمه، وليس الطريق إلى السلامة من الآفات الهرب من الناس، فما تلك طريقة الأنبياء والمصلحين.

وفي توجيه شامل للمؤمنين، حفاظاً على وحدتهم، وصيانة ووقاية لهم ولأسرهم ومجتمعهم، من أن ينزلقوا في أمراض جاهلية تكون سبباً لتفرقهم، أقام الإسلام سياجاً قوياً حول حرمات المسلمين فلا تُحلل، وكرامتهم فلا يُنال منها، وأعراضهم فلا تُنتهك، وحرياتهم الممنوحة لهم شرعاً فلا تقيد وتصادر، إنه توجيه من الله الحكيم الخبير قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[3].

فالمجتمع الذي اصطبغ أفراده بصبغة الزهد في الحياة الاجتماعية، لا يرضى بأن يستشري

(١) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني (٢/ ١٧٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦).

(٣) سورة الحجرات، الآية (١١).

في جسده أمراض جاهلية خبيثة، إذ هو أقرب ما يكون إلى تقوى الله، وابتغاء مرضاته.

رابعاً: ومن تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية: أن التفاضل مبني على التقوى لا على الحسب والنسب.

لما كان النسب من أبرز مظاهر الفخر عند الناس، جاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[1] لربط الناس بنسب واحد، ولفت أنظارهم إلى أنه لا عبرة بالنسب في فخركم عند الله، لأنه ليس لسعي أحد، ولا قدرة لأحد أن يعطي نفسه نسباً كما يريد، فكيف يفتخر الإنسان بما لا مدخل لكسبه فيه ولا قدرة له ولا تصرف ولا سبب؟

فتفاوت الناس في الخيرية مرتبط بالتقوى التي هي الفخر كما في قوله ﷺ: (إن الله قد أذهب عنكم عبيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، وأنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجِعلان التي تدفع بأنفها النَّتن)[2] .

إن الإسلام غرس هذه القاعدة الخيرية في نفوس المؤمنين بل البشرية جميعا، وأوجب على الجميع مراعاة الوحدة الإنسانية وأولوية التقوى في كل شيء وعمم ذلك في جميع جوانب الحياة وليس في جانب من جوانبها.

إن منهج الإسلام في رفضه للفخر بالأحساب هو منهج الزاهدين في الحياة الذين

(١) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب،رقم (٥١١٦) حسنه الألباني.

يسعون لرضا الله سبحانه ويطمعون في مغفرته وجنته، فالزاهدون لا يتخذون مبدأ التفريق بين الناس بلا عمل ولا تقوى، سواء كان بالنسب إلى شخص أو قبيلة، أو شعب أو وطن أو صفة غير التقوى، وفي الوقت نفسه يدعون الناس إلى معرفة أنسابهم والحفاظ على أصولهم لا لأي شيء، إلا لأنها سبب لصلة أرحامهم وأداء حقوقهم، التي تحافظ بها على الوحدة والأخوة في الله، وتتوج كل ذلك بمطالب الأخوة الإسلامية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾[1] لكن الفاضل منهم من كان أكثر إيماناً في سلوكه وتهذيبه، فالمعاني الإيمانية هي التي يعود إليها فضل إنسان على آخر ومجتمع على مجتمع وشعب على شعب، على ضوء ماورد في الشرع من أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[2] هذا هو مبدأ الأفضلية ومنبع الكرم، كما جاءت النصوص الثابتة عن النبي ﷺ تبين للناس أن الأكرم هو الأتقى عن سمرة عن النبي ﷺ قال: (الحسب المال، والكرم التقوى)[3] وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(إن أنسابكم هذه ليست بمنسَبَةٍ على أحد، كلكم بنو آدم، طُفَّ الصاع، لمْ تمنعوه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى)[4].

لقد حرصت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المذكورة، على تثبيت هذه

(١) سورة الأعراف، الآية (٧٥).

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٣) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجرات رقم ٣٢٧١، صححه الألباني.

(٤) رواه أحمد في مسنده، باب حديث عقبة بن عامر رقم ١٧٣١٣، صححه شعيب الأرنؤوط.

القاعدة، وهي أن النسب الذي يتفاضل به الناس هو التقوى.

فالعلاقة في مجتمع المؤمنين ليست علاقة الدم والقرابة، وليست علاقة القبيلة والأسرة، وإنما هي علاقة الإيمان بالله والعمل الصالح، وما عداها لا يوضع موضع الاعتبار إطلاقاً عند تقييم الروابط التي يرتبط بها الأفراد فيما بينهم في مجتمع الرسالة.

إن المجتمع الذي يتخذ من العقيدة منطلقاً للتفوق والكرم لهو المجتمع الزاهد، الذي هداه الله إلى ضبط حاله وجمع كلمته، فالدين هو الضابط الاجتماعي في الأمة والمجتمع، فهو يؤلف بين القلوب، ويجعل المجتمع طبقة واحدة، ويعمل على تكوين الخلق الثابت الدائم الذي يسمو على كل مصلحة، فتلك من أهم معاني الزهد في الحياة الاجتماعية، التي وعاها الصحابة رضوان الله عليهم، فأثمرت الاجتماع والوحدة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1] وظفروا بعون الله وتأييده ونصره.

خامساً: ومن تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية: تعاون المسلمين وتعاضدهم فيما بينهم.

التعاون بين المسلمين من الظواهر الاجتماعية التي غذَّاها ونمَّاها الإسلام وأصلها في قلوب المسلمين، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[1].

فالتعاون يحقق معنى الجسدية الواحدة، ويهيئ المناخ المناسب لإقامة جلائل الأعمال الجماعية النافعة للإنسانية، المتجهة باتجاه الخير والبر والتقوى، المبتعدة عن الشر والإثم والعدوان.

إن مجتمعاً يفشو فيه التعاون لا يضيع فيه أحد ولا يشتكي فيه مخلوق، لأن كل واحد منهم عندئذ مقضي الحاجة، معان على الشدة قال ابن بطال: «المعاونة في أمور الآخرة، وكذا في الأمور المباحة من الدنيا مندوب إليها»[2] فإن الذي يمنع عونه عن إخوانه قد يتخلى الله عنه حيث يحتاج إلى العون،ولذلك فقد جاء في الحديث أن من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: (..ورجل منع فضل مائه، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك)[3] .

فبالتعاون الاجتماعي يتحقق معنى هاماً من معاني الزهد في الحياة، فيحصل تهذيب الأخلاق، والتحلي بالآداب الرفيعة ، واقتباس الثمرات المفيدة النافعة التي يتوصل إليها الآخرون.

ومجالات التعاون التي أكدتها قيمة الزهد في الحياة الاجتماعية :

التعاون بتعليم الجاهل وتذكير الغافل وإرشاد الضآل، والتعاون بنشر العلم والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، فهذا النوع من أعلى صور التعاون بين المسلمين

(١) سورة المائدة، الآية (٢).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، قوله باب تعاون المؤمنين بعضهم بعض (١٠/ ٤٥٠).

(٣) صحيح البخاري،كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، رقم (٢٣٦٩).

وأكثرها أجراً.

ومن التعاون في الحياة الاجتماعية بذل الصدقات بأنواعها، الواجب منها وغير الواجب، المالي منها وغير المالي فالزاهد يزكي بها نفسه إنه (يعين ذا الحاجة الملهوف)[1]. و(..يعين الرجل على دابته، فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه..)[2].

ومن التعاون المعونة بالشفاعة الحسنة: عن أبي موسى الأشعري قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: (اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبّيه ما شاء)[3].

في هذا الحديث حثٌّ على المعونة بالشفاعة الحسنة، وهي تقوية لطلب صاحب الحاجة بطلب شفيع له ذي مكانة عند من لديه تلبية الطلب، فإذا شفع له نال بغيته وظفر بمطلوبه، فيكون الشفيع قد منحه من جاهه ومكانته لدى من شفع له عنده. وكل ما يخطر على البال من صور التعاون بين المؤمنين يعمه قول الرسول ﷺ: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه)[4]. إن الشارع الحكيم ندب إلى تفعيل قيمة التعاون، وهي مظهر عظيم من مظاهر التعاون بين المسلمين، وهذا يعني أن هذه القيمة في حال تفعيلها في

(١) صحيح البخاري كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف رقم (١٤٤٥).

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد، باب من أخذ بالركاب ونحوه رقم (٢٩٨٩).

(٣) صحيح البخاري،كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، رقم (١٤٢٣).

(٤) سنن أبي داود كتاب الآدب، باب في معونة المسلم ، رقم ٤٩٤٦، صححه الألباني.

المجتمعات المسلمة تجعل المسلمين في شتى أنحاء الأرض كأنهم جسد واحد في أمورهم وقضاياهم، وهذه الخصلة من أهم تطبيقات الزهد في حياة المسلمين في مختلف المجالات.

سادساً: ومن الفضائل التي تَظهر فيها قيمة الزهد في الحياة الاجتماعية، النصيحة بين المسلمين والتآمر فيما بينهم:

من شأن هذا الخلق الكريم أن يَعْقد المودّات بين المؤمنين ، أو يزيد في توثيقها، بشرط أن تكون نصيحة صادقة ليس الغرض منها الفضيحة أو الشتيمة أو التعيير والتنقيص.

فالنصيحة الصادقة لا يجود بها إلا كريم النفس، الذي لا يبخل على أخيه بأي نصيحة تنفعه في دينه أو دنياه، بل يعطيه نصحه الذي ينفعه مبتغيا بذلك وجه الله.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من النصيحة، وهي عطاء فيه تضحية، إذ قد يعرض صاحبه لما يكره من قبل الناس.

فالإسلام يعمل على إيجاد مجتمع فاضل يظهر فيه الخير والصلاح، يأمر فيه المجتمع بالمعروف وينهى عن المنكر لحماية مصالحه المعتبرة في الشريعة، فمن واجب أفراد المجتمع العمل على فشو الخير فيه وانحسار الشر، وأن يقيموا علائقهم على نصرة المعروف والتعاون عليه، ومحاربة المنكر والتكاتف على نبذه،ففي المجتمع الزاهد تظهر شريعة التدافع بين المؤمنين **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية (٧١).

وقال ﷺ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[1]. وهذا يعني أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس في التلازم الخلقي بين أفراد المجتمع وتماسكهم، وتحقيق أمنهم، وضمان نجاتهم من عواقب المنكر، قال ﷺ: (ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب)[2].

سابعاً: ومن الفضائل التي تَظهر فيها قيمة الزهد في الحياة الاجتماعية، عناية المجتمع بالعطاء والغرس.

من الأعمال الصالحة ما هو ذو نفع للناس كالخدمة العامة التي منها إماطة الأذى عن الطريق ومنها الغرس والزراعة روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة)[3].

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً: (ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير،أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة)[4].

أبان الرسول ﷺ أن هذا الغرس الذي يغرسه المسلم محتسبا الأجر على الله، وما ينجم عنه من منافع هو من الصدقات الجارية، التي يستمر تسجيل الأجر على ما كان منها من

(١) صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم ٤٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي رقم ٤٣٣٨، صححه الألباني.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم (١٥٥٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم (١٥٥٣).

الخير ولو بعد موت الإنسان، وهذا من مفاخر الإسلام في ميدان التقدم الحضاري، والرسول ﷺ يربط بين حاجات الحياة، وبين الأعمال التي هي من أسباب التقدم ومطالبه، وبين الإيمان الذي يحقق مرضاة الله تعالى.

ولما كانت الأعمال الزراعية مما يخدم الحياة بوجه عام، كانت مما يرضي الله تعالى خالق الحياة وواهب الأرزاق.

وغرس الأشجار من قبيل الصدقة الجارية، لأنها معرضة للآكلين والمنتفعين منها، من إنسان أو دابة أو طير.

والمسلم حين يغرس غرسه ويلاحظ هذه المعاني الإسلامية، فإنه يسجل في صحيفة حسناته منذ غرس غراسه عملا صالحا ذا صدقة جارية، وكان عمله مظهرا من مظاهر خلقه الإيماني الذي يدفعه إلى نفع عباد الله.

فالأعمال الفاضلة التي من جملتها، الصدق، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعطاء والغرس، هي الزهد الذي يحبه الله ويرضاه، والزهد هو الجامع لأبواب الخير والفضائل.

سابعاً: تقدم المؤسسات التربوية نماذج متعددة من تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية، حيث تسهم الأسرة، والمدرسة،والمسجد، ووسائل الإعلام، في غرس مفهوم الزهد في نفوس أفراد المجتمع وترسيخه فيها.

الأسرة هي أولى اللبنات الأساسية في بناء وتكوين المجتمع الإسلامي، فهي تساعد في تشكيل الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

وللأسرة دور عظيم في تطبيق الزهد داخل محيطها، ومن الجوانب التطبيقية:

الاقتداء بالوالدين في الأسرة، حيث ينشأ الناشئ بين والديه في أسرة مترابطة عادة تحيط بها أواصر المحبة والمودة فيتشرب بدنه وعقله المبادئ الصحيحة من والديه، ولذلك ينبغي أن تلتزم الأسرة المسلمة بالمنهج الإسلامي الحق وتربية أنبائها في ضوء الكتاب والسنة، فإن الابن لا يستجيب لمبادئ الخير وأصوله التربوية،إلا إذا وجد القدوة الطيبة في والديه.

فالقدوة الحسنة خير دليل على تعليم الأبناء الخير والحق وتربيتهم على الزهد في الدنيا والعمل للآخرة، فالابن الذي يرى والده يصلي فإنه يحاكيه في أفعال الصلاة وإذا كان والده يعامله ويعامل إخوته بالعطف والرفق نجده يتعلم الرفق والرحمة والشقة، وكذلك إذا رآه يتصدق على المسكين فإنه يقلده في ذلك، وفي المقابل فالقدوة السيئة كفيلة بتدمير القيم والمبادئ، فإذا لا حظ الطفل على والديه أو أحدهما ما ينافي قيمة الزهد كالكذب والغش والخداع، أو الكسل وعدم العمل، أو التعلق بالمخلوقين كان لتصرفهما عميق الأثر في نفسه.

لذا يجب أن يكون الوالدين مصباح هداية لأبنائهم، حتى ينشأ الأبناء في الأسرة الواحدة على الزهد في الدنيا والتوجه إلى عبادة الله وحده مقتدين بوالديهم في عدم الانشغال بملذات الدنيا، والتزود بالأعمال الصالحة للدار الآخرة.

والمدرسة لها دور تربوي وتعليمي كبير في تطبيق الزهد، فهي مفتاح المعرفة وطريق العلم، ومن أهميتها شمول رسالتها، حيث لا تهتم بتخريج الطلاب وإعطاء الشهادات فحسب، بل تعد الطالب ليحتك بالمجتمع الكبير، فيحتك بأنماط كثيرة من الناس.

وللمدرسة دور كبير في غرس مفهوم الزهد وتطبيقه وذلك بعدة وسائل ونماذج:

منها ما يعود للمعلم، وكذلك ما تقدمه المدرسة من أنشطة ثقافية ورياضية واجتماعية، وما تبثه من أفكار ومبادئ تربوية يتأثر بها الطلاب.

فالمعلم له تأثير قوى على نفوس طلابه فهو يساعد المدرسة على تحقيق رسالتها، فمن التطبيقات التي يقوم بها المعلم:

أن يتحلى بجملة من الأخلاق الحميدة كالصدق، والرفق، والحلم، والتواضع، والقناعة، والوفاء،لأن رسالته ربانية غايتها تنشئة الطلاب على مراقبة الله، وعبادته وإخلاص العمل له سبحانه وتعالى.

وأن يكون زاهداً في الدنيا، متعلقاً بالآخرة، لأنه يعلم سرعة زوال الدنيا، ويرشد طلابه إلى أخذ الكفاية من الدنيا وعدم الانغماس في شهواتها وملذاتها

وعليه أن يلتزم في مظهره بالمظاهر التي تميز المسلم عن غيره مثل إعفاء اللحية وقص الشارب، وعدم إسبال الإزار.

ويجب عليه كذلك أن يلتزم بمنهج الرسول ﷺ فهو قدوته في الزهد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

فعليه أن يكون متواضعا في لباسه من غير إسراف ولا تقتير، وأن يربي في طلابه هذه الصفة الحسنة كما جاء في الحديث الصحيح الذي جاء عن أبي بردة رضي الله عنه أنه قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساءً ملبداً وإزاراً غليظاً وقالت: في هذا نزع روح

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

رسول الله ﷺ»[1].

ويجب أن يكون قانعاً بما رزقه الله،شاكرا لأنعم الله، وأن يربي طلابه على هذه الصفة كما جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً وقنعه الله بما أتاه»[2]. فعليه أن يقنع بما رزقه الله فيكتفي بالقليل من الرزق الذي يكفي حاجاته وضروراته .

وأن يبين لطلابه فضيلة العمل وتحري الكسب الحلال، وفضيلة إغناء النفس وكفها عن مذلة السؤال ، فما أكل أحد طعاما قط أفضل من كسب يده ، فنبي الله داود يأكل من كسب يده .

ويبين خطورة السعي الدائم في جمع المال الذي يشغل العبد عن طاعة ربه وعبادته،وأن كثرة الأموال في أيدي بعض الناس يكون ابتلاء من الله واختبارا لأصحابها، وأن من أعطاه الله مالاً وجب عليه أن يؤدي الحق الذي أوجبه فيه، فيخرج الزكاة طيبة بها نفسه وهو على يقين بثواب الله والتصديق بوعده، وأن يحثهم على الإنفاق في سبيل الله والوجوه التي تعود على المجتمع بالنفع العميم، ويحذرهم من خطورة البخل والشح فإن فيه هلاك الإنسان وعطبه.

ومن تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية دعوة الطلاب إلى الإسهام في أعمال البر والخير لأفراد المجتمع المحيطين بهم، بهدف حثهم على خدمة الناس ومساعدتهم بكافة

(١) صحيح البخاري،كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ رقم (٣١٠٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، رقم (١٠٥٤).

الخدمات، ومثال ذلك إسهامهم بجمع التبرعات للمحتاجين في محيط منطقتهم أو حيهم، و إظهار أن المسلم الحق لا يكون معزولا عن الناس والحياة، بل لابد أن يمد يده بالخير والعون لجميع الناس، ويعطي من وقته لمجتمعه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾[1] ومن التطبيقات التي تقوم بها المدرسة في تأكيد الزهد في الحياة الاجتماعية، دعوة الطلاب لزيارة زملائهم المرضى أو مواساة من توفي أحد والديه أو أحد أقاربه وأن ذلك مما يدعوا إليه الإسلام جاء في حديث صحيح عن ثواب من عاد المريض، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال:(إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع)[2].

فمن المهم أن يكون ماتبثه المدرسة للطلاب من أنشطة أن تتحدث عن الزهد بكل صوره وحقائقه كالتزود بالأعمال الصالحة في الدنيا وكالحث على صلاة الليل والمواظبة على الفروض جماعة في المسجد، وكالحث على الصدقة وإعانة الفقراء، وتقوم بعرض نماذج للزهاد الأوائل من الصحابة والتابعين وصور زهدهم وعبادتهم.

ومن خلال الأنشطة المختلفة يطبق الطلاب الزهد، ففي الأنشطة الرياضية يبتعد الطلاب عن كل ما حرم الله كالبعد عن التعري وإظهار العورات، أو التلفظ بالبذائة في الكلام، والتصرف غير اللائق.

وكذلك حث الطلاب على الاشتراك في الأنشطة الاجتماعية التي تهدف إلى تشجيع

(١) سورة المائدة، الآية (٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، فضل عيادة المريض، رقم ٢٥٦٨.

الطلاب على التعاون الجماعي المثمر، ومن أهمها الاشتراك في الجمعية التعاونية المدرسية التي تقوم على الخدمات العامة للطلاب، كتقديم المساعدة للمحتاجين من الطلاب، وتقديم مساعدات غذائية أو ملابس أو كتب مدرسية وغير ذلك، وذلك بهدف غرس روح مساعدة الآخرين ومد يد العون لهم، وحث الطلاب الذين يقومون بهذه الخدمات أن يقصدوا بأفعالهم ابتغاء مرضاة الله، ورجاء ثوابه، وأن يحثوا بقية زملائهم على المسارعة ومد يد العون لخدمة أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه.جاعلين منطلقهم في حياتهم الاجتماعية قوله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات الآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)[1].

ومن المؤسسات الاجتماعية المسجد فله دور في تطبيق الزهد في الحياة الاجتماعية: فالمسجد من أقوى الأركان في تكوين المجتمع المسلم، لأنه يربي الفرد المسلم إيمانيا وخلقيا واجتماعيا.

ومن تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية التي يقوم بها المسجد:

نشر العلم وشيوعه بين عامة الناس، فالعلم ركيزة من ركائز الزهد فلا زهد إلا بعلم شرعي، فعن طريق الحلقات العلمية يتحقق حفظ العلم وشيوعه بين الناس، والمساجد أفضل مقر لتدريس العلم وتعليمه، والهدف من التعليم في المساجد نشر العلم وإفادة أبناء الأمة الإسلامية من العلوم والمعارف.

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب،باب لايظلم المسلم المسلم ولا يسلمه رقم (٢٤٤٢).

والخطب لها دور كبير في حث الناس على الزهد في الدنيا والعمل للآخرة بالاشتغال بالأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها، سواءً في الجمع أو الأعياد وغيرها من المناسبات كخطبة الاستسقاء والكسوف والخسوف، فالخطباء يوجهوا الناس إلى الزهد في الدنيا من خلال ممارساتهم للزهد في حياتهم اليومية، فيبينوا للناس المفهوم الصحيح للزهد، فالله سبحانه لم يحرم على الناس التمتع بالمباحات الدنيوية وإنما أمرهم أن يستعينوا بالنعم المباحة على طاعة الله تعالى والتقرب إليه بأنواع القرب.

ويوجهوا المسلمين إلى عدم ترك العمل لما يصلح دنياهم، وأن الكسب المباح غايته التقوي به على طاعة الله تعالى كالقيام بالحقوق الواجبة تجاه من لهم حق الرعاية من ولد ووالد ومجتمع.

وأن يعلموا أن العمل والكسب في سبيل الله تعالى، عن ثوبان ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار نفقه على أصحابه في سبيل الله) قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال ثم قال أبو قلابة: «وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يعطيهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم»[1].

فالخطباء يبينوا للناس أن العمل الصالح كما يكون في أداء الصلوات والعبادات يكون كذلك في الكد على العيال والسعي لطلب الرزق الحلال وصون النفس عن ذل السؤال، فذكر الله والعبادة في مختلف صورها لا تمنع من الضرب في الأرض وغشيان

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، رقم (٩٩٤) (٣/ ٨٧).

الأسواق لاغتنام المكاسب، متى نوى بعمله صلاح دينه وآخرته، وأن ذلك هو شأن الزهاد الراشدين.

ومن تطبيقات الزهد التواصل بين المسلمين والتعارف بينهم ففي المسجد ممارسة عملية للحياة الاجتماعية وهو كفيل بإيجاد التعارف الأخوي الإيماني الذي يبعث على المحبة ويوصل إلى التزاور وإفشاء السلام، ودفع السيئة بالحسنة، ونصر المظلوم، وتعليم الجاهل، والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، وكذلك بالابتعاد عن كل ما يؤدي إلى ضعف الأخوة الإيمانية من ظلم أو حسد أو احتقار وسخرية وغيبة ونميمة وهجر وقطيعة، والمسجد كما هو ركيزة التعارف الاجتماعي، فهو كذلك منطلق الإحسان والمواساة فيه تحصل التبرعات للمساكين والمحتاجين، ولقد كان مسجد رسول الله ﷺ مأوى للمحتاجين وكان به مكان يسمى الصفة يسكن فيه من لا سكن له من الفقراء، وكان ﷺ يشركهم فيما يهدى إليه، ويخصهم بالصدقة التي تأتيه.

فالمساجد هي أفضل الأماكن التي تربى فيها نفوس الناس، ويغرس فيها مفهوم الزهد، وففيها يتزود الناس بالأعمال الصالحة وتبعدهم عن الأعمال الفاسدة، وتحثهم على التقرب إلى الله بأنواع الطاعات.

والإعلام بوسائله المختلفة له دور في تطبيق مفهوم الزهد وغرسه في نفوس الناس، وذلك بتطبيق منهج الله في المواد التي تبثها في المجتمع الإسلامي، وأن يكون من ضمن أهدافه إيصال الدعوة الإسلامية إلى كل فرد يستفيد مما تبثه هذه الوسائل وأن يمتثلوا لأمر الرسول ﷺ،ومراعاة حرمة الله تعالى في كل كلمة أو مقالة

أو صورة، فلا تتبع الأهواء والشهوات فتضل عن طريق الحق والصواب.

وأن تقوم وسائل الإعلام بتوجيه كل من يستفيد من برامجها وأخبارها توجيهاً إسلامياً نحو التوازن بين المطالب الروحية والجسدية، وأن ينقلوا لهم صوراً عن حياة الزهاد الأوائل وكيف طبقوا الزهد مع أنهم حكموا الدنيا ووصلوا إلى مشارق الأرض ومغاربها ومع ذلك لم تلههم الدنيا بما فيها، بل طلبوا رضا الله بعلمهم ذلك.

وكذلك بعرض البرامج والأخبار المبسطة التي تربط الدين والعلم، ويستخدم العلم في تعميق الوجدان الديني، وإنتاج البرامج الثقافية التي تقوم على القيم الإسلامية.

الـخـاتـمـة

نتائج البحث وتوصياته :

بعد هذه الدراسة «قيمة الزهد في الإسلام» أجمل أبرز نتائج هذه الدراسة في النقاط الآتية:

١- أنَّ الزهد الحقيقي في الإسلام، ترك الرغبة فيما يضر أو لا ينفع في الدار الآخرة، ويكون بتعلُّق القلب بالله دون سواه، فلا تشغله الدنيا عن الآخِرة،

٢- أنَّ الزهد إعراض عن الدنيا للاشتغال بالآخرة، والإعراض عن الدنيا ليس مقصوداً لذاته، بل يراد به تفريغ القلب من الاشتغال بها ليتفرغ المرء لطلب الله ومعرفته والقرب منه والأنس به والشوق إلى لقائه.

٣- أنّ الزهد عمل قلبي، وهو إيثار الحياة الأخروية الباقية، على الحياة الدنيوية الفانية، فليس المراد من الزهد إخراج الدنيا من اليد وهي في القلب، وإنما المراد أن إخراجها من القلب وهي في اليد.

٤- أنّ من الزهد الاستمتاع بما أحل الله من متاع الحياة الدنيا، فهذا يعين على القيام بالواجبات والبعد عن المحرمات، وهو عمل مرغوب في الإسلام، في الحدود المعتدلة التي لا إفراط فيها ولا تفريط.

٥- أنَّ جميع أسس الزهد الصحيح تقوم على العقيدة الصحيحة ، و أركان الدين ، وأعمال القلب من إخلاص وخوف ومحبة وغيرها.

٦- أنَّ زهد النبي ﷺ هو التطبيق العملي الصحيح لمفهوم الزهد في الإسلام، وكل

قول أو فعل في الزهد فلابد من عرضه على قوله ﷺ وفعله فما وافقه قُبل وما عارضه رد.

٧- زهد النبي ﷺ وخلفائه من بعده ، زهد اختيار وليس اضطرار، فإنه ﷺ لو شاء لأجرى الله معه جبال الذهب والفضة، فكان أغنى الناس .

٨- استطاع المطبقين للزهد ،أن يوفِقوا بين أعمال الدنيا والآخرة ،فأخذوا من الدنيا قدر حاجتهم وما يعينهم على حياتهم ، مع الإقبال على الله تعالى والاشتغال بعبادته، فاتسم زهدهم بالتطبيق العملي لتعاليم الإسلام.

٩- أنَّ دعوة الإسلام إلى الزهد ، دعوة إلى القناعة بما قسم الله من رزق ، والعفة عما في أيدي الناس ، ودعوة إلى العمل والكسب، والتضحية بمتع الدنيا وزينتها ولذائذها ، ابتغاء مرضاة الله والظفر بنعيم الآخرة .

١٠- أنَّ بعض الناس فهم الزهد فهماً خاطئاً،فجعلوا مبنى الزهد على الفقر، وأنه أساسه وبه قوامه، مما جعلهم يبطّئون همتهم عن العمل والإنتاج وعمران الدنيا، وسبب هذا التصور الخاطئ؛ أنهم تعلقوا بنصوص التزهيد في الدنيا وأساءوا فهمها، ولم ينظروا إلى النصوص التي تحث على العمل والكسب وعمران الدنيا والأخذ بأسباب القوة، ونصوص الحث على البذل في سبيل الله.

١١- أنَّ الزهد لا يتعلق بالغنى والفقر؛ لأن الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها، وعليه فإن كلاً من الغني والفقير يمكن أن يكونا زاهدين، وقد كان نبيا الله داود وسليمان– عليهما الصلاة والسلام – من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما.

١٢- أنِّ حقيقة الزهد الذي يوافق العقل السليم ، يكون بإيثار الحياة الأخروية الأبدية الباقية، على الحياة الدنيئة الفانية ، وبهذا يستطيع الإنسان أن يعيش في هذه الحياة الدنيا آخذاً نصيبه منها ، مستمتعاً بما أباح الله من طيبات الحياة ، غير مغتر بمفاتنها .

١٣- أنِّ الزهد يتوافق مع الفطرة السوية في تأكيده على ضرورة الاجتماع مع الآخرين ، وأداء العبادات الجماعية التي شرعها الله تعالى ، ويكره العزلة والانقطاع عن الناس وعن الجماعة ؛ لأنها ليست من فطرة الإنسان السوي.

١٤- أنَّ من أجمع تقسيمات الزهد من قسمه إلى قسمين:

الأول: الزهد الواجب : وهو الزهد في الحرام والثاني: الزهد المستحب: وهو الزهد في الشُبَه التي لا ترقى إلى اللحاق بالحرمة، وفي المكروه، وفي فضول المباح من أعمال القلوب والجوارح التي لا يستعان بها على طاعة الله تعالى.

١٤- أنَّ العرف له أثر كبير فيما يعد من الزهد وما لا يعد ، نتيجة لاختلافه بين الأشخاص والأماكن والأزمان .

١٥- أنَّ الزهد سلوك مرتبط بالحياة الفردية والاجتماعية، وتتجلى تطبيقاته في العبادات الجماعية والفردية، وكافة مجالات الحياة وأنشطتها المختلفة التي شرعها الله.

ثانيا : توصيات البحث:

١- ضرورة تعميم هذه الدراسة على جميع مناحي الحياة، واعتبار هذا البحث نواة لبحوث أخرى تعنى بتأصيل قيمة الزهد ، فتقوم دراسة لتأصيل الزهد وتطبيقاته العملية في الحياة الاجتماعية، وأخرى في الحياة الاقتصادية، و في الحياة السياسية وغير ذلك.

٢- ضرورة الاهتمام بإبراز قيمة الزهد وتطبيقاتها في حياة العلماء والفقهاء والأمراء والدعاة.

٣- ضرورة اهتمام العلماء والدعاة وطلبة العلم بإيضاح المفهوم الصحيح للزهد ونقد المفاهيم الخاطئة ، التي تصدر من أعداء الإسلام في الداخل والخارج التي يشوهون بها صورة الإسلام ويصِمُونه بأنه دين يرغب في الفقر، و ينفر من الغنى ، يريدون تشكيك المسلمين في عقيدتهم وقيمهم وأخلاقهم .

٤- أن تقوم دراسات تعنى بدور الأسرة والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام في غرس قيمة الزهد في نفوس الناشئة والمتعلمين ، في ضوء ما جاء في الكتاب والسنة وما جاء عن السلف الصالح من التطبيقات العملية للزهد في حياتهم .

٥- أن تقوم دراسة تعتنى بمدى اهتمام والتزام المعلمين والمشرفين وأساتذة الجامعات بالجانب التطبيقي للزهد، في أقوالهم وأفعالهم ومعاملاتهم.

وبعد: فهذه بعض النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من إعداد هذا البحث.

وإني في ختامه أثني بحمد الله عزوجل الذي بنعمة تتم الصالحات، والذي له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

١ – فهرس الآيات القرآنية.

٢ – فهرس الأحاديث النبوية.

٣ – فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤ – فهرس المصادر والمراجع.

٥ – فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــــة	رقمها	الصفحة
ســـورة البقرة		
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾	٤٣	١٥١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾	١٧٢	٤١، ١٢٧
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾	١٨٥	٤١
﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾	١٩٧	١٥٥
﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾	٢٣٧	١٤٣

سـورة آل عمران		
﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	٨٤
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾	١٠٣	١٦٩
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾	١١٠	١٢٩
سـورة النساء		
﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾	٧٧	٨٤
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾	٨٠	٢٧، ٩٩

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾	١٠٣	٢٠
سـورة المائدة		
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾	٢	١٧٠، ١٧٨
سـورة الأعراف		
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾	٣١	٧٥، ١٢٣، ١٥٨
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٤٢ ﴾	٤٢	١٠٦
﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾	٧٥	١٦٨
﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾	١٥٧	١٢١
سـورة التوبة		
﴿ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ ٣٨ ﴾	٣٨	١٠٠

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾	٧١	١٧٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾	١١٩	١٤٨
سـورة هود		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٨٩
سـورة يوسف		
﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾	٩٠	١٠٣
سـورة النحل		
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾	٧٥	٣٧

سـورة طه		
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾	١٣١	١٣٢
سـورة الحج		
﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	١٥٤
سـورة المؤمنون		
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾	٨	١٤٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾	٥١	٤١، ١٠٨، ١٢١
سـورة النور		
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾	١٥	١٤٨
سـورة القصص		
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾	٦٠	٨٥

﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾	٧٧	١١٩
﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾	٨٣	١٠٣
سـورة العنكبوت		
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾	٦٩	٨٠
سـورة السجدة		
﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾	١٦ – ١٧	١١٨
سـورة الأحزاب		
﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	١٧٦
﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ ﴾	٢٣	٩١، ٩٦

سـورة فاطر		
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	٢٩
سـورة ص		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	١٢٠
سـورة غافر		
﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾	٣٩	١٠٢
سـورة الزخرف		
﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾﴾	٣٣ – ٣٤	١٠١
سـورة محمد		
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾	١٢	١٢٣
سـورة الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا	١١	١٦٦

مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	١٥٢، ١٦٧، ١٦٨
سـورة الذاريات		
﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	١١٧
﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	١٥٣
﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٢ – ٢٣	١١٥
سـورة الحديد		
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٦٣، ١٤٦
سـورة الحشر		
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾	٧	٢٧
﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ	٩	٩٧، ١٤٩

إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾		
سورة النبأ		
وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾	١٠ – ١١	٧٧
سورة الانشقاق		
وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا	١٠ – ١٥	١٠٣
سورة العاديات		
أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾	٩ – ١٠	١١٠

فهرس الأحاديث النبوية

الحـــــــــــديث	الصفحة
«أبقيت لهم الله ورسوله»	٩٦
« آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان »	٤١
« أخرجت إلينا عائشة كساءً وإزاراً غليظا »	١٧٦
« إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة »	٤١، ١٢٧
« إذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها »	١٦٢
« إذا حدّث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة »	١٤٥
« إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضّل عليه »	١٣١
« أراد النبي ﷺ أن يُقطِع من البحرين، فقالت الأنصار حتى تُقطِع لإخواننا مثل الذي تَقطع لنا »	١٤٩
« أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه »	٥٦
« ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس »	٩٣
« اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبّيه ما شاء »	١٧١
« أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله »	١٨٠
« اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا »	٥٥
« اللهم ارزقه مالاً وولداً،وبارك له فيه »	٤٩

« اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر »	٣٧
« اللهمّ لا عيش إلا عيش الآخرة »	١٠١
« أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة »	١٦٣
« إن أنسابكم هذه ليست بمنسَبَةٍ على أحد، كلكم بنو آدم »	١٦٨
«أن أيوب عليه السلام لما عوفي ؛ خر عليه رِجل جراد»	٤٨
« أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفيه »	٨٥
« أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة نحر جزورا أو بقرة »	٧٥
« إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس »	١٢٣
« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »	١٤٤
« إن الله قد أذهب عنكم عبيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء »	١٦٧
« إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها »	١٢٧
« إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع »	١٧٨
« إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم »	١٦٠
« إنَّما بُعِثت لأتمِّم صالح الأخلاق »	ج
« إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب »	١٣١

« أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه »	٣٤
« أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه، قال: (الحمد لله الذي كفانا وأروانا »	٦٧
« أهل الجنة ثلاثة ..وعفيف متعفف ذو عيال »	١٣٣
« البذاذة من الإيمان »	١٦٤
« البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب »	٧٩
« بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه مرجل جُمته »	١٢٤
« تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »	٧٥
« تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي »	١٦٠
« الحسب المال، والكرم التقوى »	١٦٨
« خيركم من تعلم القرآن وعلمه »	٣٠
« دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين »	٤٠
« دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »	٧٩
« الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر »	٨٧
« رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز »	٣٥
« شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء »	٧٦، ١٥٧
« صلِّ عليه يا رسول الله، وعليَّ دينه، فصلى عليه »	١٣٤

« عفيف متعفف، ذو عيال »	٥٥
« على كل مسلم صدقة، قالوا فإن لم يجد قال:فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق »	١٤٧
« فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف »	١٣٤
« فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه »	١٣٠
« فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم »	٩٤
« كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة »	٧٠
« كان أحب العُراق إلى رسول الله ﷺ عُراق الشاة »	١٢١
« كان رسول الله ﷺ إذا أمر بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصيب المد »	١٣٥
« كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاثة أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها »	٦٧
« كان الرسول ﷺ يصلي حتى تتفطر قدماه »	١١٨
« كان فراش رسول الله ﷺ، الذي ينام عليه من أدم »	٧٢
« كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى النبي ﷺ»	٣٧
« كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها »	٧٧
« كن في الدنيا كأنك غريب،عابر سبيل »	٩٢

« لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد »	١٢٣
« لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير»	١١٤
« لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا يمر علي ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لِدَين »	٣٩
« ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس »	٨٥، ٩٢
« ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا »	١٠٠
« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده »	٤٨
« ما عاب رسول الله ﷺ، طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه »	٦٧
« ما مثل الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع »	٩٢
« ما كان شخص أحب إليهم من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك »	٦٥
« ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا»	١٧٣
« ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة »	١٧٣
« ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً »	١٧٣

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه »	١٤٣، ١٧٩
« المسلم إذا خالط الناس وصبر على أذاهم خير من المسلم »	١٤٠
« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »	٧١
« من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول »	١٤٥
« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »	١٢٩
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه »	١٧٣
« من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »	٢٧، ١٠٠، ١٠٩
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»	١٥٧
« من كانت الدنيا همَّه فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ماكتب له »	٩٣
« من لبس ثوب شهرة، ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة »	٧٠، ١٢٤
« من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة »	١٧١
« من يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبّره الله »	١٣٢
« موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها »	٨٥
« المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء »	٦٨

« المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »	١٦٥
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا »	١٦٥
« وأجمع اليأس عما في أيدي الناس »	٥٥
« وأغننا من الفقر »	٣٧
« والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر »	١٣٩
« ولا فتحَ عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها »	١٣٣
« والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر »	٣٠
«وما تقرب إلي عبدي بشيء،أحب إلي مما افترضت عليه »	١٧
« يا عمرو! نعم لمال الصالح للرجل الصالح »	٤٩
« يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك »	٦٧
« اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة »	٣٧، ١٣٥
«يعين ذا الحاجة الملهوف»	١٧١
« يعين الرجل على دابته »	١٧١

فهرس الأعلام المترجم لهم

الأعـــــــــــلام	الصفحة
إبراهيم بن أدهم بن منصور	١٤
أبو حاتم بن حبان بن أحمد التميمي البستي	٦٠
أبو حفص عمرو بن سلْم وقيل عمرو بن سلمة النيسابوري	٢٩
أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال القرطبي النابلسي	٥٥
أبو الحسن علي بن عبدالله بن جعفر السعدي	١٣٨
أبو ذر عبد بن أحمد المعروف ببلده بابن السماك الخرساني	١١٢
أبو عبدالرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي	٣٢
أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، الذهلي الشيباني المروزي البغدادي	٦
أبو عبدالله بن الجلاء أحمد بن يحي	٩
أبو عبد الله محمد بن صالح الوهيبي التميمي	٥٤
أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي	٦
أبو محمد، القاسم بن وفِيرُّه بن خلف الرعيني	١٨
أبو مسلم الخولاني اليماني الزاهد الشامي	١٠
الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي	٨
أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية	٥
أحمد بن على بن محمد أبو الفضل الكناني العسقلاني	١٦٢
أحمد بن فارس بن زكريا القزويني	٢

أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي	٣
تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبدالرحمن بن عثمان الشهرزوري الشافعي	٤٧
الحسن بن أبي الحسن يسار	١٢٠
داود بن نصير الطائي الكوفي	٣٢
زين الدين عبدالرحمن بن أحمد السُلامي البغدادي الحنبلي الملقب بابن رجب	٧
سعيد بن جبير بن هشام	٤٦
سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	٦
سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي	٨
شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	٢٨
طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي	١٠٨
عبدالرحمن بن أحمد العنسي الداراني	٨
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي	٤٩
عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي	٣٢
عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبد الله ابن باز	٥٣
عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين	٥٤
عبدالله بن المبارك بن وضاح	٩
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي	٨٤
عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية	١٤
عمرو بن مرة بن عبدالله بن طارق بن مراد من مذحج	١٠٢

الفضيل بن عياض بن مسعود	٧
محمد بن إبراهيم بن الشيخ عبداللطيف آل شيخ	٥٣
محمد بن أبي بكر بن أيوب الزَّراعي الدمشقي	٢
محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي	٥٨
محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع الشافعي	٤٢
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي	٣٩
محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي الوراق	٣٠
محمد بن بحر الأصفهاني	٢٤
محمد بن خفيف هو أبو عبد الله محمد بن خفيف بن إسفكشاذ الشيرازي	٨
محمد الدسوقي الدمشقي	٧٦
محمد بن عمر بن حسين التميمي البكري القرشي	٢
محمد بن مسلم بن شهاب الزهري	٣٣
محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الافريقى	٢
محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر	٢٤
محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري	٣
يحيى بن شرف الدين بن مري النووي	٥٦
يحي بن معاذ الرازي الواعظ	٩
يونس بن ميسرة بن حلبس أبو عبيد عالم دمشق	١٠

فهرس المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٦

٢. إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه، صفاء العدوي ، مكتبة دار اليقين، ط١ ١٤٢٢.

٣. الأخلاق عند مسكويه وابن القيم ، د.عبدالله العمرو ، رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة قسم الثقافة الإسلامية ١٤١٥.

٤. أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، ط٥ ١٤٠٧ .

٥. أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن الماوردي ، دار مكتبة الحياة ١٩٨٦.

٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٧. أساس البلاغة ، محمود بن عمرو الزمخشري دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٩.

٨. إعلام الموقعين ، ابن القيم ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ،١٤١١

٩. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم ، ، مكتبة المعارف الرياض

١٠. الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبدالرحمن حسن الميداني ، دار القلم دمشق ط٢ ١٤٠٧.

١١. الآداب الشرعية والمنح المرعية ، ابن مفلح الحنبلي ، مؤسسة الرسالة ط٤ ١٤٢٦٢.

١٢. الاستقامة، لابن تيمية: ، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١ ١٤٠٣،

١٣. الاعتصام ، للشاطبي ، دار ابن عفان السعودية ، ط١ ١٤١٢.

١٤. الانترنت ومقاصد الشريعة وأصولها وقواعدها ، نورالدين مختار خادمي، مكتبة الرشد ط١ ١٤٢٧

١٥. بحث للدكتور عبد العظيم الديب ، مقدم إلى مؤتمر السيرة والسنة النبوية في قطر ١٤٠٠، نقلا عن صالح بن أحمد الشامي ، من معين السيرة، ط١ ١٤١٨المكتب الإسلامي.

١٦. بدائع الفوائد ، ابن القيم ، دار الكتاب العربي، بيروت – البنان

١٧. التبيان في آداب حملة القرآن ، يحي بن شرف الدين النووي، دار بن حزم ، ط٣ ١٤١٤.

١٨. التثقيف الإيماني ، عبدالرحمن الزنيدي، دار كنوز إشبيليا الرياض، ط١ ١٤٢٩.

١٩. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط١ ١٤٠٣

٢٠. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ، محمد بن ناصر الدين الألباني ، دار باوزير ، ط١ ١٤٢٤

٢١. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، دار طيبة، ط٢ ١٤٢٠.

٢٢. تفسير سورة ص ، ابن عثيمين ، دار الثريا للنشر ط١ ١٤٢٥

٢٣. تلبيس إبليس ، ابن الجوزي ، دار الفكر بيروت لبنان ، ط١ ١٤٢١

٢٤. تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب مرحلة التعليم الأساسي العليا، عطية محمد صالح : نقلا عن التحصيل الدراسي وعلاقته بالقيم الإسلامية على عبدالحميد أحمد ، مكتبة حسن العصرية بيروت، ط١ ١٤٣٠.

٢٥. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبدالرحمن السعدي ، مطابع السفراء للأوفست – الرياض ١٤٠٧.

٢٦. تيسير الكريم الرحمن،عبدالرحمن ابن سعدي ، دار ابن الجوزي ط ١٤٢٢١

٢٧. الثقافة الإسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا إعداد مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض ط١ ١٤١٧

٢٨. الجامع الأحكام القرآن القرطبي ، دار الكتب المصرية، ط٢ ١٣٧٣

٢٩. جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة بيروت ط١٠ ١٤٢٤.

٣٠. جمهرة العرب ، أبو بكر الأزدي ، دار العلم للملايين بيروت ، ط١ ١٩٨٧.

٣١. جوانب من سيرة الإمام ابن باز رواية محمد الموسى ، وإعداد محمد إبراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة ط١ ١٤٢٢

٣٢. الجواب الكافي، ابن القيم ، مكتبة المعارف ط١ ١٤٠٧

٣٣. حادي الأرواح، ابن القيم ، ، مطبعة المدني القاهرة .

٣٤. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، محمد الدسوقي،دار إحياء الكتب العربية مصر.

٣٥. حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصبهاني، دار البيان للتراث ودار الكتاب العربي

١٤٠٧ط٥.

٣٦. حياة الصحابة ، للكاندهلوي ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ، ط١.

٣٧. الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الخلفاء الراشدين ، د.مسعود يحيى إسعيد الأغا، ط١ ١٤٢٤الرياض.

٣٨. خلق المسلم ، محمد الغزالي ، دار القلم دمشق ، ط٢ ١٤٠٠.

٣٩. دستور الأخلاق في القرآن الكريم ، د.محمد درّاز، مؤسسة الرسالة ، ط١٠ ١٤١٨.

٤٠. ذم الدنيا ، أبو بكر ابن أبي الدنيا ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ ١٤١٤.

٤١. روح المعاني ، الألوسي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ١٤١٥.

٤٢. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،الحافظ البستي ، ، دار الكتب العلم

٤٣. روضة المحبين، ابن القيم ، دار الكتاب العربي ط٢ ١٤٠٧

٤٤. الزهد أبو سعيد ابن الأعرابي: ٢١ دار الصحابة للتراث طنطا ط١ ، ١٤٠٨

٤٥. الزهد الكبير ، أحمد بن الحسين البيهقي ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط٣ ١٩٩٦.

٤٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ٢٧ ١٤١٥.

٤٧. الزهد ، لهناد بن السري ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ط١ ١٤٠٦.

٤٨. السلوك الاجتماعي في الإسلام ، حسن أيوب،دار الندوة الجديدة بيروت لبنان، ط٤ ١٤٠٣.

٤٩. سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني ، دار إحياء الكتب العربية .

٥٠. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث ، المكتبة العصرية صيدا -بيروت .

٥١. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى ، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي ، مصر ط٢ ١٣٩٥.

٥٢. سنن النسائي ، أحمد بن شعيب، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، ط٢ ١٤٠٦.

٥٣. سير أعلام النبلاء، للذهبي ، مؤسسة الرسالة ط٣ ١٤٠٥.

٥٤. السيرة النبوية ، لابن هشام تحقيق مصطفى السقا، شركة مصطفى البابي بمصر، ط٢ ١٣٧٥

٥٥. الشباب والقيم في عالم متغير، د.ماجد زيود ، عمان دار الشروق ط١ ٢٠٠٥

٥٦. شرح الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١ ١٤٠٨

٥٧. شرح صحيح مسلم، النووي ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢ ١٣٩٢

٥٨. شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، ط١ ١٤٢٣

٥٩. صحيح ابن خزيمة ،أبو بكر محمد بن خزيمة ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ١٤٢٤

٦٠. صحيح البخاري،محمد بن إسماعيل البخاري ، دار طوق النجاة ط١ ١٤٢٢

٦١. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٦٢. صيد الخاطر، ابن الجوزي ، دار القلم دمشق، ط١ ١٤٢٥.

٦٣. طبقات ابن سعد ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٤١٠

٦٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن القيم دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤٠٢.

٦٥. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، ابن القيم الجوزية ،دار بن كثير ، ط٣ ١٤٠٩

٦٦. العرف وأثره في الشريعة والقانون ، د. أحمد المباركي ، ط١ ١٤١٢

٦٧. العقد الفريد ، ابن عبدربه ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ١٤٠٤ ،.

٦٨. العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، د.عبدالرحمن الزنيدي، دار اشبيليا ط١ ١٤١٨.

٦٩. علم الأخلاق الإسلامي ،د.مقداد يالجن ، دار عالم الكتب الرياض، ط٢ ١٤٢٤.

٧٠. العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار ومكتبة الهلال

٧١. فتاوى ابن الصلاح، مكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب بيروت ط١ ١٤٠٧

٧٢. فتح الباري، ابن حجر ، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩

٧٣. الفوائد ، ابن القيم ، دار الكتب العلمية بيروت ط٢ ١٤٩٣

٧٤. فيض القدير، عبدالرؤف المناوي، دار الكتب العلمية ، ط٣ ١٤٢٧

٧٥. القاموس المحيط ،الفيروز أبادي ، مؤسسة الرسالة ط ٨ ،١٤٢٦

٧٦. قواطع الأدلة في الأصول ، منصور السمعاني ،دار الكتب العالمية ط١ ١٤١٨

٧٧. القيم الحضارية في رسالة الإسلام، أحمد عثمان ، الدار السعودية ط١ ١٤٠٢

٧٨. القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية ، د.مانع بن محمد المانع ، دار الفضيلة الرياض ، ،ط١.

٧٩. كنز العمال،الهندي ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ١٤٠١.

٨٠. لسان العرب، الإفريقي، دار صادر بيروت ط٣ ١٤١٤ .

٨١. مبادئ الأخلاق، ماهر كامل ،مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط عام ١٩٥٨م.

٨٢. مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المعجم الفلسفي ، عالم الكتب بيروت، عام ١٣٩٩

٨٣. مجموع فتاوى ، شيخ الإسلام، دار عالم الكتب الرياض ١٤١٢

٨٤. مختار الصحاح ،محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة العصرية – الدار المنوذجية بيروت صيدا ط٥ ١٤٢٠

٨٥. مختصر منهاج القاصدين ، ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي بيروت ط٩ ١٤٢١

٨٦. مدارج السالكين ، ابن القيم، دار الكتب العالمية بيروت ط١ ١٤٠٣

٨٧. مسند الإمام أحمد ،أحمد بن محمد الشيباني ، مؤسسة الرسالة ، ط١١٤٢١

٨٨. مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، عياض البستي ، المكتبة العتيقة.

٨٩. مشكاة الإسلامية. موقع على الشبكة العنكبوتية العالمية.

٩٠. المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، مكتبة لبنان بيروت ، عام ١٩٨٧ .

٩١. معجم لغة الفقهاء ، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي ، ، دار

النفائس محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي ، ط٢ ١٤٠٨

٩٢. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار إحياء التراث ١٤٢٩

٩٣. المعجم الوسيط ، د/ إبراهيم أنيس ود/ عبدالحليم منتصر ،وعطية الصوالحي، ومحمد خلف ، المكتب الإسلامي،استانبول تركيا ، ط٢ ١٣٩٢

٩٤. مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ، دار الكتب العلمية بيروت

٩٥. المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، درا الشامية دمشق بيروت ط١ ١٤١٢

٩٦. من معين الشمائل، صالح بن أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، ط١ ١٤٢٨

٩٧. الموافقات ، إبراهيم بن موسى الشاطبي ، دار بن عفان ط١ ١٤١٧.

٩٨. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية إشراف مرزوق بن تنباك، دار رواح للنشر والتوزيع، ط١ ١٤٢١.

٩٩. النظرية الخلقية في الإسلام، د.عبدالمقصود خيشة ، دار الثقافة العربية القاهرة ط عام ١٤١٢.

١٠٠. هذه أخلاقنا ، محمود محمد خزندار، دار طيبة، ط٤ ١٤٢٠.

١٠١. اليقين، لابن أبي الدنيا، دار البشائر الإسلامية.

فهرس الموضوعات

الـمقدمة ..... أ

شكر وتقدير ..... ل

المبحث الأول: دلالات قيمة الزهد وأنواعها ١

المطلب الأول: دلالات قيمة الزهد ٢

المطلب الثاني: أنواع قيمة الزهد ١٣

المبحث الثاني: معايير قيمة الزهد ومصادر الإلزام بها ٢٢

المطلب الأول: معايير قيمة الزهد ٢٣

المطلب الثاني: مصادر الإلزام بقيمة الزهد ٨١

المبحث الثالث: مجالات تطبيق قيمة الزهد الفردية والاجتماعية ١٠٥

المطلب الأول: تطبيق قيمة الزهد في الحياة الفردية ١٠٨

المطلب الثاني: تطبيقات الزهد في الحياة الاجتماعية ١٤٠

الـخـاتـمـة ١٨٣

فهرس الآيات القرآنية ١٨٨

فهرس الأحاديث النبوية ١٩٧

فهرس الأعلام المترجم لهم ٢٠٤

فهرس المصادر والمراجع ٢٠٧

فهرس الموضوعات ٢١٥